بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا

لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾

النساء١١٣

مجلة كلية الرشيد الجامعة

مجلة دورية علمية محكمة فصلية، تهدف إلى تعميق التواصل في المجالين العلمي والانساني ضمن مجال تخصص الكلية

العدد الصفري

٢٠١٥م – ١٤٣٦هـ

رئيس هيئة التحرير

أ.م.د. سهيل تركي عنتر

مدير التحرير

أ.د.مخلف حماد مضحي

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. عبد الامير هادي العكام أ.م.د عبد الوهاب عبد الرزاق

أ.د. محمد عبـــــاس لطيف أ.م.د. علوان جاســم الوائلي

أ.د. طـــالب محمد اسماعيل أ.م.د. أمنة نصيف جاســـم

أ.م.د. صلاح محمد عبدالله

سكرتير التحرير

م. محمد سعد مرضي

المتابعة

السيد ثامر عبد الرزاق

الهيئة الاستشارية للمجلة

ت	اعضاء الهيئة الاستشارية
١	أ.د. خاشع عيادة المعاضيدي
٢	أ.د. محسن عبد علي الفريجي
٣	أ.د. علاء عبد الحسين عبد الرسول
٤	أ.د. خلف صوفي الدليمي
٥	أ.د. عبد الجليل عبيد العاني
٦.	أ.د. عمار دحام المعاضيدي
٧	أ.د. باقر عبد خلف نجم
٨	أ.د. خليل محمد شهاب
٩	أ.د. مصلح حسن احمد عبد العزيز
١٠	أ.د. ضياء حسين عبيد

المحتويات

ت	الموضـــــــــــــوع		الصفحة
١	افتتاحية العدد	هيئة التحرير	٩- ١٠
٢	كلمة رئيس التحرير	أ.م. د. سهيل تركي عنتر	١١ - ١٢
٣	عن المجلة	سكرتير التحرير	١٣
٤	دور المحكمة الجنائية الدولية في ضمان محاكمة المتورطين في جرائم الحرب	أ.د. مصلح حسن احمد الجامعة العراقية	١٤ - ٤٣
٥	التعويض عن الأضرار في القانون الدولي العام	د. طلال جاسم حمادي كلية الرشيد الجامعة	٤٤- ٥٤
٦	الاستراتيجية الأمريكية في إيران بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥-١٩٥٣)	أ.م.د. عبد الامير هويدي الحيدري	٥٥- ٧٨
٧	المشاهدات الإقتصادية للرحالة والبلدانيين عن روسيا	أ.م..د. سهيل تركي عنتر عميد كلية الرشيد الجامعة	٧٩- ١٠٤
٨	الاستثمارات الاجنبية في الدولة العثمانية ١٨٥٣م-١٩١٤م	د. أنس عبدالخالق عايد جامعة تكريت د.حامد حميد كاظم كلية الرشيد الجامعة	١٠٥- ١٢٦
٩	الشيخ محمد الجواد الجزائري فكره ونشاطه السياسي والاجتماعي	أ.د.نوري عبد الحميد خليل كلية الرشيد الجامعة	١٢٧- ١٤٦
١٠	نضُوبُ الكلماتِ / العَينُ حَلا. نحَو مشروعٍ معجميٍّ معاصرٍ	أ.م. د. ضرغام محمود عبود الدرة كلية الرشيد الجامعة	١٤٧- ١٦١
١١	وجه الشبه بين المتناقضات	د. صالح احمد رشيد كلية الرشيد الجامعة	١٦٢- ١٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران ١٧١

كلمة العدد

مع كل إشراقة حلم يولد أمل جديد، ويتشعب الحديث عن آمالنا وأهدافنا التي نتمناها ونصبو جاهدين كي نحققها، وخاصةً تلك التي تتعلق بسبل تقدمنا،وبتوفيق من الله استطعنا خلال مدة وجيزة أن نؤسس لمجلة كلية الرشيد الجامعة للدراسات العلمية والانسانية، لتكون مجلة علمية محكمة، فصلية تتضمن كافة التخصصات المتعلقة بالعلوم الإنسانية والعلمية والاجتماعية والطبيعية والتطبيقية، وتعنى بالنشاطات المختلفة الاخرى.

رغبة منا في اتاحة الفرصة أمام أكبر عدد من الباحثين والأكاديميين لنشر بحوثهم لنيل أرقى الدرجات العلمية، حيث نهدف ان تكون هذه المجلة منبراً للعلم والعلماء، تكبر يوماً فيوماً ليأتي ذلك اليوم الذي تنافس فيه المجلات والدوريات العلمية العالمية .ولا شك أن ميلاد مجلة علمية محكمة ليس في ذاته بالأمر اليسير ولكن التحدي الأكبر هو أن نتجاوز الميلاد إلى الترقّي والاستمرار وأن ننجح في تحقيق التواصل مع الباحثين والأكاديميين.

وبعد مخاض عسير تكللت الجهود بعد عقد العزم والتوكل على الله لإصدار العدد (الصفري) من المجلة..

فمعكم وبكم سوف نرتقي بإذن الله إلى المستوى المطلوب من الإبداع الخلاق المستمد من مثابرتكم ومشاركتكم وجهودكم الحثيثة .

فمعكم وبكم سوف نرتقي بإذن االله إلى المستوى المطلوب من الإبداع الخلاق المستمد من مثابرتكم ومشاركتكم وجهودكم الحثيثة . وها نحن نضع بين أيديكم ذلك العدد الصفري من المجلة ، والذي نامل أن يكون بمثابة انطلاقة لتشجيع البحث والنشر الأكاديمي. شاكرين المولى عز و جل على تيسيره لنا ، كما نتقدم بالشكر لكل من قدم يد العون والنصح والارشاد ..

هيئة التحرير

كلمة رئيس التحرير

الزملاء الباحثين والأكاديميين :

إنه لمن دواعي سرورنا وإعتزازنا أن نقدم بين أيديكم العدد الصفري من مجلة كلية الرشيد الجامعة ، والتي نأمل ان تكون مبادرة طيبة لتشجيع النشر العلمي الذي يعد من المتطلبات الأساسية لدعم وتنشيط البحث العلمي في مختلف المجالات وشتى التخصصات.

لم يمر وقت طويل على تأسيس الكلية حتى تبادرت الفكرة إلى ميلاد هذه المجلة الواعدة بإذن االله، نتيجة لما بذل من عظيم جهد وتعاون أعضاء هيئة التحرير الأفاضل من أجل إتمام هذا المنبر العلمي وتحقيقه لأهدافه، حيث تبذل قصارى جهدها لكي تتبوأ المجلة مكانة متميزة في مجال النشر العلمي ، وضمن الامكانات المتاحة، لم تدخر هيئة التحرير جهدا للنهوض بالجانب العلمي كماً ونوعاً والتوسع بها أفقيا وعموديا، لتحظى بمكانة علمية متميزة.

المجلة توفر للباحثين فرصة عظيمة لتقويم بحوثهم عن طريق التحكيم العلمي الذي تخضع له البحوث العلمية كشرط أساسي لإجازة نشرها، كما يمكنهم النشر من عرض نتائج بحوثهم أملاً في الوصول إلى من يتبنى هذه البحوث وتلك النتائج لتوظيفها في خدمة المجتمع.

فمما لا شك فيه أن المعرفة تكون أكثر فاعلية عندما يكون الوصول إليها سهلاً. رغم ان النشر الالكتروني يعد الان الوسيلة الايسر والمتاحة للنشر العلمي، وذلك لما يتميز به من مزايا عديدة لا يتسع المجال لحصرها،فمن يكتب يعلم الكثيرعن مشكلات النشر وإحباطاته وإهداره للوقت والجهد، وتعنت بعض الناشرين، ومن يقرأ يعرف أكثر عن العوز إلى المعلومة والتكلفة العالية ،والجهد الكبير الذي يبذل

من اجل الحصول عليها، لكن يبقى النشر الورقي، هو الوسيلة الاولى والاوثق المتاح للنشر العلمي، وأهمها على الاطلاق من الناحية التوثيقية والاكاديمية. ونأمل ان تتيح المجلة الفرصة أمام من يكتب ومن يقرأ في مجالي البحث عن المعرفة.

وها أنا أنتهز الفرصة وأدعو كل الزملاء الباحثين المتخصصين في كافة الفروع العلمية المختلفة لنشر بحوثهم وانتاجهم العلمي بالمجلة ، على وعد منا بأن نكون عوناً لكل باحث جاد مجتهد يرغب في نشر نتاج فكره وحصاد جهده، وان نكون معين علم لكل باحث عن المعرفة التي تتصل بمجالات عمل المجلة .

أ.م.د سهيل تركي عنتر
رئيس هيئة التحرير

عن المجلة

مجلة كلية الرشيد الجامعة دورية علمية محكمة، فصلية، تديرها هيئة تحرير علمية مستقلة ، وبإشراف كامل من هيئة استشارية تضم نخبة من الخبراء المتخصصين في التخصصات الدقيقة في المجالات العلمية والانسانية، لتمثل باباً مفتوحاً وباحةً واسعةً لجميع الباحثين من أعضاء هيئة التدريس في الكلية اوغيرها من الكليات والجامعات العراقية والعربية، في مجال البحوث والدراسات المتخصصة لنشر نتاجاتهم العلمية التي تمتاز بالأصالة والمنهجية العلمية والاستقصاء والتوثيق باللغتين العربية والإنكليزية، وذلك كله وفقاً لقواعد وإجراءات النشر الخاصة بالمجلة .

وتهدف المجلة إلى تعميق التواصل في المجالين العلمي والانساني ضمن مجال تخصص الكلية ، من أجل إثراء وتنمية البحث العلمي في هذه المجالات وتوظيف نتائج هذه البحوث في خدمة المجتمع ومواكبة التطورات المتلاحقة على المستوى الدولي، كما تهدف إلى متابعة المستجدات العلمية في المجالات كافة عن طريق التعريف بالكتب والترجمات الحديثة، والرسائل العلمية والبحوث التي تقدم في المؤتمرات والندوات العلمية، وهو ما سيؤدي إلى توطيد الصلات العلمية والفكرية بين الباحثين.

ومن الله التوفيق والعون

سكرتير التحرير

دور المحكمة الجنائية الدولية في ضمان محاكمة المتورطين في جرائم الحرب

أ.د مصلح حسن احمد
الجامعة العراقية

ملخص البحث

على الرغم من أن جرائم الحروب ظهرت منذ وجود أول خلية اجتماعية على الارض وان ارتكابها عدّ تهديداً للمجتمعات البشرية ومع تزايد مرتكبيها وتطور وسائلها اصبحت الحاجة ملحة للتذكير في تشريع قوانين لمعاقبتهم وخاصة في العصر الحديث الذي ظهرت فيه جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية مما دفع المجتمع الدولي إلى عقد معاهدات واتفاقيات أنشأت بموجبها عدداً من المحاكم الدولية وكان اخرها إنشاء المحكمة الجنائية الدولية (نظام روما) لتتويج ما توصل إليه فقهاء القانون الدولي من إنشاء محاكم لمعاقبة مجرمي الحرب... وتنبع اهمية هذه المحكمة من اهمية اهدافها وقدرتها في تحقيق اهدافها ويبقى ذلك مرهونا بما تقدمه الدول من تعاون ودعم مادي ومعنوي لعملها كونها مكملة لعمل المحاكم الوطنية وليست بديلة عنها.

المقدمة

تعد الجريمة ظاهرة موغلة في القدم، حاولت المجتمعات الإنسانية مكافحتها والحد من انتشارها لما تسببه من كوارث تهدد تلك المجتمعات وتؤدي بها الى الهاوية. وفي الماضي كانت الجريمة ترتكب بوسائل تقليدية وبدائية لكن التقدم الذي شهده المجتمع الدولي في شتى مجالات العلم والتكنولوجيا أدى الى تطور أساليب ارتكاب الجريمة من خلال استخدام الوسائل التقنية المتطورة لممارستها وإيصالها الى الحد الذي يمثل ارتكابها

تهديداً للمجتمع الدولي بأسره وبهذا ظهرت جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية والمخدرات وجرائم ضد السلام العالمي.

ومع تزايد ارتكاب هذه الجرائم وتطورها أصبحت الحاجة ملحة للتفكير في تشريع قوانين لمعاقبة مرتكبيها من خلال عدد من الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي عقدتها الدول لا نشاء المحاكم الجنائية الدولية.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى اخذت هذه المعاهدات تركز على ضرورة معاقبة المتسببين في اشعال فتيلها وما سببته من جرائم ارتكبت بحق المدنيين والعسكريين خلافاً لكل الأعراف والقيم والاتفاقيات الدولية.

لقد جاء انشاء المحكمة الجنائية الدولية (نظام روما عام ١٩٩٨) لتقديم ما توصل اليه فقهاء القانون الدولي الجنائي من انشاء محاكم لمعاقبة مجرمي الحرب. وتنبع أهمية هذه المحكمة من أهمية أهدافها، وقدرتها على تحقيق هذه الأهداف التي ترتبط بما زودتها به الدول من سلطات وما يمكن في المستقبل ان تواجهه من صعوبات. ولبيان دور هذه المحكمة في ضمان محاكمة المتورطين في جرائم الحرب، سنبحث هذا الموضوع ونتطرق الى جميع حيثياته، لذلك ومن اجل تسهيل دراسة هذا الموضوع ارتأينا تقسيم هذا الموضوع الى ثلاثة مباحث أساسية وهي كالأتي:

المبحث الأول: الجرائم ضد الإنسانية وقوانين معاقبة مرتكبيها وفقاً للقوانين الدولية

المبحث الثاني: المساهمة في الجريمة الجنائية الدولية.

المبحث الثالث: المبادئ القانونية التي تحكم عمل المحكمة والتي يجب مراعاتها:

المبحث الأول

الجرائم ضد الإنسانية (وقوانين معاقبة مرتكبيها على وفق القوانين الدولية)

كانت ولا تزال مراعاة المصالح السياسية العليا للدول وتقرير حد ادنى من التنظيم القانوني الذي يستجيب لمبادئ الإنسانية هي المحرك الأساس للجهود الدولية في مجال تنظيم العلاقات بين الدول والشعوب خصوصاً عندما يتعلق الامر بالمنازعات المسلحة.

وفي هذا المبحث سنتناول التعريف بالجرائم ضد الإنسانية والدور الذي يمكن ان تلعبه المحكمة الجنائية الدولية في مجال ضمان جدية المحاكمة ومعاقبة مرتكبي جرائم الحرب، باعتبار ان المحكمة احد اهم الاليات الدولية لضمان تطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني لقمع الانتهاكات الجسيمة لهذا القانون، لهذا أنشئت المحكمة الجنائية لمنع افلات مرتكبي الجرائم الدولية من العقاب، الامر الذي يعني ان مسؤولية إقامة العدالة لقمع بعض الجرائم هي مسؤولية دولية وليست وطنية فقط. هذا من جهة، ومن جهة أخرى جاء انشاء المحكمة للرد على تجاهل الدول لالتزاماتها في مجال قمع الجرائم الدولية سواء بسبب عدم الرغبة او عدم القدرة. فبدلاً من انشاء محاكم دولية خاصة او محاكم مختلطة خاصة بكل حالة من حالات المنازعات الدولية او الداخلية التي تنتج عنها انتهاكات فاضحة لقواعد القانون الدولي الإنساني، مع ما يصاحب ذلك من انتقائية، لا تطال جميع المنازعات، تكون المحكمة الجنائية الدولية هيأة دائمة تتولى مهمة قمع الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي التي ترقى الى مستوى الجرائم الدولية. وذلك تطبيقاً للولاية الجنائية الدولية على الجرائم الماسة بالمصالح والقيم العليا للجماعة الدولية ككل[1].

---

(1) –الدكتور شريف عتلم، المحكمة الجنائية الدولية المواءمات الدستورية والتشريعية، ٢٠٠٣، ص١٦٢.

وعلى هذا الأساس فان أهمية المحكمة الجنائية تنبع من أهمية أهدافها، وقدرتها على تحقيق هذه الأهداف ترتبط بما منحتها الدول من سلطات وما يمكن في المستقبل ان تواجهه من صعوبات.

فلا بد إذن من تعريف جرائم الحرب وطبيعة اختصاص المحكمة ونطاقها وقواعد الاختصاص الزماني والمكاني لها.

المطلب الأول

التعريف بجرائم الحرب (الجرائم ضد الإنسانية)

مصطلح جرائم الحرب ينصرف للدلالة على الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني فهي تشمل اعمالاً تحمل هذا الوصف طبقاً لاتفاقيات جنيف الأربع ١٩٤٩م والبروتوكول الإضافي الأول ١٩٧٧م الملحق بها. وتستلزم هذه الانتهاكات التي وصفت بالجرائم في المادة (٨٥) من البرتوكول الأول، مسؤولية الدول الأطراف عن اصدار التشريعات الضرورية لمعاقبة مرتكبيها او من يأمر بارتكابها، وملاحقتهم قضائياً بغض النظر عن جنسياتهم ومحاكمتهم او تسليمهم لأي من الدول الأطراف لمحاكمتهم (المواد.٧٩ من الاتفاقية الأولى، ٥٠ من الاتفاقية الثانية، ١٢٩ من الاتفاقية الثالثة، ١٤٦ من الاتفاقية الرابعة) والمادة (٨٦ من لبروتوكول الإضافي الأول)(١).

هذا فيما يتعلق بالمنازعات المسلحة الدولية، وفيما يتعلق بالمنازعات المسلحة الداخلية فان المادة (الثالثة) من الملحق لاتفاقيات جنيف ١٩٧٩م والبروتوكول الإضافي الثاني المكمل لها لم تعط نصوصها وصف الانتهاكات الجسيمة او جرائم الحرب، إلا ان الممارسات الدولية لما بعد الحرب الباردة وقرار مجلس الامن رقم (٩٥٥) بشان انشاء المحكمة الدولية الخاصة برواندا سنة ١٩٩٤، قد تضمن النص على تجريم الانتهاكات الجسيمة للمادة (٣) المشتركة لملحق اتفاقيات جنيف ١٩٧٩،

---

(1) – الراوي ،الدكتور جابر إبراهيم ، المنازعات الدولية، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٨، ص٧٧.

والبروتوكول الإضافي الثاني ١٩٧٧م، الامر الذي أصبحت معه هذه الانتهاكات جرائم حرب، حيث تأكدت بنص المادة (٨) من النظام الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية(١).

وعلى الرغم من ان نص المادة الأولى المشتركة في ملحق اتفاقيات جنيف ١٩٧٩م يقتضي ان " تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة، بان تحترم هذه الاتفاقية وتكفل احترامها في جميع الأحوال " والمادة (٨٩) من البرتوكول الإضافي الأول تفرض على جميع الدول التعاون فيما بينها ومع منظمة الأمم المتحدة لقمع هذه الانتهاكات وبالتالي يكون التزام الدول بمنع وقمع جرائم الحرب التزاماً مطلقاً وعلى سبيل التضامن. إلا ان تنفيذ هذه الالتزامات واقعياً يصطدم بالكثير من العقبات القانونية منها والسياسية فلا تتم الملاحقة القضائية إلا نادراً بالمقارنة مع كثرة الانتهاكات وان تمت فهي في الغالب صورية، وحتى بالنسبة للدول التي تبنت بمقتضى تشريعاتها الداخلية مبدأ الاختصاص العالمي وفقاً لنص اتفاقيات جنيف والبروتوكول الإضافي الأول التي تعكس القواعد الإنسانية المعترف لها بالسمة العرفية تراجعت في تطبيقه نظراً للضغوط السياسية(٢).

ويعود ذلك الى الطبيعة الخاصة لجرائم الحرب فهي اعمال غالباً ما تتم باسم الدول ونيابة عنها وهي بالتالي قد يدعى بأنها في اطار عمليات متصلة بالمصالح العليا للدفاع الوطني(٣) وأداء الواجب وما الى ذلك من اعتبارات. كما ان هذه الاعتبارات تؤدي

---

(1)- الدكتور صلاح الدين عامر، قانون التنظيم الدولي- النظرية العامة- الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية ١٩٨٤، ص٢٠١.

(2)- الدكتور صلاح الدين عامر ، مرجع سابق، ص٢٠٣.

(3) - آل عيون، الدكتور عبد الله محمد ، نظم الامن الجماعي في التنظيم الدولي الحديث، دراسة تحليلية وتطبيقية- دار البشير عمان، الأردن، ١٩٨٥، ص٤.

في الغالب اما الى عدم اصدار التشريعات الداخلية اللازمة لتنفيذ الملاحقة القضائية، او التساهل والتباطؤ في تفعيل الإجراءات اللازمة لنجاح الدعاوي القضائية(١).

المطلب الثاني
طبيعة اختصاص المحكمة الجنائية ونطاقه

حددت ديباجة النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية هدفها وطبيعة اختصاصها بالقول ان الدول الأطراف: "اذ تؤكد على ان اخطر الجرائم التي تثير قلق المجتمع الدولي بأسره يجب الا تمر دون عقاب وانه يجب ضمان مقاضاة مرتكبيها على نحو فعال من خلال تدابير تتخذ على الصعيد الوطني وكذلك من خلال تعزيز التعاون الدولي. وقد عقدت العزم على وضع حد لإفلات مرتكبي هذه الجرائم من العقاب وعلى الاسهام بالتالي في منع هذه الجرائم... وإذ تذكر بان من واجب كل دولة ان تمارس ولايتها القضائية الجنائية على اولائك المسئولين عن ارتكاب جرائم دولية... عقدت العزم لبلوغ هذه الغايات ولصالح الأجيال المقبلة على انشاء محكمة جنائية دولية دائمة... ذات اختصاص على الجرائم الأشد خطورة والتي تثير قلق المجتمع الدولي بأسره... وإذ تؤكد ان المحكمة الجنائية الدولية المنشاة بموجب هذا النظام الأساسي ستكون مكملة للولايات القضائية الجنائية الوطنية في انشاء نظام دائم للعدالة الدولية ذي قاعدة دائمة ومستمرة يعد أمراً صحياً...(٢).

ويتضح من هذا الاقتباس ان سبب وجود المحكمة وهدفها الأساسي هو منع افلات مركبي اشد الجرائم خطورة من العقاب. وان اختصاص المحكمة مكمل

---

(1)- بسيوني ،الدكتور محمد شريف ، المحكمة الجنائية الدولية- مدخل لدراسة احكام وآليات الانفاذ الوطني للنظام الأساسي، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٤، ص١٩٨.

(2)- بسيوني ، ، مرجع سابق، ص١٢٦.

للاختصاص الوطني لتحقيق هذا الهدف، وبالتالي فاختصاص المحكمة محدد موضوعياً بأشد الجرائم الدولية خطورة واجرائياً بأولوية الاختصاص الوطني.

وقبل ان تمارس المحكمة اختصاصها، بشان جريمة ما يجب ان تكون الجريمة محل الاتهام قد ارتكبت في إقليم دولة طرف او بمعرفة احد رعاياها وبالإضافة الى ذلك فللمحكمة الجنائية الدولية ان تمارس اختصاصها عندما توافق دولة ليست طرفاً على اختصاص المحكمة وتكون الجريمة قد ارتكبت في إقليم هذه الدولة او يكون المتهم احد رعاياها(١).

ويقوم اختصاص المحكمة الجنائية الدولية على مبدأ الاختصاص الجنائي الإقليمي وليس على أساس نظرية عالمية الاختصاص الجنائي، ومن الثابت بوضوح في القانون الدولي انه عندما ترتكب جريمة في إقليم دولة ما فانه يمكن محاكمة الجاني حتى ولو كان ذلك الشخص ليس احد رعايا هذه الدول، وبسبب ذلك المبدأ يجوز لدولة ما ان تقوم بتسليم شخص ليس من رعاياها الى دولة أخرى لمحاكمته، وبناء على ذلك يكون لكل دولة الحق- طبقاً لمعاييرها الدستورية- ان تنقل الاختصاص الى دولة أخرى يكن لها الاختصاص على شخص متهم بارتكاب جريمة، ويكون نقل الاختصاص هذا ممارسة صحيحة تماما للسيادة الوطنية، وبصفة عامة فان هذا النقل يجب ان يتم طبقاً للمعايير الدولية لحقوق الإنسان وهكذا فان المحكمة الجنائية الدولية- فيما يتعلق بمحاكمة احد الرعايا لدولة ليست طرفاً والذي يرتكب جريمة في إقليم دولة طرف- لا تشترط شيئاً اكثر مما هو قائم بالفعل في الممارسة المعتادة للدول(٢).

وبما ان المحكمة الجنائية الدولية مكملة للاختصاص الجنائي الوطني، فان تسليم الدول الأطراف شخصاً الى المحكمة الجنائية الدولية تنفيذاً للمعاهدة، لا يقلل من سيادتها الوطنية، ولا ينتهك السيادة الوطنية لدولة أخرى (مثل دولة جنسية الجاني او

---

(1)- انظر نص المادة ١٢٥ من النظام الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

(2)- بسيوني ، مرجع سابق، ص١٢٦.

المجنى عليه)، ولا ينتهك حقوق الشخص الذي تنقل محاكمته الى الاختصاص الجنائي المختص (الذي سوف يمارس لولايته وفقاً للمعايير الدولية لحقوق الانسان)، وهذا يتطلب التركيز على:

أولاً: الاختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدولية.

كان أساس انشاء المحكمة للوقوف ضد اكثر الجرائم الدولية خطورة لهذا فان التوسع في نطاق اختصاصها لم يكن وارداً منذ البداية، الا ان أهمية النظام الأساسي للمحكمة كونه اول وثيقة دولية متكاملة حددت الجرائم الدولية بشكل عام عد بمثابة تدوين لقواعد القانون الدولي العرفي في هذا المجال، وبحكم عدد الدول المشتركة في مؤتمر روما قد جعل الجرائم المستبعدة منه في وضع ثانوي او على الأقل أصبحت سمتها العرفية محل خلاف.

ومع ان نص المادة (٨) من النظام الأساسي المتعلقة بجرائم الحرب قد تضمن جميع الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني كما وردت في اتفاقيات جنيف ١٩٤٩ والبروتوكولين الاضافيين لسنة ١٩٧٧م. الا ان الطبيعة التوافقية لإقرار النظام الأساسي قد أدت الى ادارج توصيف يحد من اختصاص المحكمة موضوعياً بشان جرائم الحرب، حيث ورد في بداية المادة (٨) النص على ان " يكون للمحكمة اختصاص فيما يتعلق بجرائم الحرب، ولاسيما عندما ترتكب في اطار خطة او سياسة عامة او في اطار عملية ارتكاب واسعة النطاق لهذه الجرائم". كما ان هذه المادة لم تتضمن استخدام الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية ضمن جرائم الحرب المنصوص عليها. (١)

([1]) –أنظر نص المادة ٨ من النظام الاساس للمحكمة الجنائية الدولية؛ حازم محمد علتم، نظام الادعاء امام المحكمة الجنائية الدولية ، تحدي الحصانة، ٢٠٠٣ ص ٢٢٢.

هذا بالإضافة الى ما تضمنته المادة "٩٨" بشان حصانة رؤساء الدول او موظفيها السامين اذا كانت الدولة غير طرف في النظام الأساسي، وعدم تسليم مواطني هذه الدول المتهمين اذا كانت هناك اتفاقية دولية تقتضي خلاف ذلك معقودة بين الدولة الطرف ومثل هذه الدول.

كما يشمل اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، في الوقت الراهن، من حيث الموضوع وفقاً لنص المادة (٥) ثلاث جرائم دولية محددة بشكل دقيق، وهي:

جريمة الإبادة الجماعية، وجرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية، هذه الجرائم الثلاث الموجودة حاليا ضمن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية معرفة في المواد ٦ و ٧ و ٨ ، وهي متوافقة مع القانون الجنائي الدولي القائم وكذا مع مفهوم قانون الشعوب، الملزم لجميع الدول كقواعد تحمل التزامات بحيث لا يجوز للدولة التقليل من شأنها، ويدرج النظام الأساسي أيضاً جريمة العدوان والتي يجب تعريفها، ومن ثم فهي تخضع لاختصاص المحكمة الجنائية الدولية وعلاوة على ذلك فأن للمحكمة أيضاً اختصاصا بالجرائم التي ترتكب ضد إقامة العدالة ولها أن تقضي بعقوبات في هذا الخصوص كما في المادتين ٧٠ و ٧١ والمادة السادسة تعرف الإبادة الجماعية وفقاً لاتفاقية ١٩٤٨ الخاصة بمنع جريمة الإبادة الجماعية المعاقبة عليها، والتي تم التصديق عليها من قبل ١٢٣ دولة.

وتعرف المادة السابعة من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الجرائم ضد الإنسانية بطريقة اكثر تفصيلاً تحديداً بما يعكس التطور السريع لقانون العرف الدولي وفقاً للمادة ٦ (ج) من ميثاق نورمبرغ والمادة الخامسة من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا السابقة المادة الثالثة من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية

الدولية لرواندا، والتفصيل الوارد بنص مادة النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية يعطي مزيداً من الدقة ويعكس التطور الملحوظ في القانون العراقي(١).

وهنا تجدر ملاحظة وجوب توافر الأركان الآتية في الجرائم ضد الإنسانية(٢).

أ- ان تكون هناك سياسة دولة او سياسة من قبل منظمة غير حكومية.

ب- ان تكون الجريمة من الجرائم المذكورة والمحددة حصراً في النظام الأساسي للمحكمة.

ت- ان ترتكب هذه الجرائم على نطاق واسع او اساس منهجي.

وهو ما يبرز أهمية ركن السياسة حيث يعد المحك في تحديد الاختصاص الذي قد يؤدي الى تحويل الجرائم من جريمة وطنية على جريمة دولية، ان الهجوم الموجه ضد سكان مدنيين هو ما يقصد به تكرار ارتكاب الاعمال المشار اليها المادة السابعة الفقرة الأولى من النظام الأساسي ضد السكان المدنيين ووفقاً لسياسة الدولة او المنظمة الهادفة لارتكاب هذا الهجوم وهذا الفعل لا يقتضي تضمنه هجوماً عسكرياً مما يعني ان " سياسة ارتكاب ذلك الهجوم" تتطلب ان تقوم الدولة او المنظمة فعلا على دعم او تشجيع ذلك الهجوم ضد السكان المدنيين(٣).

ثانياً: قواعد الاختصاص الموضوعي للمحكمة

تمارس المحكمة اختصاصها على الأشخاص الذين يرتكبون اشد الجرائم خطورة التي هي موضع الاهتمام الدولي، ويقتصر اختصاصها على اشد الجرائم خطورة والتي هي في موضع اهتمام المجتمع الدولي بأسره.

الجرائم الداخلة في نطاق اختصاص المحكمة الجنائية الدولية بالجدول الاتي(٤):

---

(1)- انظر نص المادة ٧ من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

(2)-بسيوني ، مرجع سابق، ص٣٥.

(3)- المرجع نفسه، ص٣٦.

(4- المرجع نفسه، ص٣٦.

الإبادة الجماعية	جرائم ضد الانسانية	جرائم الحرب	العدوان
معرفة في المادة السادسة -تأخذ بنفس نهج المادة ٢ من اتفاقية الإبادة الجماعية	-معرفة في المادة السابعة. - القاعدة العامة تقتضي ان تكون الجريمة قد ارتكبت في اطار هجوم واسع النطاق او منظم ضد مجموعة من المدنيين مع العلم بهذا الهجوم.	معرفة في المادة الثامنة. القاعدة العامة تضع بعض الدلائل على ارتكاب الجريمة على سبيل المثال لا الحصر مثل وجود سياسة وخطة او ترتكب الجريمة على نطاق واسع. الانتهاكات الجسيمة لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ (المادة ٨ فقرة ٢ بندا). الانتهاكات الجسيمة للقوانين والأعراف المطبقة في التراعات الدولية المسلحة (المادة ٨ فقرة ٢ بند ب). والتراعات المسلحة الداخلية (المادة ٨ فقرة ٢ بند ج، هـــ). يعاد النظر في احكام هذه المادة بعد سبع سنوات (المادة ١٢٤)	- سوف ينعقد اختصاص المحكمة بعد وضع صياغة محددة الجريمة والضوابط انعقاد اختصاص المحكمة (المادتين ١٢١ و ١٢٣ مراجعة وتعديل النظام الأساسي) تبني نصوص متوافقة مع النصوص الواردة بميثاق الأمم المتحدة.

ثالثاً: الحدود الإجرائية:

يأتي مبدأ الاختصاص التكميلي للمحكمة الجنائية الدولية كأحد اهم الحدود الإجرائية على اختصاصها. فالمحكمة لا تمارس اختصاصها إلا عند عدم ممارسة الدول الأطراف لاختصاصاتها، وهذا المعيار يحكم مقبولية الدعوى امام المحكمة، ومع ان عدم القدرة او عدم الرغبة "Unwilling" " Unable" يرجع تحديدها للمحكمة نفسها وهي بالتالي تتضمن سلطة بيد المحكمة للرقابة على ممارسة الدول الأطراف لاختصاصها القضائي(١)، إلا ان ارتباط اختصاص المحكمة بالاختصاص الوطني للدول الأطراف باعتباره مكملاً له، من شانه الحد من نطاق

(1)- انظر نص المادة ١٧ من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

اختصاص المحكمة بطريقة أخرى، فبالنظر الى ان المبرر القانون لاختصاص المحكمة بمحاكمة رعايا دولة ليست طرفاً هو ان اختصاصها تكميلي لاختصاص الدول الأطراف، فإذا كانت الدولة الطرف في النظام الاساسي تملك اختصاص محاكمة رعايا دولة ثالثة بناء على مبدأ الاختصاص الإقليمي، فأنها تكون قد احالت اختصاصها على المحكمة بناء على النظام الأساسي، ومتى كانت الدول الأطراف تملك الاختصاص الإقليمي على رعايا دولة ثالثة فللمحكمة هذا الاختصاص عند عدم قدرة او رغبة الدولة الطرف في ممارسة اختصاصها، هذا المبرر يوسع من نطاق اختصاص المحكمة تجاه الدول غير الأطراف، إلا انه في نفس الوقت يجعل اختصاص المحكمة مقيداً في هذه الحالة بالقيود الواردة على اختصاص الدولة الطرف مثل قيد الحصانات الدبلوماسية لرعايا الدول غير الأطراف. وهذا ما يجعل اختصاص المحكمة مقيداً بهذه الحصانات كلما تعلق الامر برعايا دولة غير طرف(١).

المطلب الثالث

قواعد الاختصاص الزماني والمكاني للمحكمة الجنائية

ان اختصاص المحكمة الجنائية الدولية مستقبلي فقط حسب المادتين (١١و ١٢) ولذلك لا يسري اختصاصها على الجرائم التي ارتكبت قبل سريان المعاهدة، وفيما يتعلق بالدول التي تنضم الى المعاهدة فان اختصاص المحكمة الجنائية الدولية ينطبق فقط على الجرائم التي ترتكب بعد انضمام الدولة(٢).

ويسري النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية عندما يتم التصديق على الانضمام للمعاهدة بمعرفة (٦٠) دولة، وعلى وجه التحديد في اليوم الأول من الشهر بعد اليوم الستين التالي لايداع وثيقة التصديق الستين وبالنسبة للدول التي تنظم بعد سريان المعاهدة، فان التاريخ الفعلي للسريان بالنسبة لتلك الدول هو اليوم الأول من الشهر الذي يلي ٦٠ يوما من إيداع تلك الدول وثائق التصديق(٣).

---

(1) --د.شريف عتلم ، مرجع سابق، ص٢١٥.

(2) -انظر نص المادتين ١١ و ٤٢ من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

(3)- انظر نص المادة ١٢٦ من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

المبحث الثاني

المطلب الأول

المساهمة في الجريمة الجنائية الدولية

ان ارتكاب الشخص للفعل تنفيذاً لأوامر الحكومة او قائده الأعلى لا يعفيه من المسئولية الجنائية وان كان يمكن ان يكون ذلك سبباً لتخفيف العقاب اذا رأت المحكمة ان العدالة تحتم ذلك، او كانت تحت وطأة النظام القانوني بتنفيذ تلك الأوامر او كان لا يعلم انها غير مشروعة او لم يكن الامر غير مشروع بطريقة واضحة (وتكون الأوامر بإبادة الجنس الجرائم ضد الإنسانية غير مشروعة بطريقة واضحة)(١).

النظام القانوني الدولي كأي نظام قانوني اخر يفرض التزامات قانونية واجبة التنفيذ على أشخاصه ويتحمل اشخاص القانون الدولي مسئولية عدم الوفاء بالالتزامات الدولية، وبالتالي تترتب مسئولية الدولة، وحتى تسال الدولة فلا بد- كونها من اشخاص القانون الدولي- ان يثبت انها خرقت احد الالتزامات الدولية، وفي الوقت ذاته لا بد من اسناد ذلك الفعل غير المشروع اليها، ويختلف الامر بالنسبة للدولة عن الافراد.

والمسؤولية الدولية- للفرد- تقتضي فرض التزامات عليه، وهو ما اشارت اليه محكمة نورمبرج، بعد التعرض لنص المادتين السابعة والثامنة من ميثاق المحكمة، ثم قضت بان " المعنى الحقيقي للميثاق يقضي بان الافراد ملتزمون بالتزامات دولية تفرق عن الالتزامات الوطنية التي تفرضها قوانين الدولة، وان من يخرق قوانين الحرب لا يمكن ان يتمتع بحصانة تتأتى من كونه نفذ عملاً طبقاً لسلطان الدولة، ذلك لان الدولة

---

(1) -انظر نص المادة ٣٣ من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

تكون قد تجاوزت اختصاصاتها المرسومة بموجب قواعد القانون الدولي ان فوضت على ارتكاب مثل هذه الأعمال(١).

وفي الوقت الحالي، يمكن القول ان المسؤولية الجنائية للفرد عن الجريمة الدولية أصبحت مستقرة وتعد مبدأ من مبادئ القانون الدولي المعاصر، ذلك لان الحرب العدوانية في الوقت الحالي تحرك المسؤولية الدولية والمسؤولية الجنائية للأشخاص، بل اكثر من ذلك فان جرائم بعض الأشخاص قد تصل الى حد الاخلال بالسلم والامن الدوليين نظراً لأضرارها البالغة. ولا شك ان تكريس المسؤولية الجنائية للفرد والدولة معاً عن الجريمة الدولية يؤدي في النهاية على حماية المصلحة المحكمية بالنصوص المجرمة للأفعال المنسوبة الى الفرد والدولة، علماً بان المسؤولية الفردية تحرك غالباً في نطاق المسؤولية الجنائية للدولة- الشخص المعنوي- الذي ينتمي اليه، وذلك كما حدث بالنسبة لمجرمي الحرب في المانيا- في محاكمات نورمبرج- عقب الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥، وكذلك مجرمي الحرب في طوكيو باليابان في ذات التوقيت(٢).

وكانت اهم المبادئ التي توصلت اليها لجنة القانون الدولي هي:

١- كل شخص يرتكب فعلاً، يعد جناية حسب القانون الدولي، يسال عنه وتطبق عليه عقوبة ذلك الفعل- ويعد ذلك اعمالاً لمبدأ شخصية الجريمة والعقوبة، فمرتكب الجريمة مسئول عنها بصفته الشخصية.

٢- ان عدم معاقبة القانون الوطني على فعل يعتبره القانون الدولي جناية، لا يمنع مسئولية هذا الفاعل حسب القانون الدولي.

٣- ان اقتراف الفرد لجناية دوليه، بوصفه رئيساً للدولة او حاكماً، لا يعفيه من المسئولية حسب قواعد القانون الدولي.

---

(1) – السعدي ،الدكتور عباس هاشم ، مسؤولية الفرد الجنائية عن الجريمة الدولية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص٢٠٩.

(2) – السعدي ، مرجع سابق، ص٢١٥.

٤- ان ارتكاب الجريمة بناءً على امر من حكومة الفاعل او من رئيسه التسلسل الوظيفي، لا يخلصه من المسئولية في القانون الدولي.

٥- كل شخص اتهم بارتكاب جريمة من جرائم القانون الدولي، يخضع لمحاكمة عادلة سواء كان ذلك بالنسبة لوقائع أو للقانون، وهذا الحق يكرس مبدأ مراعاة محاكمة جنائية عادلة لكل من هو متهم بارتكاب جريمة دولية ويجب ان يضمن له فيها حق دفاعه عن نفسه، وقد تبنى نظام روما الأساس في شان المحكمة الجنائية الدولية هذا المبدأ كذلك(١).

إلا ان هناك جدل أثير حول المسؤولية الجنائية للفرد عن الجريمة الدولية، فقد اثير ذات الجدل حول المسؤولية الجنائية الدولية، وانقسم الفقه في شان هذه المسالة إلى مؤيد ومعارض.

فالذين ايدوا فكرة المسئولية الجنائية للدولة دون غيرها، اسقطوا المسئولية الجنائية عن الفرد بصفته فرداً تأسيساً على ان الدولة هي المسئولة دون غيرها ، وقد كان ذلك مثاراً وبقوة حال محاكمة مجرمي الحرب العالمية الثانية- في نورمبرج- عام ١٩٤٥، حين اثار احد المدافعين، ان الدولة الألمانية وحدها هي المسئولة جنائياً ومدنياً عن جرائم الحرب العالمية الثانية.

والحقيقة ان المسؤولية الجنائية الدولية، أثيرت عدة مرات امام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وأمام لجنة القانون الدولي، خاصة عندما تقدمت –بريطانيا- امام اللجنة السادسة التابعة للجمعية العامة، باقتراح لتعديل المواد الخامسة والسابعة والعاشرة، من مشروع اتفاقية جريمة إبادة الجنس، وتقرير المسئولية الجنائية للدولة عن الجرائم التي تتضمنها هذه ألاتفاقية ولكن هذا الاقتراح لم يكتب له النجاح.

---

(1) – حجازي ،عبد الفتاح بيومي ، المحكمة الجنائية الدولية " دراسة متخصصة في القانون الجنائي الدولي- النظرية العامة للجريمة الجنائية الدولية- نظرية الاختصاص القضائي للمحكمة"، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص١٠٣- ١٠٤.

ونخلص الى ان نظام روما الأساسي في شأن المحكمة الجنائية الدولية تبنى بشكل أساسي المسئولية الجنائية للأفراد دون الدول في نطاق القانون الجنائي الدولي، عملاً بقواعد القانون الدولي، لكن لم تتبن الاتفاقية المذكورة صراحة مبدأ المسئولية الجنائية للدول، وهو ما كان ينادي به البعض، وأثير خلال محاكمات الحرب العالمية الثانية، لكن في النهاية، انتصر الرأي الذي نادى بعد المسئولية العقابية للدول لاعتبارات قانونية عملية، وانه من الملائم حصر هذه المسئولية في نطاق الأشخاص الطبيعيين بأشخاصهم وصفاتهم مع عدم منحهم حصانات تؤدي للإفلات من الجرائم المنسوبة اليهم.

المطلب الثاني

المساهمة الاصلية في الجريمة الجنائية الدولية

وفقاً للقواعد العامة فان المساهمة الاصلية في الجريمة تعبير ينصرف الى كل شخص طبيعي يقوم بالنشاط المادي او السلوك الاجرامي الذي تتحقق به الجريمة كما نص على النموذج الخاص بها في قوانين العقوبات الوطنية، يستوى في ذلك ان يقوم المساهم او الفاعل الأصلي بالسلوك الاجرامي وحده او مع غيره، او تواجد على مسرح الجريمة واتى فعلا لا يدخل ضمن السلوك المادي في الركن المادي للجريمة، لكنه لا يقل أهمية عن هذا الدور.

والى جانب المساهمة الاصلية، فهناك المساهمة التبعية او الاشتراك في الجريمة وصورها الاتفاق والتحريض والمساعدة.

وقد أورد الدكتور عبد الفتاح بيومي حجازي صور للمساهمة الاصلية في الجريمة الجنائية الدلوية، يمكن ايجازها وتلخيصها بالاتي(١):

---

(1)- حجازي ، مرجع سابق ص١١٠-١١٦.

اولاً: المساهم الأصلي- الفاعل- يرتكب الجريمة وحده:

ونص على هذه الصورة في الفقرة ٣/أ على انه " ارتكاب هذه الجريمة سواء بصفتها الفردية.." ويقصد بذلك ان فاعل الجريمة يرتكب الركن المادي لهذه الجريمة وحده دون مساعدة من اخر.

ويقصد بالجرائم تلك الأفعال التي تعد جريمة حسب نظام روما الأساسي وهي جرائم الإبادة الجماعية، وكذلك جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية. ويعد الفاعل مرتكباً للجريمة وحده، متى قام بالسلوك الاجرامي او النشاط الاجرامي فيها، الجاني وحده دون غيره، حتى ولو ساعده اخر فيما يتعلق بالأعمال التحضيرية للجريمة حيث ان الاعمال التحضيرية لا تعد عنصراً من عناصر الركن المادي، وهي لسلوك الاجرامي والنتيجة الإجرامية وعلاقة السببية بينهما.

ونرى ان مفهوم الفاعل الأصلي الذي يرتكب الجريمة وحده في القانون الجنائي الوطني، يتفق مع مفهوم الفاعل الأصلي الذي يرتكب الجريمة وحده، والتي ورد النص عليها في نظام روما الأساسي في شان المحكمة الجنائية الدولية.

ثانياً: المساهم الأصلي يرتكب الجريمة مع آخر وكلاهما مساهم اصلي في الركن المادي للجريمة:

اكد نظام روما الأساسي على ان " ارتكاب هذه الجريمة، سواء بصفته الفردية او بالاشتراك مع اخر..."(١).

ويفهم من هذا النص بالاشتراك مع آخر اذ ان يكون مع المساهم الأصلي مساهماً اصلياً، يساعد في إتمام السلوك الاجرامي في الجريمة، متى كان الركن المادي في الجريمة يتكون من عدة أفعال واتى كل من المساهمين فعلاً من هذه الأفعال التي تدخل في عداد الركن المادي للجريمة، ومثال ذلك ان يقوم احدهم بإمساك المجني عليه ويقوم بالجريمة،

---

(1) –انظر نص الفقرة (٣أ) من المادة ٢٥ من نظام روما الأساسي.

ومثال ذلك ان يقوم احدهم بإمساك المجني عليه ويقوم الثاني بقتله، او يقوم احدهم بإعاقة هروب المجني عليهم ثم يقوم الاخر بإشعال النار فيهم حتى الموت وذلك ضمن جرائم الإبادة الجماعية المنصوص عليها في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

ويقصد بالاشتراك ان يكون المساهم الاخر تبعياً في احدى صور المساهمة التبعية وهي التحريض او الاتفاق او المساعدة.

ثالثاً: المساهم الأصلي الذي يرتكب جريمة عن طريق شخص اخر (الفاعل المعنوي):

تعني هذه النقطة ليس له سوى تلك الصورة التي يقدم فيها الفاعل الأصلي على ارتكاب جريمته عن طريق صغير او مجنون او شخص حسن النيه، ويكون المجنون او الصغير او حسن النيه بمثابة أداة في ارتكاب هذه الجريمة، اما الفاعل الأصلي، فهو المساهم الأصلي الذي سخر غيره لارتكاب هذه الجريمة، ويطلق على المساهم الأصلي اسم الفاعل المعنوي للجريمة.

رابعاً: الشروع في الجريمة:

ويعرف الشروع في الجريمة بانه ذلك السلوك الذي يهدف به صاحبه الى ارتكاب جريمة معينة كانت لتقع بالفعل لولا تدخل عامل خارج عن إرادة الفاعل حال في اللحظة الأخيرة دون وقوعها، فالشخص الذي شرع في الجريمة هو في الحقيقة مجرم بكل معنى هذه الكلمة، لان وقوع الجريمة منه كان قد صار قاب قوسين او أدنى وإذا كانت الجريمة قد تخلفت في صورتها التامة، فإنما يرجع هذا الى تدخل عامل لا شان لإرادته فيه، وهو الذي حال دون تحقيقها.

كما جرم المشرع في نظام روما الأساسي، الشروع في ارتكاب الجريمة، سواء وقع الشروع من المساهم الأصلي او التبعي في هذه الجريمة(١)، حيث جاء " الامر او الاغراء بارتكاب او الحث على ارتكاب جريمة وقعت بالفعل او شرع فيها".

وهذه الصور هي الاتفاق للتحريض والمساعدة وان المساهم التبعي، على النحو المذكور قد يسال في الجريمة الدولية التي ساهم فيها سواء وقعت كاملة او عند حد الشروع، وسواء وقع هذا الشروع من المساهم الأصلي في الجريمة او المساهم التبعي، وسواء تمثلت مساهمته في التحريض او الاتفاق او المساعدة.

(1)- انظر نص الفقرة (٣/ب) من المادة ٢٥ من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

المبحث الثالث

المبادئ القانونية التي تحكم عمل المحكمة او يجب عليها مراعاتها

هناك عدة مبادئ تقوم عليها المحكمة الجنائية الدولية فمنها مبدأ التكاملية بمعنى ان قاعدة تدخل المحكمة الدولية يعتبر امراً مكملاً للمحاكم الوطنية، كما ان المحكمة الدولية لا تتم اذا كان الشخص قد تمت محاكمته امام المحكمة الوطنية التابعة لدولته، وبشرط ان تكون هذه المحاكمة جدية وتم فيها مراعاة أصول المحاكمات الواجبة.

كما تقوم على مبدأ التعاون الدولي اذ ان على الدول ان تتعاون مع المحكمة بطريقة كاملة بخصوص التحقيقات التي تجريها والمعاقبة على الجرائم التي تدخل في اطار اختصاصها، كذلك على الدول ان تستجيب لأي طلبات خاصه بالقبض على شخص او تسليمه، وقد ذكرت المادة (٩٠) ما يجب اتباعه عند تعدد الطلبات بخصوص تسليم شخص أي طلب المحكمة تسليم شخص قدمت دولة أخرى الى الدولة المطلوب منها التسليم تسليمه اليها أيضا.

ورغبة في رفع الحرج عن الدولة المطلوب منها المساعدة او التسليم بخصوص اشخاص يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية او القنصلية او أولئك الذين يؤدي تسليمهم الى انتهاك الدولة لالتزاماتها تجاه دولة ثالثة، فجرى التأكيد على ان تسعى المحكمة الى الحصول أولا على موافقة هذه الدولة الاخيرة(١).

كما يجب على المحكمة ان تلتزم بمبدأ المحاكمة الواجبة والعادلة، من خلال مبدأ عدم جواز المعاقبة عن ذات الفعل مرتين ومبدأ الشرعية او مبدأ لا جريمة إلا بنص معنى ذلك ان الشخص لا يكون مسئولاً جنائياً إلا عن الفعل الذي يرتكبه، كما يجب

---

(1) –د.شريف عتلم ، مرجع سابق ص٣٠–٣٤.

الالتزام بمبدأ لا عقوبة إلا بنص ومبدأ عدم الرجعية الشخصية وعدم اختصاص المحكمة بالنسبة للأشخاص الذين لم يبلغوا ثمانية عشر عاماً وقت ارتكاب الجريمة.

كما تقوم المحكمة على مبدأ التخصص اذ لا يمكن محاكمة الشخص الذي تم تسليمه الى المحكمة، معاقبته وسجنه بخصوص أفعال سابقة على تسليمه، غير انه يمكن للدول بناء على طلب المحكمة إعطاء هذه الأخيرة استثناء او خروجا على ذلك(١).

المطلب الأول

سلطة مجلس الامن والتدابير التي يتم اتخاذها

عهد ميثاق الأمم المتحدة الى مجلس الامن مسؤولية حفظ السلم والأمن الدولي، بمعنى ان مجلس الامن اصبح مسؤولاً عن اتخاذ تدابير القمع التي من شانها ردع اية دولة تهدد السلم، او تدخل به، او تقوم بعمل من اعمال العدوان، وقد اعطي المجلس من السلطات ما يمكنه من القيام بهذا الواجب نيابة عن الدول الاعضاء في الامم المتحدة، ومن المسؤوليات التي اضطلع بها مجلس الامن في هذا الشأن مسؤولية صدور قرار بوجود احدى تلك الحالات الثلاث، وهي: ما اذا كان قد وقع تهديد لسلم، او اخلال به، او عمل من اعمال العدوان.

ان تحديد ما اذا كان هناك احدى هذه الحالات الثلاث يتم بقرار ملزم يصدره مجلس الامن بناء على طلب مقدم من عضو او مجموعة من الأعضاء ويتطلب هذا القرار لصدوره الاغلبية الموصوفة، وهي اغلبية تسعة أعضاء من بينهم الاعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الامن.

وقد اعطت الدول المؤتمرة في سان فرنسيسكو مجلس الامن الدولي سلطة تقديرية مطلقة تمكنه من النظر في كل حالة على حدة، ويمكن عن طريقها ان يعد عمل من الاعمال تهديداً للسلم او اخلالاً به، او عدّه عملاً من اعمال العدوان، حيث ان

---

(1)- المرجع نفسه، ص٤٣.

اصدار قرار بشان هذه المسالة من المجلس يعتبر مسالة موضوعية ينبغي ان يتم اتخاذ قرار بشأنها بأغلبية تسعة أصوات من بينها اصوات الاعضاء الدائميين متفقة. والقرار الذي يصدر عن المجلس في مثل هذه الحالة يكون ملزماً للدول الاعضاء في الامم المتحدة، لان اعضاء الامم المتحدة تعهدوا بقبول قرارات مجلس الامن وتنفيذها وفقاً لهذا الميثاق(١).

و لم يضع الميثاق تعريفاً للتهديد للسلم، او اخلالاً به، او تعريفاً للعدوان لكي يسترشد بها مجلس الامن في تكيفه للوقائع المعروضة عليه، ومع ذلك دارت في مجلس الامن مناقشات لتحديد ماهية مدلول الحالات الثلاث، وقد اتسمت هذه التفسيرات بإعطاء معان واسعة وفضفاضة لهذه المصطلحات الثلاثة.

اما بالنسبة لأعمال العدوان فلم يضع ميثاق الامم المتحدة تعريفاً للعدوان، ويرجع ذلك في رأي بعض كتاب القانون الدولي الى ان أي تعريف للعدوان ينطوي على تحكيم جهة قد تعوزه الدقة ثم ان اصطلاح العدوان مرتبط عند تحديده بقواعد المنطق، والعلوم السياسية والقانون، والعلوم العسكرية الامر الذي يسبب الارتباط عند وضع تعريف جامع شامل. ام ان وضع هذا التعريف يؤدي الى التقليل من سلطات مجلس الأمن كما ان مجلس الامن الدولي لم يتبن معياراً معينا للعدوان عند نظره للقضايا التي عرضت عليه.

التدابير التي يتخذها مجلس الامن الدولي:

عالج ميثاق الامم المتحدة موضوع حفظ السلم والأمن الدولي بصفة عامة وعدم الاخلال بقاعدة حظر استخدام القوة، او التهديد بها في العلاقات الدولية بصفة خاصة بأسلوب يختلف عن الاسلوب الذي كان متبعاً في عهد عصبة الأمم وذلك بان اناط مسؤولية حفظ السلم والأمن الدولي، او اعادتهما الى نصابهما بمجلس الأمن

---

(1) – آل عيون، ،مرجع سابق ، ص٩٨.

ومنحه السلطات والصلاحيات بموجب الفصل السابع من الميثاق لتمكينه من القيام بهذه الواجبات. وقد تعهد اعضاء الامم المتحدة بقبول قرارات مجلس الامن وتنفيذها وفق الميثاق، والتزمت هذه الدول بمساعدة الامم المتحدة في أي عمل تتخذه وفق الميثاق، والامتناع عن مساعدة اية دولة تتخذ الامم المتحدة بحقها عملاً من اعمال القمع.

كما تعهد اعضاء الامم المتحدة بتقديم كل المعونة المتبادلة لتنفيذ التدابير التي يقررها مجلس الأمن ولذلك فان مجلس الامن بعد ان يقرر وجود تهديد او اخلال به، او عمل من اعمال العدوان فانه يوصي او يقرر ما يجب اتخاذه من وسائل من اجل ردع المعتدي، ومنعه من العدوان، او وقف العدوان بعد نشوبه، وتشمل هذه الوسائل التدابير المؤقتة، والتدابير غير العسكرية، والتدابير العسكرية التي يقررها مجلس الأمن وهذه التدابير جميعاً تكمل بعضها بعضاً من اجل حفظ السلم والأمن الدولي، او اعادته الى نصابه.

وتمثل هذه التدابير بمجموعها الجانب الايجابي في نظام الامن الجماعي في العمل المشترك من قبل اعضاء الجماعة الدولية التي ينطوي على رد فعل جماعي ضد الدولة، او الدول التي خرجت على مبدأ تحريم استخدام القوة، وأضرت بأمن الدول الاخرى.

واتخاذ تدابير مؤقتة لا تخل بحقوق المتنازعين ومطالبهم، او بمراكزهم، وعلى مجلس الامن ان يدخل في حسبانه عدم اخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة(١).

ويلاحظ على ذلك ان الميثاق لم يحدد نوع التدابير المؤقتة التي قد يدعو المجلس الى اتخاذها، ولهذا ان سلطة مجلس الامن في تقديرها مطلقة سواء من حيث اختياراها او تحديد وقت تطبيقها، ولا يوجد من ضابط مشترك بينها سوى انها لا تخل بحقوق المتنازعين او بمراكزهم، أي انها لا تؤثر في الحقوق التي يدعيها كل طرف لدى الطرف

---

(1) – آل عيون ، مرجع سابق، ص١٠٠-١٠٣.

الآخر ومن خلال تطبيق مجلس الامن لهذه التدابير في كثير من المنازعات الدولية فأنها قد تتمثل في: الامر بإيقاف التجنيد، او الامر بالامتناع عن استيراد الاسلحة او الامر بالابتعاد عن الحدود الى مسافات معينة، او الامر بسحب القوات المتحاربة من منطقة معينة، ومنها ايضا: الامر بوقف اطلاق النار مع سحب القوات المتحاربة من منطقة معينة، او دعوة الاطراف المتنازعة الى اتباع الطرق السلمية لتسوية النزاع، او التوصية بعقد هدنة، وقد يطلب مجلس الامن من الدول التي ليست اطرافاً في النزاع تطبيق ما يرى اتخاذه مناسباً.

المطلب الثاني

العلاقة بين سلطات المحكمة الجنائية والقوانين الوطنية التي تحكم الدول.

هناك عدة ارتباطات بين سلطات المحكمة الجنائية والقوانين الوطنية التي تحكم، ذلك وهذا يتطلب مناقشة ما يأتي:

أ- المسائل العامة التي تثيرها العلاقة بين النظام الاساسي للمحكمة الدولية القوانين والتشريعات الوطنية:

وتتمثل العلاقة بين القانون الدولي، والقانون الداخلي من خلال تنازع تحديد العلاقة بين القانون الدولي والقانون الداخلي من خلال نظريتان: نظرية ثنائية القانون، ونظرية وحدة القانون.

اما بالنسبة لنظرية ثنائية القانون:

فيرى انصار هذه النظرية ان كلا من القانون الدولي والقانون الداخلي يعدان نظامان قانونيان مستقلان ومتساويان ومنفصلان احدهما عن الاخر، وعلى ذلك فانه يجوز دمج احدهما في الآخر او اقامة نوع من علاقات الخضوع بينهما.

وتستند هذه النظرية الى عدة امور اهمها(١):

- ان مصادر القانون مختلفة: اذ ان القانون الداخلي مصدره الارادة المنفردة للدولة او لأجهزتها (السلطة التشريعية مثلاً)، بينما يجد القانون الدولي مصدره في ارادة الدول اعضاء المجتمع الدولي.
- ومن حيث الاشخاص: ينظم القانون الداخلي علاقات الافراد بعضهم ببعض وسواء كانوا اشخاصاً طبيعيين او معنويين او علاقة الافراد بالدولة، بينما ينظم القانون الدولي العلاقات القائمة بين الاشخاص الدولية (دولاً او منظمات دولية او غيرها من الكائنات القانونية الاخرى) سواء وقت السلم او في زمن الحرب.
- ومن حيث الهيكل: يوجد في القانون الداخلي حاكم ومشرع وقضاء (السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية)، بينما القانون الدولي يخلو او يكاد من كل ذلك: اذ لا توجد فيه سلطة تنفيذية او تشريعية مستقلة، او سلطة قضائية تفصل في المنازعات رغما عن ارادة الدولة، وإنما لا بد من الحصول على موافقتها.
- اخيراً، لا يمكن تطبيق القاعدة القانونية الدولية إلا بعد "استقبالها" في القانون الداخلي، وذلك بصياغتها في قالب تشريعي داخلي وبالتالي صيرورتها من قواعد القانون الداخلي.

اما بالنسبة لنظرية وحدة القانون:

يرى انصار هذه النظرية على خلاف النظرية السابقة، اذ ان هناك وحدة منطقية او طبيعية بين القانون الدولي والداخلي، أي ان قواعد كل من القانونين تنتميان الى نظام قانوني واحد.

---

(1)- د.شريف عتلم ، مرجع سابق، ص٥٤-٥٥.

وقد اختلف انصار هذه النظرية حول اعطاء الاولوية لأي من القانونيين على الآخر على اتجاهين:

الاتجاه الأول الاولوية للقانون الداخلي:

كما يذهب انصار هذا الاتجاه الى اعطاء الاولوية او السمو لقواعد القانون الداخلي على قواعد القانون الدولي عند وجود تعارض بينهما او عند بحث الاساس القانوني لكل منهما. ويستندون في ذلك على حجة قانونية مفادها ان دستور الدولة هو الذي يحدد سلطاتها واختصاصاتها ليس فقط على الصعيد الداخلي، وإنما على الصعيد الدولي (ابرام المعاهدات الدولية، وأسس العلاقات الدولية التي تقيمها الدولة... الخ). الامر الذي يعني في اعتقادهم ان القانون الدولي يعتمد في النهاية على قواعد القانون الداخلي، او متفرع عنها، والفرع يتبع الاصل دائما.

الاتجاه الثاني: الاولية للقانون الدولي

مقتضى هذا الاتجاه ان القانون الدولي هو الاصل او الأساس كونه هو الذي يحدد اختصاصات الدولة. لذلك فانه عند التعارض بينه وبين القانون الداخلي، تكون الغلبة للأول وما على الثاني إلا الخضوع لما يقرره (١).

ب- حرص النظام الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية على تأكيد عدم تعارضه مع القوانين والتشريعات الوطنية:

وهذا ما نصت عليه الفقرة السادسة من ديباجة النظام الاساسي للمحكمة، الذي يقرر ان من واجب كل دولة: " ان تمارس اختصاصها الجنائي على اولئك المسئولين عن الجرائم الدولية".

ان تأكيد نظام الاساسي للمحكمة عدم تعارضه مع القوانين والتشريعات الوطنية للدولة"، قد بدى واضحاً من خلال نص المادة (٨٠) التي تقرر بخصوص الباب السابع

---

(1) –د.شريف عتلم، مرجع سابق، ص٥٥.

النظام الاساسي (الخاص بالعقوبات التي توقعها المحكمة) انه ليس هناك" ما يمنع الدول من توقيع العقوبات المنصوص عليها في قوانينها الوطنية او يحول دون تطبيق قوانين الدول التي لا تنص على العقوبات المحددة في هذا الباب"(١).

ت- هل وجود المحكمة الجنائية الدولية يشكل اعتداء على سيادة الدول؟

احتوى النظام الاساسي للمحكمة الجنائية الدولية على بعض النصوص التي قد يفهم منها انها تشكل افتئاتاً على السيادة الوطنية للدولة خصوصاً المانع فوق إقليمها وانفرادها بممارسة السلطة القضائية داخله، واختصاصها الشخصي تجاه الاشخاص الخاضعين لسلطاتها، واختصاصها المادي على الاشياء المتواجدة في حدود اقليمها.

الخاتمة

ان انشاء المحكمة الجنائية الدولية يمكن ان يعد تتويجاً لجهود المجتمع الدولي عموماً من اجل الوصول الى هيئة قضائية دائمة ومستقلة تختص في المحاكمة والعقاب على ارتكاب الجرائم محل اهتمام المجتمع الدولي بأسره، تمثل تلك المحكمة اهم ما توصل اليه المجتمع الدولي في مجال مكافحة الجرائم الدولية الخطرة، إلا ان اداء المحكمة لدورها في ضمان فعالية المحاكمة عن جرائم الحرب وغيرها من الجرائم الدولية تكتنفه مجموعة من الصعوبات والمعوقات بعضها يعود الى قصور في مواد النظام الاساسي التي تسمح بتفسيرها بالشكل الذي يحد من فاعليتها. وبعضها يعود الى المحيط الدولي وما تتحكم به من اعتبارات سياسية قد تحد من فاعلية ممارسة المحكمة لاختصاصها.

فالمحكمة الجنائية الدولية هي مؤسسة قائمة على معاهدة ملزمة فقط للدول الاعضاء فيها، فهي ليست كياناً فوق الدول، بل هي كيان مماثل لغيره من الكيانات القائمة، فالمحكمة الجنائية الدولية ليست بديلاً عن القضاء الجنائي الوطني، وإنما هي مكمل له، وهي لا تقوم بأكثر مما تقوم به كل دولة من دول المجتمع الدولي في اطار القانون الدولي القائم، فهي تعبير عن عمل مجمع للدول الاعضاء في معاهدة انشئت بمقتضاها مؤسسة لمباشرة قضاء مجمع لجرائم دولية محددة، ومن ثم فالمحكمة الجنائية الدولية هي امتداد للاختصاص الجنائي الوطني ومنشاة بموجب معاهدة عند التصديق عليها من قبل السلطة البرلمانية الوطنية تصبح جزءاً من القانون الدولي وبناء على ذلك فالمحكمة الجنائية الدولية لا تتعدى على السيادة الوطنية او تتخطى نظم القضاء الوطني.

واخيراً فان نجاح المحكمة هو بما تقدمه الدول من تعاون ودعم مادي ومعنوي لعملها وإعادة النظر في بعض موادها خاصة تلك التي تعطي الصلاحية لمجلس الامن في ايقاف النظر في اية قضية تعرض على المحكمة التي يفترض ان تكون المحكمة مستقلة تماماً عن مجلس الأمن ولا بد من القول بان ممارسات المحكمة والتعاون الدولي معها

يبقى هو المعيار لمدى قدرتها على تجاوز اكثر المعوقات التي تحد من ممارستها لاختصاصات فعالة تمنع افلات مرتكبي جرائم الحرب والجرائم الدولية بشكل عام من العدالة.

قائمة المصادر والمراجع

١- آل عيون، الدكتور عبد الله محمد، نظم الامن الجماعي في التنظيم الدولي الحديث، دراسة تحليلية وتطبيقية- دار البشير عمان، الأردن،١٩٨٥.

٢- بسيوني ،الدكتور محمد شريف ، المحكمة الجنائية الدولية- مدخل لدراسة احكام وآليات الانفاذ الوطني للنظام الأساسي، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٤.

٣- حازم محمد عتلم، نظم الادعاء في المحكمة الجنائية الدولية، تحدي الحصانة، ٢٠٠٣.

٤- حجازي، عبد الفتاح بيومي، المحكمة الجنائية الدولية ، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٤.

٥- الراوي، جابر إبراهيم، المنازعات الدولية، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٨.

٦- السعدي، الدكتور عباس هاشم، مسؤولية الفرد الجنائية عن الجريمة الدولية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية،٢٠٠٢.

٧- شريف عتلم، المحكمة الجنائية الدولية المواءمات الدستورية والتشريعية، مشروع قانون نموذجي الطبعة الرابعة ٢٠٠٦.

٨- صلاح الدين عامر، قانون التنظيم الدولي- النظرية العامة- الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية ١٩٨٤.

٩- النظام الاساس للمحكمة الجنائية الدولية.

التعويض عن الأضرار في القانون الدولي العام

د.طلال جاسم حمادي
كلية الرشيد الجامعة
قسم القانون

المقدمة

الحمدُ للّه الملكُ الدّيانُ القائل في كتابه الكريم :

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيْهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوْحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ﴾(١).

والصّلاة والسّلامُ على سيّد الأنسِ والجانِ مُحمّد وعلى آلهِ وصَحبه أجمعين ،وبعد

التعويض عن الأضرار في القانون الدولي العام من المواضيع التي تشغلُ مساحةَ كبيرةَ من أحكام القوانين في الأنظمة المختلفة وَمِنْ ضمن هذه الأنظمة القانون الدولي العام والقانون الدولي الإنساني الذي يعتمد على الاتفاقيات الدولية ونظام الأمم المتحدة متمثلاً بميثاقها وسلطتها التنفيذية مجلس الأمن الدولي وكذلك السوابق الدولية ،والقانون الدولي فيه من الأمثلة الكثيرة على تعويض الأضرار وماينتج عنها من أفعال غير مشروعة ترتكبها بعض الدول ضد دول أخرى أو عمليات غزو واحتلال دولة لدولة أخرى خارج الشرعية الدولية ينتج عنها انتهاك للقانون الدولي والقانون الدولي الإنساني ويمكن التركيز على جملة الأهداف وهي : نظام التعويض عن الأضرار في

(١)- سورة المائدة ،الاية ٤٥.

القانون الدولي وطرق التعويض وأساليبه وإيقاع المسؤولية الدولية، وطرق تفعيل المسؤولية الدولية، والأهم من ذلك هو مايتعلق بوسائل التعويض عن الأضرار .

التعويض عن الاضرار
في القانون الدولي العام

إن من المبادئ العامة في القانون الدولي العام مبدأ المسئولية القانونية وهو يعني أن شخص القانون الدولي يتحمل المسئولية القانونية إذا توافر شرطان:

الشرط الأول : (العنصر الموضوعي) الذي يتمثل في ارتكاب الدولة فعلا غير مشروع دولياً ، مايعني مخالفتها لأحد الالتزامات القانونية الدولية.

الشرط الثاني : (العنصر الشخصي) الذي يتمثل في نسبة هذا القول إلى تلك الدولة أو أحد أجهزتها الرسمية ، فإذا توافر هذان الشرطان قامت المسئولية في حق الدولة ،ويمكن مطالبتها بالتعويض في حالة تحقق الضرر في أثر ارتكاب الفعل غير المشروع دولياً.

إن تحديد نطاق التعويضات يرتبط أساسا بتحقيق الضرر الناجم عن العمل غير المشروع ، فمن الضروري البحث في الضرر القابل للتعويض أولاً، ومن ثم البحث في التعويض من خلال تقسيمها على المحاور الآتية.

أولاً : مفهوم الضرر:

هو الأذى الذي يصيب الشخص جراء المساس بحق من حقوقه، أو بمصلحة مشروعة له ، سواء كان ذلك الحق أو تلك المصلحة المشروعة متعلقا بسلامة جسمه ، أو حريته ، أو بماله ، أو شرفه ، واعتباره أو بمركزه الاجتماعي . فلا يشترط أن يكون الحق الممسوس مالياً كحق الملكية ، بل يكفي المساس بأي حق يحميه القانون كالحق في الحياة ، وسلامة الجسم وحق الحرية الشخصية (١).

(١)– د خليل عبدالمحسن خليل،التعويضات في القانون الدولي،بيت الحكمة،بغداد،٢٠٠١،ص٣٧.

ولقد تبنى فقهاء القانون الدولي هذا التعريف للضرر من حيث انه المساس بحق أو مصلحة مشروعة، لشخص قانوني دولي اعترف له بهذا الحق أو المصلحة بموجب قواعد القانون الدولي العام ، أو انه الخسارة التي تلحق بهذا الشخص نتيجة لعمل دولي غير مشروع ٠

وقد عرفت لجنة القانون الدولي الضرر بأنه :

أ. الوفاة أو إلحاق إصابات جسدية بالأفراد والإضرار بصحتهم ٠

ب. إلحاق ضرر بالممتلكات ٠

ج . إحداث تغير ضار بالبيئة))٠(١).

ويشترط في الضرر أن يكون مؤكداً (certain) ولا يكفي أن يكون محتملا أولا يقع سواء أكان ذلك الضرر الذي يصيب الدولة ماديا (كالاعتداء على حدودها أو ممتلكاتها أو سفنها أو طائراتها)٠أم معنويا كامتهان كرامتها أو عدم احترام أنظمتها أو رؤسائها أو الاعتداء على علمها. (٢).

أما الضرر الذي يصيب رعايا الدولة ، فأما أن يكون ضررا ماديا يلحق بالممتلكات أو جسمانيا يلحق بالأشخاص ، وأما أن يكون معنويا يلحق بالكرامة والسمعة والمكانة الاجتماعية ، كما قد يكون في صورة آلام نفسية وكروب ذهنية ، قد يعاني منها الفرد لوفاة أحد أقاربه أو نتيجة لما قد يلحقهم من إصابات جسدية ٠ وقد يجتمع الضرران المادي والمعنوي نتيجة لعمل واحد (٣)٠

---

(١) – ينظر تقرير لجنة القانون الدولي الدورة الرابعة والاربعين عام ١٩٩٢.

(٢) - الضرر المعنوي هو الذي لا يمس المال أو المصالح المالية للمضار ، وقد اختلف فقهاء القانون المدني في الضرر المعنوي فمنهم من لا يجيز التعويض عنه على اعتبار انه لم يحصل مساس بثروة الشخص ٠ ويجيز القانون المدني العراقي لسنة ١٩٥١ التعويض عن الضرر المعنوي (م٢٠٥) ٠ كما إن القضاء المدني والإداري الفرنسي قد أقر التعويض عن الأضرار المعنوية ٠ أما القضاء الدولي ، فقد كان إلى عهد قريب يعتبر عدم التعويض عن الضرر المعنوي مبدأ من مبادئ القانون ، إلا انه عدل عن ذلك واقر مبدأ التعويض عن الضرر المعنوي في العديد من الأحكام التي أصدرها ٠

(٣)– ابوسخيلة، د محمد عبدالعزيز ،المسؤولية الدولية عن تنفيذ قرارات الامم المتحدة،ج١ط١،دار المعرفة،الكويت،١٩٨١،ص٩٣و٩٤.

وقد تحفظ القضاء الدولي في بداية الأمر نحو الضرر المعنوي تم عدل موقفه هذا في قضية (Lusitania) ، إذ قررت لجنة المطالبات الأمريكية – الألمانية عام ١٩٢٣ (التعويض عن الأضرار المعنوية المتمثلة بالآلام النفسية والصدمة المعنوية التي أحدثتها الوفيات المتعددة التي نتجت عن اغراق سفينة الركاب البريطانية (Lusitania) من غواصة ألمانية) ٠(١).

وسار التعامل الدولي على مبدأ التعويض عن الأضرار المعنوية ، من ذلك ما نصت عليه اتفاقية بون المعقودة بين فرنسا وألمانيا في ١٥ تموز ١٩٦٠ على (صرف تعويض للضحايا الفرنسيين ، الذين تعرضوا الى ضرر معنوي نتيجة اعتقالهم في معسكرات الاعتقال الألمانية) ٠(٢).

ثانياً: مفهوم التعويضات:

إن النتيجة الطبيعية للمسؤولية الدولية ، هي التزام الدولة المسؤولة بتعويض الضرر (المادي والمعنوي) الذي نشأ عن الفعل غير المشروع ،وقد تضمنت معاهدات الصلح التي تلت الحرب العالمية الأولى هذا المفهوم ، فقد ورد فيها النص على إلزام ألمانيا وحلفائها بوصفها دولاً معتدية بالتعويض عن الأضرار التي ألحقتها بمواطني دول الحلفاء ٠ وهذا ما تضمنته معاهدات الصلح التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وقد أكد القضاء الدولي هذا المبدأ في العديد من الأحكام نذكر منها ، الحكم الذي أصدرته محكمة العدل الدولية في ٢٧ حزيران ١٩٨٦ في قضية النشاطات العسكرية وشبه العسكرية في نيكاراغوا بين الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية نيكاراغوا ، حتى قررت (التزام الولايات المتحدة الأمريكية بالتعويض عن الأضرار كافة التي لحقت بجمهورية

---

(٤)– دخليل محسن ،مرجع سابق،ص٦١

(١) – الجندي ،د غسان ،المسؤولية الدولية،مطبعة التوفيق ،عمان،١٩٩٠،ص١٢.

نيكاراغوا نتيجة إخلالها بالتزاماتها ، بموجب القانون الدولي العرفي ، وانتهاكها معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة المعقودة في ٢١ كانون الثاني١٩٥٦ (1).

كما ان اتفاقية لاهاي الرابعة لعام ١٩٠٧ نصت في المادة (٣) على أن (يكون الطرف المتحارب الذي يخل بأحكام الاتفاقية المذكورة ملزما بالتعويض..). وأكد هذا المبدأ أيضا البروتوكول الأول لعام ١٩٧٧ في مادته (٩١) على أن (يسأل طرف التزاع الذي ينتهك الاتفاقيات أو هذا البروتوكول على دفع التعويض٠٠) ٠ وفضلا عن النصوص المذكورة آنفاً يؤكد عدد من القرارات التي اعتمدها مجلس الأمن واجب التعويض عن الأضرار التي تسببت ٠ لها انتهاكات القانون الدولي الإنساني ، ومن هذه القرارات نذكر القرار ذي الرقم ٢٣٧ لعام ١٩٧٦ بصدد عدوان جنوب أفريقيا على أنغولا ، بأن طلب من جنوب أفريقيا التعويض الكامل لانغولا عن الأضرار التي لحقت بها .وقرار مجلس الأمن المرقم ٤٤٧ في ١٩٨١/٦/٩ الذي أدان بشدة العدوان الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي ، وطلب من إسرائيل تعويض العراق ٠وأخيرا ما فرضه مجلس الأمن من تعويضات على العراق بسبب احتلاله للكويت ٠(٢).

وان مسألة دفع التعويض لاتكون للدول فقط وانما للضحايا أيضاً ٠ ويتضح مما سبق أن القضاء والتعامل الدولي يلزم الدول المنتهكة لقواعد القانون الدولي تعويض الأضرار التي لحقت بالأشخاص والممتلكات ، وعليه فإن الدول التي تتبعها القوات المتعددة الجنسيات ملزمة بتعويض الأضرار التي ألحقتها بالعراق وبمواطنيه ٠

---

(٢)- دخليل عبدالمحسن خليل، مرجع سابق،ص١٣.

(١)- انظر قرارات مجلس الامن الدولي ٦٧٤ف٢٨تشرين الاول١٩٩١٠فقرة ٩والقرار٦٨٦في ٢اذار١٩٩٠فقرة ٢ ب والقرار ٦٨٧في ٣نيسان١٩٩١.

ثالثاً: أشكال التعويض ووسائله:

١: أشكال التعويض:

يتخذ التعويض في المسؤولية الدولية أشكالاً متعددة ، أهمها التعويض العيني والتعويض المالي

أ : التعويض العيني

ويكون بإعادة الحال إلى ما كان عليه قبل وقوع الفعل غير المشروع دوليا كإعادة الممتلكات والأموال التي صودرت بدون سند قانوني ، أو الإفراج عن أشخاص اعتقلوا أو حجزوا بصورة غير قانونية ٠وقد أكد التحكيم والقضاء الدولي هذا المبدأ ومن ذلك ، الحكم الذي أصدرته محكمة التحكيم الدائمة في ١٣ تشرين الأول ١٩٢٢ في قضية مصادرة الولايات المتحدة الأمريكية للسفن النرويجية أن (التعويض العادل يستدعي إعادة الوضع إلى ماكان عليه قبل حصول الضرر) ، والحكم الذي أصدرته محكمة العدل الدولية في ٢٥ حزيران ١٩٦٢ في النزاع بين كمبوديا وتايلند حول معبد برياه فيهيار بأنه (ينبغي على تايلند إعادة التحف التي أخذتها من المعبد الموجود في كمبوديا والتي حازت عليها تايلند بشكل غير شرعي ويمكن تطبيق التعويض العيني بالنسبة للأضرار التي تعرض لها العراق نتيجة للاحتلال واستمرار بقاء القوات متعددة الجنسيات ، وذلك في حالتين

الأولى : وهي إرجاع الآثار التي نهبت من المتحف العراقي ومخازنه ومن متاحف ومخازن البصرة ، الناصرية ، بابل والموصل وكذلك المخطوطات ٠ وإعادة الوثائق التي نهبت من دوائر الدولة أو التي استولت عليها قوات التحالف لأنها تكون الأرشيف الإداري والسياسي لشعب العراق .

والثانية : التعويض عن الاضرار التي لحقت بالبيئة العراقية وتعويض الممتلكات التي دمرت سواء الممتلكات العامة أو الخاصة وتعويض الاشخاص الذين تسببت في قتلهم أو سببت لهم إعاقة جراء اعمالهم العسكرية ٠

ب . التعويض المالي :

عندما يستحيل إعادة الشيء المتضرر إلى ما كان عليه ، فانه لابد من التعويض لإصلاح الضرر عن طريق دفع مبلغ من المال للدولة المضرورة ورعاياها عن الفعل غير المشروع ٠ وهذا هو الشكل الشائع للتعويض ، كما جاء في قرار محكمة التحكيم الدائمة الصادر في تشرين الثاني عام ١٩١٢ من إنه (ليس بين مختلف مسؤوليات الدول فروق أساسية ، يمكن تسويتها جميعا بدفع مبلغ من المال) ٠

ويتم تحديد مبلغ التعويض بالاتفاق بين أطراف النزاع أو عن طريق التحكيم أو القضاء الدولي (١)٠

وفي الغالب يتم الاتفاق على التعويض نتيجة لمفاوضات تتم بين الأطراف المعنية ، يعقبها اتفاق يبين مقدار التعويض ونوعه، إن التعويض المالي هو الأنسب لاصلاح الضرر الذي تعرض له العراق وشعبه ، وهذا ما سنبينه في وسائل التعويض

٢: وسائل التعويض

إن الالتزام بجبر الضرر عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني ، أصبح من الأمور المسلم بها ، سواء تم هذا عن طريق التعويض العيني أو المالي ولكن يبقى التساؤل لتحديد الآليات ذات العلاقة بتقرير التعويض هو هل يستطيع الأفراد المطالبة بالتعويض عن الأضرار الناجمة عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني عن طريق اللجوء إلى

(١)- حمدي، د خالد محمود ،حق الفرد في حرية التنقل عبر الدول وحمايته دولياً،رسالة دكتوراة،كلية الحقوق ،جامعة عين شمس،٢٠٠٦،ص١٣٢.

الآليات المقررة على الصعيد الدولي أو يتوجب عليهم اللجوء بشكل مباشر الى المحاكم الوطنية

أولا – التعويض على الصعيد الدولي

تقدير التعويض المالي على الصعيد الدولي ، يتم في الكثير من الأحيان بشكل رضائي وذلك عن طريق المفاوضات التي تجريها الدولة المضرورة مع الدولة المسؤولة من أجل التوصل إلى اتفاق بينها لتحديد مقدار التعويض ونوعه (١).

أو الاتفاق على تشكيل لجان التظلمات أو اللجان المختلطة للدعاوى وهي (عبارة عن محاكم تحكيم خاصة تأسست عن طريق معاهدة – عادة ما تكون ثنائية- تتيح إلى الأفراد والمؤسسات إقامة دعاوى) عن انتهاك القانون الدولي الإنساني والمطالبة بالتعويض والحكم به ، كالدعاوى المتعلقة بالأذى الشخصي والأضرار المترتبة عليه ، والدعاوى من أجل الخسائر في الممتلكات الشخصية . ومن أمثلة تلك اللجان ، محكمة إيران- الولايات المتحدة الأمريكية للمطالبات . التي تأسست بموجب اتفاقية الجزائر المعقودة بينهما عام ١٩٨١ ، فكانت المحكمة ذات اختصاص في دعاوى رعايا الولايات المتحدة الأمريكية ضد إيران ودعاوى الرعايا الإيرانيين ضد الولايات المتحدة الأمريكية(٢).

ومن الأمثلة الأكثر حداثة في هذا الشأن ، الاتفاق الملحق باتفاقيات دايتون ، الذي انشأ اللجنة الخاصة بالادعاءات بشأن عقارات الأشخاص النازحين واللاجئين من البوسنة والهرسك ، والذي فوض اللجنة النظر في مطالبات إعادة العقارات ،

---

(١)- أنظر ايمانولا- شيارا جيلارد (Gillard Emanuela- chiara) إصلاح الأضرار الناتجة عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني-مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر ،2003

(٢)- عرفات، د اشرف ، اسناد المسؤولية الدولية الى الدولة عن انتهاكات حقوق الانسان،مجلة القانون الدولي المصرية ،العدد،٦٥عام ٢٠١٠،ص٥٦.

وكذلك التعويض عن خسارة الملكية في سياق العمليات العدائية منذ عام ١٩٩١ والتي لا يمكن إعادتها إليهم(١).

ولجنة إريتريا – أثيوبيا للتظلمات فقد تأسست بموجب الاتفاقية المعقودة بينهما في كانون الأول ٢٠٠٠ ، وكانت اللجنة ذات اختصاص بمنح تعويضات فيما يتعلق بتظلمات الأفراد والمؤسسات والحكومات في كل من إريتريا وأثيوبيا عن الخسارة أو الضرر أو الإصابة بين الحكومتين وبين الكيانات الخاصة المرتبطة بالنزاع.

وأخيرا من الهيئات شبه القضائية ، التي فوضت النظر في تعويض الأفراد عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني ، هي لجنة الأمم المتحدة للتعويضات التي أنشأها مجلس الأمن بموجب الفقرة (١٨) من قراره المرقم ٦٨٧ الصادر في ٣ نيسان ١٩٩١ ، وذلك بغية إنفاذ مسؤولية العراق بموجب القانون الدولي عن أي خسارة أو ضرر ، مباشر ، بما في ذلك الضرر اللاحق بالبيئة واستنفاذ الموارد الطبيعية ، أو ضرر وقع على الحكومات الأجنبية أو رعاياها أو شركائها نتيجة لغزو العراق واحتلاله للكويت هذه هي أهم الوسائل المتاحة على الصعيد الدولي للحصول على التعويض (٢).

ومن الملاحظ إن العراق قد حرم من جميع هذه الوسائل للمطالبة بالتعويض عن الأضرار التي لحقت به وبمواطنيه جراء الغزو والاحتلال الأمريكي غير المشروع والفاقد للشرعية الدولية .

---

(٣)- المرجع نفسه،ص٧٢.

(١)- انظر نص القرار ٦٨٧في ١٩٩١ الصادر عن مجلس الامن الدولي.

ثانيا : التعويض على الصعيد الوطني:

يستطيع الأفراد اللجوء إلى المحاكم الوطنية للدول المؤولة ، للحصول على تعويض عن الانتهاكات التي عانوا منها . ولقد نظرت محاكم مختلف الدول في دعاوى الأفراد ضحايا انتهاكات القانون الدولي الإنساني ، في عدد من المناسبات (١)

الخاتمة

نرى أن لموضوع التعويض أهميته في وقتنا الراهن بسبب كثرة النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية التي يحصل خلالها خرق أحكام القانون الدولي العام والإنساني كثيراً(قتل المدنيين وتعذيب الأسرى وتدمير الممتلكات المدنية) مع عدم تمكن الضحايا من تحصيل أي تعويض يكون جبراً للأضرار التي لحقت بهم وبسبب عدم معرفتهم الشخص المفوض للقيام بالمطالبة أو جهلهم وسيلة بالوسائل الكفيلة بهذه المطالبة أو الجهة التي تقدم إليها هذه المطالبة وانطلاقاً من أهمية الموضوع من وجهة نظرنا فإننا نعتقد انه يستحق الدراسة كغيره من المواضيع القانونية الأخرى لتعقده إذ يطرح عددا من الإشكاليات القانونية التي تحتاج إلى معالجات وحلول.

---

(٢)- انظر سيمور هيرش (كاتب أمريكي مختص بالتحقيقات الصحفية) . المنطقة الرمادية ، المستقبل العربي ، ع ٣٠٥،للسنة٢٧/٢٠٠٤،ص٣٨٠،وكذلكلانباري، د. عبد الأمير ا ، التعويضات ، المستقبل العربي ، ع ٣٠٥ ، السنة ٢٠٠٤ ،ص ١٢٦-١٣٤.

قائمة المصـــــــــادر

١. ابوسخيلة، د محمد عبدالعزيز، المسؤولية الدولية عن تنفيذ قرارات الامم المتحدة، ج١ط١، دار المعرفة، الكويت،١٩٨١.

٢. الانباري ،عبد الأمير ا، التعويضات ، المستقبل العربي ، ع ٣٠٥ ، السنة ٢٠٠٤.

٣. ايمانولا- شيارا جيلارد (Gillard Emanuela- chiara) إصلاح الأضرار الناتجة عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني-مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر ، ٢٠٠٤.

٤. تقرير لجنة القانون الدولي الدورة الرابعة والاربعين عام ١٩٩٢.

٥. الجندي،د غسان ،المسؤولية الدولية،مطبعة التوفيق ،عمان،١٩٩٠.

٦. حمدي،د خالد محمود ،حق الفرد في حرية التنقل عبر الدول وحمايته دولياً،رسالة دكتوراة،كلية الحقوق ،جامعة عين شمس،٢٠٠٦.

٧. د.خليل عبدالمحسن خليل،التعويضات في القانون الدولي، بيتا لحكمة، بغداد، ٢٠٠١

٨. سيمور هيرش (كاتب أمريكي مختص بالتحقيقات الصحفية) ٠ المنطقة الرمادية، المستقبل العربي ، ع ٣٠٥،للسنة٢٧/٢٠٠٤.

٩. عرفات ،د اشرف ، اسناد المسؤولية الدولية الى الدولة عن انتهاكات حقوق الانسان، مجلة القانون الدولي المصرية ،العدد،٦٥عام ٢٠١٠.

١٠.قرارات مجلس الامن الدولي ٦٧٤ف٢٨تشرين الاول١٩٩١٠فقرة ٩ والقرار٦٨٦ في ٢اذار١٩٩٠فقرة ٢ ب والقرار ٦٨٧في ٣نيسان١٩٩١.

الاستراتيجية الأمريكية في إيران بعد الحرب العالمية الثانية(١٩٤٥-١٩٥٣)

أ.م.د عبد الامير هويدي الحيدري

المقدمة ونطاق البحث وتحليل المصادر

يتمتع الخليج العربي بمكانة مهمة من النواحي الجغرافية والاستراتيجية الاقتصادية لهذا كان عبر التاريخ ساحة لكثير من الصراعات الدولية ويشغل الخليج العربي موقعاً جغرافياً متميزاً فهو امتداد مائي للمحيط الهندي ويتوغل داخل الأراضي اليابسة ويقع جغرافياً بين شبه الجزيرة العربية غرباً وإيران شرقاً ومضيق هرمز وخليج عمان جنوباً والعراق شمالاً [١].

وتقدر مساحته بحوالي (٢٥٠)، ألف كيلو متر مربع أما حجم مياهه فتقدر بـ (٨٥٠٠)، كيلومتر مكعب وتبلغ أبعاد الخليج (٨٠٠)، كيلومتر طولاً ويتراوح عرضه ما بين (٢٩٠)، كيلومتراً في أقسامه الوسطى .وفي قسمه الجنوبي فيصل إلى (٤٧)، كيلومتراً عند مضيق هرمز أما متوسط عرضه فيصل إلى (١٥٠)، كيلومتراً [٢]، ومن الناحية الاستراتيجية فإن منطقة الخليج العربي تتمتع بأهمية كبيرة وتأتي هذه الأهمية من استراتيجية الموقع الجغرافي للمنطقة حيث تقع بين القارات القديمة الثلاث (آسيا، أوربا، أفريقيا) [٣]، وتحتوي على مخزون هائل من الثروة النفطية يبلغ أكثر من ٥٥./. من الانتاج العالمي [٤]، ويستمد الخليج العربي قيمته الاستراتيجية من كونه يمثل ذراعاً

بحرياً للمحيط الهندي حيث يتألف هذا الذراع من خليجين كبيرين هما خليج عُمـــان والخليج العربي أما المضيق الذي يصل بينهما فهو مضيق هرمز [٥]، الذي يمثـــل عنـــق الزجاجة الاستراتيجي الذي يتدفق منه ٤٠./. من نفط العالم أي (٢٠)، مليون برميل بمعدل (٨٠٠)، ألف برميل كل ساعة إلى الغرب [٦]، كما أنه يعد المنفذ الوحيد لبحر شبه مغلق وهو الخليج العربي ويتحكم في كل القوافل البحرية القادمة من المحيط الهندي إلى خليج عمان ثم الخليج العربي وبالعكس [٧]، تعتمد اقتصاديات دول الخليج بشكل رئيس قبل اكتشاف النفط على التجارة الداخلية بين أقطار الخليج ودوله أنفسها أو مع الدول الأخرى خارج المنطقة فضلاً عن صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ [٨]، إلا أنه ما ان بدأت بوادر وجود النفط بكميات كبيرة في المنطقة حتى زاد التنافس الاســـتعماري للسيطرة عليها ونهب خيراتها وأصبح الغرب ينظر إلى المنطقة كأنها اســـفنجة مـــشبعة بالنفط[٩]، لقد أدى نفط الخليج دوراً بارزاً في الحياة الاقتصادية لدول المنطقة من جهة والاقتصاد العالمي من جهة أخرى فالعوائد النفطية عملت على احداث نقلة كـــبيرة لمجتمع الخليج العربي وحولته من طابعه البدوي إلى مجتمع حضري يتمتع بكل مقومات الترف والعيش الرغيد ولقد ظل النفط إلى يومنا هذا مصدر الدخل الـــرئيس لـــدول الخليج [١٠]، اعتمد البحث على عدد من الوثائق الامريكية غير المنـــشورة امـــدت البحث بمعلومات؛ لكن ما يؤخذ على تلك الوثائق قلتها ورداءتها من ناحية الطباعـــة فكان استخدامها بشكل محدود كما استخدمت في البحث وثـــائق الـــبلاط الملكـــي العراقي والتي كانت بعيدة نسبيا عن تفاصيل القواعد العسكرية الامريكية بسبب توجه النظام الملكي وعلاقته الوثيقة بريطانيا، ان اهم ما اعتمد عليه البحث هـــو الوثـــائق المنشورة الخاصة بالعلاقات الخارجية الامريكيـــة (Foreign Relations of United States)، وهي عبارة عن سلسلة من الوثائق الامريكية تتعلـــق بوثـــائق صادرة ليس فقط من دوائر الخارجية الامريكية وانما ايضا من وزارة الدفاع الامريكية

او البيت الابيض وهي تشتمل على تقارير مفصلة عن اجتماعات مجلس الامن القومي و مايصدره من توصيات او قرارات وذلك ما يجعلها ذات قيمة عالية في تصوير طبيعة ماتخطط له سياسة الولايات المتحدة ليس فقط في الخليج العربي وانما في انحاء العالم ، بيد ان ما يؤخذ عليها هو حذفها لعدد من النصوص او عدد من الأسطر في وثائقها وبشكل متعمد لاعتبارات تخص الادارة الامريكية، اما الكتب الاجنبية فقد امدت البحث بمعلومات مهمة لم تتطرق لها الكتب العربية او انها حذفت من الوثائق الامريكية، واهم تلك الكتب هو كتاب ErvandIbrahamian, Iran between two Revaluations والذي تحدث بشكل موضوعي اقرب الى الحيادية عن العلاقات الامريكية مع النظام الشاه نشاهي الايراني، و كتاب Francis J. Gavin , Politics, Power, and U.S policy in Iran الذي تحدث بشكل مفصل عن الدور العسكري الامريكي في ايران ابان عهد الرئيس ترومان لكن مؤلفه كباقي المؤلفين الأمريكيين الذي يصورون الولايات المتحدة على انها حامي الشرق الاوسط اما الكتب العربية فقد استخدمت في البحث كتاب العلاقات الامريكية الايرانية في عهد مصدق لإسماعيل احمد سمو كما اعتمدت على بعض الموسوعات لتعريف الشخصيات المذكورة في سياق الكلام، مثل الموسوعة السياسية لعبد الوهاب الكيالي وموسوعة الشخصيات الايرانية لمحمد وصفي ابو مغلي، تحدد نطاق البحث بالمدة من ١٩٤٥ وهي تمثل نهاية الحرب العالمية الثانية حتى سقوط حكومة مصدق عام ١٩٥٣، واجهتني في كتابة البحث بعض الصعوبات اهمها ان اكثر مصادره باللغة الانكليزية مما استترف جهدا ووقتا لترجمتها للغة العربية كما ان كثيراً من الوثائق الامريكية قد حذفت تفاصيل القواعد العسكرية وفي الختام ادرك انه لا يوجد عمل كامل فالكمال لله تعالى وحده والله الموفق.

ابعاد التدخل العسكري الأمريكي في إيران بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥-١٩٥٣):

سعت الولايات المتحدة إلى تثبيت نفوذها في إيران جزءاً من سياستها الرامية الى السيطرة على الخليج العربي بجانبيه الشرقي والغربي وحاولت دعم الشاه محمد رضا بهلوي والعناصر الموالية له من المؤيدين لسياسة الولايات المتحدة كما قامت بالسيطرة على الاقتصاد والقوات المسلحة الايرانية لضمان السيطرة الكاملة على ايران لا سيما وان الجانبين الايراني والامريكي تربطهما مصلحة مشتركة وهي مواجهة التدخل السوفيتي في شمال ايران(١١).

قدم مندوب ايران لدى الامم المتحدة في كانون الاول ١٩٤٥ تقريراً الى الجمعية العامة بشأن عدم انسحاب الاتحاد السوفيتي من بلاده وهيمنته على محافظة اذربيجان لإثارة المشاكل الداخلية (١٢)، ولاسيما انه (اي الجانب السوفيتي) لم يلتزم باتفاق طهران الموقع بين الطرفين منذ ١٩٤٣، ولم يسحب قواته من شمال ايران (١٣).

دعمت الولايات المتحدة القضية الايرانية في الامم المتحدة وادعت ان السوفييت خرقوا ميثاق الامم المتحدة وفي الوقت نفسه قامت عمدت الى سحب قواتها من ايران بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي كانت موجودة في قواعد عبادان وطهران ضمن قوات قيادة خدمات الخليج العربي وتركزت الجهود الامريكية في الجمعية العامة ومجلس الأمن على المطالبة بالحق الايراني فأعطت الادارة الامريكية لنفسها صفة المدافع عن ميثاق الأمم المتحدة ومبادئها ، ودعا المندوب الامريكي الامم المتحدة الى ان تمارس واجبها في الدفاع عن سلامة اراضي الدول الاعضاء وحماية استقلالها السياسي(١٤).

اتهمت الحكومة السوفيتية الحكومة الايرانية بموالاة الولايات المتحدة اثر التدخل الامريكي في الشأن الايراني من خلال القنصل الامريكي في تبريز الذي قام بعدة

اجتماعات مع اعضاء الحكومة الاذرية المحلية المدعومة من جانب الحكومة السوفييتية لإنهاء تمردهم دون اللجوء الى تدخل القوات الايرانية ، وسوغ الجانب السوفييتي عدم انسحابه من شمال ايران بالخوف على المصالح النفطية السوفيتية في منطقة باكو في اذربيجان قرب الحدود الايرانية[١٥].

اصر الجانب الايراني بمساندة الولايات المتحدة على سحب القوات السوفيتية من شمال ايران واعلن الجانب الامريكي انه لا يسمح بالاختراقات المستمرة من جانب الحكومة السوفيتية لاتفاقية طهران وميثاق الامم المتحدة[١٦]، في غضون ذلك تحركت القوات السوفيتية عسكرياً لوحت من خلاله الى الحكومة الايرانية بانها قادرة على الوصول الى طهران ، كما قامت بدعم قوات المتمردين الاذريين والمسلحين الاكراد في مهاباد [١٧]، وجرت مفاوضات طويلة بين المسؤولين الايرانيين والسوفييت بشأن الوجود العسكري فأبدى الجانب السوفيتي رغبة في الانسحاب مقابل اتفاقية تضمن المصالح النفطية السوفيتية في شمال ايران[١٨] .

صدر قرار مجلس الامن في نيسان ١٩٤٦ الذي دعا فيه الحكومة السوفيتية الى الانسحاب الكامل من الأراضي الايرانية كما دعا الحكومتين السوفيتية والايرانية الى البدء بالمفاوضات فدعت الولايات المتحدة ممثلها في ايران للاطلاع على الخطط الإيرانية التي تلي الانسحاب السوفيتي من ايران فأن وجدها (سلبية) وغير متقنة فعليه اقتراح خطط اخرى بديلة على رئيس الوزراء الايراني[١٩]، اعلنت القوات السوفيتية انها ستنسحب من ايران في ايار ١٩٤٦ ، و بالفعل انسحب في التاسع من ايار ١٩٤٦ اخر جندي سوفيتي من شمال ايران[٢٠]، من جانبها أعلنت الولايات المتحدة ان سياستها تجاه ايران تقوم على العمل على حفظ استقلال ايران السياسي وعدم تقسيم اراضيها بين السوفييت وبريطانيا كما أعلنت انها ستعمل على مساعدة القوات الايرانية في حفظ الامن الداخلي الايراني فضلا عن ذلك فان الولايات المتحدة اعلنت انها لا

تنكر وجود قوات عسكرية امريكية في ايران الا انها اكدت ان مهمة هذه القوات غير قتالية أضافت ان وجود هذه القوات يعود الى الحرب العالمية الثانية غير انها انسحبت في الاول من كانون الثاني ١٩٤٦ التزاما باتفاق طهران وعادت الى ايران بطلب من الحكومة الايرانية للتدريب وتقديم المشورة الى القوات الايرانية وبناء قوات الجندرمة وكان على رأس تلك القوة الكولونيل نورمان شوارزكوف Norman Schwarzkopf[٢١]،وكان وجود هذه القوة بموافقة الرئيس الامريكي الذي شدد على توسيع المهمات التدريبية لحالة الطوارئ [٢٢].

بينت هيئة الاركان الأمريكية في تقرير صدر عنها في تشرين الاول ١٩٤٦، اهمية ايران بوصفها كمصدراً رئيساً للنفط ، والسبل الكفيلة لحماية تلك المصادر، وذكرت أنه من غير الصائب ترك إيران لمواجهة الخطر السوفيتي مؤكدا على ضعف القدرات العسكرية الايرانية لمواجهة أي اعتداء سوفيتي كما انه دعا الى اتخاذ سبل للسيطرة على مصادر النفط الإيرانية كما هو الحال في المملكة العربية السعودية واقترح على حكومته تقديم الدعم الامريكي لتأسيس قوات ايرانية تسهم في الدفاع عن المصالح الامريكية في منطقة الشرق الاوسط ، وخلق انطباع جيد لدى الحكومة الايرانية بأن الولايات المتحدة تعمل على جعل الحكومة الإيرانية القوة الاكبر في المنطقة واضاف ان تلك السياسة تجاه ايران تهدف الى منع حدوث أي اضطرابات او ثورات من شأنها تهديد المصالح الاقتصادية في الخليج العربي ولا شك في ان شاه ايران سوف يوافق على دعم الولايات المتحدة لبلاده لاسيما وإنها ستتلقى المساعدة فيما لو تعرضت لعدوان سوفييتي وطالبت رئاسة هيأة الأركان منح ايران بعض الاسلحة الخفيفة ودبابات متوسطة وطائرات نقل ومقاتلة وتجهيز البحرية الإيرانية بدوريات بحرية ، اقتراح منح ايران هذه الأسلحة والآليات جاء على الرغم من تأكيدات رئاسة هيئة الأركان الامريكية على عدم أهلية ايران لامتلاك مثل هذه الاسلحة لكن المصلحة الامريكية في

الخليج العربي اقتضت ذلك، واكدت رئاسة هيئة الاركان استمرار عمل القوة العسكرية الامريكية في ايران المسماة (MilitaryMission) إلا انها دعت الى عدم زيادة عددها بسبب توتر الأوضاع في المنطقة وخشية تفسير وجود تلك القوة بانها تستهدف الاتحاد السوفيتي بحسب الادعاء الأمريكي[٢٣].

قضت القوات الإيرانية في نهاية ١٩٤٦ بدعم من الخبراء العسكريين الأمريكان على الجمهوريتين المتمردتين الاذربيجانية والكردية في اذربيجان و مهاباد اللتين شكلتا بدعم من الوجود السوفيتي في شمال إيران[٢٤]، اذ كانت جميع تحركات القوات الإيرانية في تلك المناطق تأتي بتوجيه من البعثة العسكرية الامريكية كما كان رئيس الوزراء الايراني احمد قوام الدين السلطنة [٢٥]لا يباشر بأي خطوة من دون الرجوع للتشاور مع السفير الامريكي في طهران[٢٦].

جرت في شباط ١٩٤٧ مفاوضات امريكية ايرانية لبيع قاعدة عبادان الجوية الى ايران التي كان مقرراً إخلاؤها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتسليمها الى الحكومة الايرانية بعد ان استخدمها الجيش الامريكي ابان الحرب واتفق نهائياً على بيعها في الحادي عشر من اذار ١٩٤٧ بمبلغ ١٣٦ الف دولار، كما ابلغ السفير الامريكي وزير المالية الايراني بأن شركة بان امريكان للطيران مستعدة للقيام برحلات نقل المسافرين من طهران الى انقرة وكابل ، فضلا عن القيام برحلات داخلية بين طهران وتبريز ومشهد[٢٧].

طلب رئيس الوزراء الإيراني من السفير الامريكي التدخل بسبب استمرار بعض القوات السوفيتية في احتلال مطاري مشهد وتبريز العسكريين فضلا عن استمرار الإذاعة السوفيتية بالبث من مطار تبريز واستمرار الطلعات الجوية للطيران السوفيتي في الاجواء الايرانية على الرغم من انسحاب القوات السوفيتية منذ ايار ١٩٤٦[٢٨]، ردت الحكومة السوفيتية بانها سوف تقوم بسحب ما تبقى من القوات السوفيتية من مطاري

تبريز ومشهد كما انها لم تنكر قيام الطائرات السوفيتية بعمليات طيران في مشهد وتبريز وطهران وأكدت ان هذه العمليات توقفت منذ التاسع عشر من تموز ١٩٤٧[٢٩].

لقد اوحت الولايات المتحدة الى الحكومة الإيرانية بأن هناك خطة سوفيتية تهدف الى احتلال اجزاء واسعة من ايران وحذر الجانب الأمريكي من الهدوء الذي يشوب التحركات السوفيتية قرب الحدود ودعت الحكومة الايرانية الى العمل على كسب ولاء القبائل القريبة على الحدود مع الاتحاد السوفيتي وتحويلها الى مراكز مقاومة ضد الغزو السوفيتي وبشأن المساعدة الأمريكية لمواجهة ذلك التهديد ابدت الولايات المتحدة استعدادها لإنشاء قاعدة عسكرية مشتركة لقيادة العمليات في المناطق الشمالية لمواجهة التهديد السوفيتي لكن الجانب الامريكي تذرع بأن الدفاع عن ايران ومنحها الاسلحة المطلوبة بأسعار مخفضة يحتاج الى موافقة البرلمان الايراني (المجلس) على اتفاقية عسكرية بين الطرفين[٣٠].

وقعت الادارة الامريكية مع نظيرتها الايرانية معاهدة في تشرين الأول ١٩٤٧ ضمنت للجيش الامريكي الحق في تفتيش القوات الايرانية والاعتماد على رأي الضباط الأمريكان بدلاً من الضباط الإيرانيين ممن هم متساوون معهم في الرتب العسكرية كما تعهدت الولايات المتحدة بمساعدة الجيش الايراني وتقديم الاستشارات والخطط العسكرية كافة لقيادة الاركان الايرانية[٣١].

وفي اطار المساعدة الامريكية العسكرية اعلن مركز الارتباط بين الجيش الايراني والوحدة التدريبية الامريكية ان هناك خطة مقترحة من المساعدات الامريكية تشمل تجهيز ٥٠ الف جندي ايراني للعمل في خراسان واذربيجان فضلا عن تدريب قوة من ٣٠ الف جندي وتجهيزها للعمل في المناطق الجبلية شمال ايران والعمل في المناطق المحاذية للعراق كما تعهدت الوحدة التدريبية الامريكية بتجهيز قوة من ١٠ الاف

شخص وتجهيزها بأجهزة حديثة لحماية المنشآت النفطية في انحاء ايران وتعهدت ببناء مراكز عسكرية في همدان وكرمنشاه وخورام آباد[٣٢].

زار الشاه في تشرين الاول ١٩٤٩ الولايات المتحدة واستقبل بحفاوة من لدن الرئيس ترومان كما رحبت به الصحف الامريكية واصفة اياه بأنه (صديق الولايات المتحدة بوجه الاتحاد السوفيتي)، وشدد الشاه في زيارته على أهمية العلاقات بين ايران والولايات المتحدة في مجالي الاقتصاد والدفاع الوطني[٣٣].

لم تلبث الحكومة الايرانية إن وضعت خطة لسبع سنوات تعتمد على القروض الامريكية من اجل النهوض بالواقع الاقتصادي الإيراني بيد ان اخفاق الشاه في الحصول على القروض المطلوبة أثار المخاوف من حصول مجاعة في البلاد بسبب تدهور الاقتصاد الايراني الامر الذي جعل من ايران بيئة جيدة لنمو الافكار الشيوعية مهدداً بذلك المصالح الامريكية في ايران[٣٤].

جرى اجتماع في واشنطن في كانون الثاني ١٩٥٠ بين الخارجية الامريكية والسفير الايراني بحثت فيه مطالب الحكومة الايرانية بالمساعدات المالية والعسكرية، وكان الرد الامريكي بان على ايران ان تتحمل المزيد من الوقت للحصول على طلباتها التي تفهمها الجانب الامريكي بشكل موضوعي[٣٥].

دعمت الولايات المتحدة الفرقة العاشرة من الجيش الايراني فقط وهي تتكون من ١٥ الف عنصر تتمركز عملياتها في حماية الحدود الشمالية المحاذية للاتحاد السوفيتي كما دعمت قوات الحرس الخاص الايرانية لضمان بقاء الشاه في السلطة[٣٦]، وهذا ما يعكس أهداف السياسة الأمريكية في ايران التي لم تكن ترغب في دعم القوات الايرانية الا بما يخدم مصالحها ويؤمن المصالح النفطية في الخليج العربي فلم تكن الولايات المتحدة تهدف الى بناء القوات الايرانية وتطويرها كما هو معلن في مهمة القوات الامريكية داخل ايران، ازدادت اهمية ايران ابان الحرب الكورية عام ١٩٥٠ بوصفها جزءاً من

الخليج العربي، اذ رأت الولايات المتحدة في ايران مولاً كبيراً للوقود ابان حربها في كوريا وما ميزها عن باقي مناطق الخليج العربي موقعها الجغرافي فبسبب العلاقات الجيدة بين ايران والولايات المتحدة فوتت الفرصة على الاتحاد السوفيتي بقطع الاتصالات بين الشرق الاقصى و أوربا لذا كان من الواجب دعم ايران عسكرياً واقتصادياً للحفاظ على هذا الموقع الاستراتيجي كما ان الولايات المتحدة خشيت من استغلال الاتحاد السوفيتي لإيران بوصفها نقطة ضعف والقيام بمغامرة باحتلالها مثل مغامرة احتلال كوريا الجنوبية جاءت هذه المخاوف من تحذيرات اطلقتها قيادة هيئة الأركان الأمريكية بأن الاتحاد السوفيتي قد يستغل الاهتمام الامريكي بمنطقة الشرق الاقصى بسبب الحرب الكورية والقيام بعملية لغزو ايران وأضاف ان خسارة ايران تعني خسارة الولايات المتحدة لمصالحها في الشرق الاوسط [٣٧]، اشار وزير الدفاع الامريكي جورج مارشال George Marshal [٣٨]. أن الجيش الإيراني لا يستطيع الصمود أمام القوات السوفيتية فيما لو هاجمت إيران وحذر مارشال بأن الاتحاد السوفيتي اذا ما قام بغزو الأراضي الإيرانية فأن ذلك سيخلق تشيكوسلوفاكيا ثانية في الشرق الاوسط في تشبيه لنظام تشيكوسلوفاكيا الموالي للشيوعية فضلا عن ذلك أشارت تقارير أمريكية بأن الاتحاد السوفيتي لا يزال يقدم الدعم لحزب توده[٣٩]، المعارض في المدن الإيرانية ويقوم بمحاولات لتأجيج الحركات المتمردة الاذرية والكردية وإثارة بعض قبائل الشمال[٤٠].

ومع تأزم صراع القوى الشيوعية والرأسمالية في الشرق الأوسط خشيت الولايات المتحدة من فقدان ايران من خلال احتلالها من القوات السوفيتية فقامت بتوقيع اتفاقية مع الحكومة الايرانية في تشرين الاول ١٩٥٠، تعهدت الولايات المتحدة بالتزامها بدعم سلامة ايران من أي تهديد خارجي وتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لها[٤١].

أعلنت هيأة الاركان في الجيش الامريكي في كانون الثاني ١٩٥١، ان الدفاع عن منطقة الخليج العربي وإيران تقع بالمرتبة الثانية من حيث الاهمية بعد أوربا الغربية لما لهذه المنطقة من اهمية استراتيجية وحيوية بالنسبة للولايات المتحدة وان القوات الأمريكية في ايران سوف تقوم بمساعدة الجيش الإيراني للتصدي لأي غزو سوفيتي لكنه لا يرغب في الاشتباك مع القوات السوفيتية لان ذلك يعني بداية حرب عالمية ثالثة[٤٢].

كما ابدت هيئة الاركان مخاوفها من تحول ايران الى ساحة صراع بين القوى العظمى[٤٣]، من جانبها اكدت الادارة الأمريكية ان الخطط العسكرية تقتضي الدفاع عن منطقة الخليج العربي وإيران في حال اندلاع القتال فيها بالتعاون مع بريطانيا مضيفة بأن مهمة الجيش الامريكي الحالية هي ايقاف تحركات الانشطة الشيوعية في المنطقة و لم يغفل الجانب الامريكي الاتفاقية السوفيتية الايرانية ١٩٢١، والتي نصت على التدخل السوفيتي في ايران في حالة تعرض ايران لغزو من قوات أجنبية فالولايات المتحدة لم ترسل قوات مقاتلة الى ايران خشية من استغلال الاتحاد السوفيتي لهذه الاتفاقية لكن اكتفت بوجود قوات البعثة العسكرية الامريكية Military Mission[٤٤].

تأميم النفط والازمة مع الشركات البريطانية

طالبت عناصر الجبهة الوطنية[٤٥]، بتأميم النفط عقب توقيع الحكومة الايرانية الاتفاقية النفطية مع الجانب البريطاني والتي عدتها الجبهة غير منصفة فضلا عن المشاكل السياسية الداخلية في ايران، تلا ذلك تصريح السفير الامريكي والذي اشعل فتيل الازمة بإعلانه ان شركة ارامكو اتفقت على مناصفة الأرباح مع الحكومة السعودية فأدت تلك العوامل الى موافقة البرلمان الإيراني في الخامس عشر من اذار ١٩٥١، على قرار تأميم النفط الايراني، تبع ذلك موافقة مجلس الشيوخ الايراني في العشرين من

الشهر نفسه على القرار نفسه وطرد الشركات البريطانية وبوصول محمد مصدق[٤٦]، زعيم الجبهة الوطنية الى رئاسة الوزارة بدأ التنفيذ الفعلي لقرار التأميم[٤٧].

ردت بريطانيا أول الأمر باحتجاج سلمته الى الحكومة الإيرانية ثم اتبعت ذلك بتحرك عسكري في الخليج العربي اذ وصلت في حزيران ١٩٥١، ثلاث بوارج ومدمرة حربية من البحرية البريطانية الى مياه الخليج العربي في محاولة لتهديد الحكومة الايرانية[٤٨].

أدركت الولايات المتحدة أن وقوفها مكتوفة الايدي تجاه المشكلة سيؤدي الى تدخل عسكري بريطاني في جنوب ايران وأن هذا التدخل سيجر الى تدخل سوفيتي في المناطق الشمالية كما ان مصدق سيقوم بإدخال السوفييت الى ايران لحمايته من التدخل البريطاني[٤٩].

فلم ترغب الولايات المتحدة في تدخل بريطاني جديد، بل انها أرادت من التأميم فرصة لإبعاد الشركات الاحتكارية البريطانية لتحل محلها والسيطرة على المصالح النفطية في ايران بشكل كامل[٥٠].

حاولت الولايات المتحدة القيام بدور الوساطة بين ايران وبريطانيا فبعث الرئيس ترومان مبعوثه الخاص للتفاوض مع الحكومتين الايرانية والبريطانية استئناف المفاوضات بين الطرفين و لم يكن مصدق معارضاً للأمر الا ان الخلاف بشأن النقاط الجوهرية في قرار التأميم افشل المساعي الأمريكية في الوساطة مما دفع ايران للجوء الى محكمة العدل الدولية في الوقت نفسه فرضت البحرية البريطانية طوقاً حول الموانئ الإيرانية لمنع تصدير النفط الايراني[٥١].

حاول المبعوث الأمريكي مرة أخرى القيام بدور الوساطة من خلال زيارته للعاصمة البريطانية ثم قيامه بزيارة طهران وأثمرت جهود المبعوث عن قبول مصدق التفاوض مع الجانب البريطاني مرة أخرى وجرت اجتماعات مكثفة بين الشاه وممثل شركة النفط

الانكلو إيرانية والمبعوث الأمريكي ومع اقتراب التوصل الى حل للازمة يرضي جميع الاطراف قدم مصدق استقالته للضغط على الجانب البريطاني الأمر الذي دعا الشركة البريطانية الى اعلان فشل المفاوضات مع الحكومة الايرانية(٥٢)،واعلن الجانب البريطاني ان خيار استخدام القوة ضد ايران غير مستبعد اذا لم ترضخ للقبول بالأمر الواقع(٥٣).

أعلنت الادارة الأمريكية أن مساعداتها لإيران سوف تستمر وأنه لا علاقة لما يدور على الساحة الايرانية من احداث بالمساعدات المقدمة(٥٤)، لكن مع اول طلب مساعدة قدمته حكومة مصدق الى الولايات المتحدة بصرف مرتبات الموظفين الإيرانيين لتسيير أمور الحكومة الايرانية اعتذرت الادارة الامريكية عن ذلك(٥٥)، وجاء الرفض الأمريكي بسبب الاتفاق الذي عقد بين الولايات المتحدة وبريطانيا في اذار ١٩٥١ بشأن التعاون بين الطرفين في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية بما يخص البلاد العربية وايران(٥٦).

كما ان الولايات المتحدة سأمت من تصرفات مصدق وارادت التخلص منه عن طريق بريطانيا او تحريك بعض فئات الشعب الايراني(٥٧)، لكن الولايات المتحدة لم ترغب في القيام بعمل في ايران يثير الجانب السوفيتي بل دعا الرئيس ترومان الى ضبط النفس لتجنب احتلال سوفيتي متوقع لإيران او ثورة عارمة قد تطيح بمصدق وتقيم جمهورية اشتراكية وهذا يعني خسارة المصالح الأمريكية في إيران(

الخاتمة

يتبين مما تقدم أن الولايات المتحدة نجحت عن طريق مصالحها في الخليج العربي والمملكة العربية السعودية في ترسيخ وجودها العسكري مستغلة الضعف الذي دب في اجزاء الامبراطورية البريطانية بعد الحرب فاستطاعت كسب المملكة العربية السعودية واخراجها من القبضة البريطانية وهذا ما يظهر لاحقاً في محاولات الجانب السعودي الخروج بصيغة اتفاقية دفاعية بين الطرفين أما في الساحل الشرقي فكان للتدخل الامريكي في ايران ومحاولتها دعم نظام الشاه لبسط سيطرته على البلاد اثرا واضح في ازدياد توجه الشاه نحو الولايات المتحدة كما بدأ تدفق المساعدات العسكرية التي كان الهدف منها ترسيخ الوجود العسكري في ايران بحجة حمايتها من الغزو السوفيتي، اتخذت الولايات المتحدة الامريكية من الوجود السوفيتي في شمال ايران حجة لزيادة هيمنتها على نظام محمد رضا بهلوي، حاول الشاه الاستفادة من حكومة واشنطن لتعزيز نظامه والحصول على المساعدات العسكرية الأمريكية لأداء دور الشرطي في منطقة الخليج العربي.

المصادر

الوثائق غير منشورة:

١.د ، ك ، و ، ملفات البلاط الملكي ، ملفة ٣١١/٤٩٥٨، تقرير السفارة العراقية في طهران الى وزارة الخارجية ، ١ تموز ١٩٥١.

الوثائق الاجنبية المنشورة الاجنبية:

1. F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 501, Memorandum by Mr. Hurry N. Howard of The Division of International Organization Affairs, and Mr. Clyde Dunn of The Division of Meddle East Affairs, 27 December 1945, P289.
2. F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 2936, Iranian Ambassador (Ala) to Secretary of State, 5 March 1946
3. F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 682, The Charge in The Soviet Union (Kennan) to The Secretary of State , 6 March 1946.
4. Lokman I. Meho, The Republic of Kurdistan ,International Journal of Kurdish 7Studies, Albany, 1996.
5. F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 284, The Acting Secretary of State to The Ambassador in Iran (Murray) 28 March 1946 , P 390.
6. F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 383, The Acting Secretary of State to Charge in Iran (Ward) 1 May 1946.
7. F.R.U.S, Vol VII, 1946, Policy and Information Statement on Iran Prepared in The Department of State, 15 July 1946 , P507-508.
8. F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 4818, Memorandum by The State War Navy Coordinating Committee Major General John H. Hilldring , 12 October 1946.

9. F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 1450, The Ambassador in Iran (Allen) to The Secretary of State, 8 November 1946, P545.
10. F.R.U.S, Vol V, 1947, Doc 117, The Ambassador in Iran (Allen) to The Secretary of State , 17 February1947, PP 894-895.
11. F.R.U.S, Vol V, 1947, Doc 666, The Ambassador in Iran (Allen) to The Secretary of State, 14 July 1947, P 921.
12. (F.R.U.S, Vol V , 1947, Doc 434, The Secretary of State to Embassy in Iran, 29 July 1947
13. F.R.U.S, Vol VI, 1949, Editorial Note , 21 January 1949
14. F.R.U.S, Vol V, 1950, Memorandum of Conversation by The Officer Charge of Iranian Affairs (Ferguson) , 26 January 1950, P 447.
15. F.R.U.S, Vol V, 1950, Doc 1, Memorandum by Chief of Staff U.S Army (Collins) to The Secretary of State , 10 April 1950, P 508.

الموسوعات

١. ابو مغلي، محمد وصفي، دليل الشخصيات الايرانية المعاصرة، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة، ١٩٨٣ .
٢. سمو ،اسماعيل احمد ، العلاقات بين ايران والولايات المتحدة خلال حكم مصدق دار دجلة ، بغداد ، ٢٠٠٩.
٣. كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، بغداد ، ١٩٨٥.
٤. الكيالي ،عبد الوهاب ، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.

٥. المبادر، سالم سعدون ،جزر الخليج العربي، دراسة في الجغرافية الإقليمية ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ،١٩٨٠.

٦. المصادر العربية:

٧. نزار كريم جواد، العلاقات الايرانية الامريكية، بغداد، ٢٠٠٧.

٨. الهيتي ، صبري فارس، الخليج العربي، دراسة الجغرافية السياسية ، ط١ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٧٩.

المصادر الاجنبية:

1. Ervand Abrahamian , Iran Between Two Revolution , Priucetion , New Jersy , 1982.
2. David Patrick Hugbton , U.S. Foreign Policy and The Iranian Hostage Crisis , Cambridge Studies , 2001, P59.
3. Alvin J. cottrell, The Persian Gulf states, The Johns Hopkins University Press, Baltimore and London, 1980
4. S.B. Miles, The countries and Tribes of the Persian Gulf with a new introduction by J.B Kelly, (Frank cass & Co. Ltd, 1966) , P 1376 .
5. Francis J. Gavin , Politics Power and U.S. Policy in Iran, Pennsylvania University , 2005 .
6. Britannica Encyclopedia Online.

الرسائل و الاطاريح:

١. البكاء، طاهر خلف، التطورات الداخلية في ايران ١٩٤١-١٩٥١، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٩٠.

٢. جبر ،انتظار جاسم ، العوائد المالية النفطية الخليجية وأثرها في الأمن القومي العربي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢.

٣. خماس ، حازم عبد الغفور، سقوط النظام الملكي في ايران واثره على الامن القومي العربي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى المعهد العالي للدراسات السياسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥.

المجلات والبحوث:

١. القحطاني ، عبدالقادر ،ر الطاقة المتاحة في الأقطار العربية ومقابلتها مع الطلب المستقبلي عليها" ، مجلة البترول والغاز العربي ، العدد (٥) ، السنة (١٥) ، حزيران ١٩٧٩ .

٢. منصور، هدى جاسم، اثر النفط في العلاقات الايرانية الامريكية ١٩٥٤-١٩٧٣، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية للبنات ، جامعة الانبار ، ٢٠٠٦.

هوامش البحث

١. الهيتي ، صبري فارس، الخليج العربي ــ دراسة الجغرافية السياسية ، ط١ ، دار الرشيد ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ١٨ .

2. Alvin J. cottrell, The Persian Gulf states, The Johns Hopkins University Press, Baltimore and London, 1980) , P541 ؛ سالم سعدون المبادر ، جزر الخليج العربي ــ دراسة في الجغرافية الأقليمية ، دار الحرية للطباعة والنشر ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص٤ .

٣. الهيتي ، المصدر السابق ص ١٩ .

٤. تختلف أرقام الانتاج جزئياً من مصدر إلى آخر ولكنها في الغالب متقاربة وليست متطابقة ، أنظر : فاروق الموقع، "نفط مصادر الطاقة المتاحة في الأقطار العربية ومقابلتها مع الطلب المستقبلي عليها" ، مجلة البترول والغاز العربي ، العدد (٥) ، السنة (١٥) ، (حزيران ١٩٧٩) ، ص ٢٤ .

٥. مضيق هرمز ، ممر مائي ضيق يوصل بين الخليج العربي (وهو بحر شبه مغلق) وخليج عمان (وهو بحر مفتوح على بحر العرب) فالمحيط الهندي ، ويرتبط مضيق هرمز بالخليج العربي جغرافياً بخط يمتد باتجاه الشمال من رأس الشيخ مسعود على الجانب الغربي من جزيرة مسندم إلى جزيرة هنجام جنوب الساحل الإيراني ، كما يرتبط بخليج عمان بخط يمتد من (رأس ديا) على الجانب الشرقي من جزيرة مسندم إلى موقع (داما غييه كوه) على الساحل الايراني ، ويبلغ طول الخط بين هذين الموقعين نحو (٢٥,٥) ميل بحري ، ويعد فاصلاً بين الحد الشمالي لخليج عمان والمدخل الجنوبي للمضيق من جهة البحر المفتوح أما أضيق منطقة في مضيق هرمز فهي المنطقة الواقعة بين جزيرة لاراك على الجانب الايراني وجزر سلامة وبناتها على الجانب العماني والذي لا يتجاوز (٣٠) ميلاً بحرياً ، أما طول المضيق فيصل إلى حوالي (١٠٤) ميلاً بحرياً ، ويزداد عمقاً على الجانب العماني، أنظر : لوريمر، جون غوردن ،دليل الخليج العربي لقسم الجغرافي، ج ٢ ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، (الدوحة، ١٩٨١)، ص ٩٣٨؛ البحارنة، حسين، الأهمية السياسية والقانونية والاقتصادية للخليج العربي ومضيق هرمز ، مركز دراسات الخليج العربي ، (جامعة البصرة ، ١٩٨٠) ، ص ٢٣ .

٦. القحطاني ،عبدالقادر حمود ،" مضيق هرمز وامن الخليج العربي" ، الوثيقة (مجلة)، (البحرين) ، العدد (٣٨) ، السنة (١٩) ، (تموز ٢٠٠٠) ، ص ٥٢ .

٧. البحارنة ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

٨. استمر الغوص على اللؤلؤ حتى ثلاثينات القرن العشرين حينما ظهر اللؤلؤ الصناعي الياباني وأدى إلى كساد تجارة اللؤلؤ الطبيعي مما جعل امارات الخليج العربي تمر في فترة من الفقر الشديد ، حتى بدت المنطقة تتجه لكارثة اقتصادية رغم وجود مهن أخرى مثل صناعة السفن والزوارق ومهنة التجارة ، للمزيد عن الحياة الاقتصادية في الخليج ، انظر : S.B. Miles, The countries and Tribes of the Persian Gulf with a new introduction by J.B Kelly, (Frank cass & Co. Ltd, 1966) , P 1376 . إلا أن اكتشاف النفط انقذ المنطقة من الفقر المدقع ، انظر : الهيتي ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

٩. البحارنة ، المصدر السابق ، ص ٢٤ ؛ قنديلجي ، المصدر السابق ، ص ص ١٤ ــ ١٥

١٠. جبر، انتظار جاسم، العوائد المالية النفطية الخليجية وأثرها في الأمن القومي العربي، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ٢٠٠٣) ، ص ٨ .

١١. نزار كريم جواد، العلاقات الايرانية الامريكية، بغداد، ٢٠٠٧.ص٢٧.

12.F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 501, Memorandum by Mr. Hurry N. Howard of The Division of International Organization Affairs, and Mr. Clyde Dunn of The Division of Meddle East Affairs, 27 December 1945, P289.

١٣. سمو ، اسماعيل احمد، العلاقات بين ايران والولايات المتحدة خلال حكم مصدق ، دار دجلة ، بغداد ، ٢٠٠٩، ط١، ص ٣٤-٣٦ .

14.Ibid, P 290.

١٥. سمو، المصدر السابق، ص ٣٦ .

16.F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 2936, Iranian Ambassador (Ala) to Secretary of State, 5 March 1946, P339.

17.F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 682, The Charge in The Soviet Union (Kennan) to The Secretary of State , 6 March 1946, PP342-343؛

١٨. جمهورية مهاباد: كيان كردي نشأ اثر الخلافات بين نظام الشاه رضا محمد رضا بهلـــوي والاتحاد السوفيتي في شمال غرب ايران في نيسان ١٩٤٦، في محاولة من الحكومة الـــسوفيتية لإقامة كيانات موالية له في شمال ايران، الا ان تطورات الاحداث دفعت الجانب السوفيتي الى التخلي عن الجمهورية الكردية لتقضي عليها القوات الايرانية التي اعدمت مؤسسها قاضـــي محمد وهروب رئيس اركان جيشها مصطفى بـــرزاني، Lokman I. Meho, The Republic of Kurdistan ,International Journal of Kurdish Studies, Albany, 1996.

19.F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 284, The Acting Secretary of State to The Ambassador in Iran (Murray) 28 March 1946 , P 390.

20.F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 383, The Acting Secretary of State to Charge in Iran (Ward) 1 May 1946 , P 443.

٢١. كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحـــديث والمعاصـــر ، بغـــداد ، ١٩٨٥ ، ص٢٨٠.

٢٢. هيربرت نورمان شوارزكوف (١٨٩٥-١٩٥٨) قائد عسكري امريكـــي، اصـــبح اول مدير شرطة لولاية نيو جرسي، عين سنة ١٩٤٢ لتنظيم قوات الجندرمة الايرانية، واشـــرف بشكل مباشر على عمليات الجيش الايراني لقمع المتمردين الاذريـــين، أدى دوراً مهمـــاً في انقلاب مصدق ١٩٥٣ Britannica Encyclopedia Online.

23.F.R.U.S, Vol VII, 1946, Policy and Information Statement on Iran Prepared in The Department of State, 15 July 1946 , P507-508.

24.F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 4818, Memorandum by The State War Navy Coordinating Committee Major General John H. Hilldring , 12 October 1946, PP 530-532.

٢٥. نزار كريم جواد ، المصدر السابق ، ص٢٨.

٢٦. احمد قوام الدين السلطنة: (١٨٧٦-١٩٥٥) رجل دولة ايراني تولى رئاسة الوزارة في ايران خمس مرات ، كما ترأس البرلمان الايراني اكثر من مرة اخرها سنة ١٩٤٢،

Britannica Encyclopedia Online .

27. F.R.U.S, Vol VII, 1946, Doc 1450, The Ambassador in Iran (Allen) to The Secretary of State, 8 November 1946, P545.
28. F.R.U.S, Vol V, 1947, Doc 117, The Ambassador in Iran (Allen) to The Secretary of State , 17 February1947, PP 894-895.
29. F.R.U.S, Vol V, 1947, Doc 666, The Ambassador in Iran (Allen) to The Secretary of State, 14 July 1947, P 921.
30. Ibid.
31. F.R.U.S, Vol V , 1947, Doc 434, The Secretary of State to Embassy in Iran, 29 July 1947, PP 925-926.
32. Ervand Abrahamian , Iran Between Two Revolution , Priucetion , New Jersy , 1982, PP 250-251
33. F.R.U.S, Vol VI, 1949, Editorial Note , 21 January 1949, P 474.

٣٤. خماس ، حازم عبد الغفور، سقوط النظام الملكي في ايران واثره على الامن القومي العربي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى المعهد العالي للدراسات السياسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥، ص٨٤.

٣٥. سمو ، المصدر السابق ، ص٤٠-٤١.

36. F.R.U.S, Vol V, 1950, Memorandum of Conversation by The Officer Charge of Iranian Affairs (Ferguson) , 26 January 1950, P 447.F.R.U.S, Vol V, 1950, Doc 1, Memorandum by Chief of Staff U.S Army (Collins) to The Secretary of State , 10 April 1950, P 508.
37. Francis J. Gavin , Politics Power and U.S. Policy in Iran, Pennsylvania University , 2005, PP 11-15.

٣٨. جورج مارشال: (١٨٨٠-١٩٥٩) وزير الدفاع الامريكي في عهد الرئيس ترومان ، تدرج في الرتب العسكرية، برز دوره في الحرب العالمية الثانية ، وضع خطة اقتصادية لمنع

توغل الشيوعية في اوربا الغربية، عرفت بخطة مارشال، حصل على جائزة نوبل للسلام ١٩٥٣، . Britannica Encyclopedia Online

٣٩. حزب توده : وهو الحزب الشيوعي الايراني ، وتعني كلمة توده في اللغة الفارسية (الجماهير) ، ونشأ بين صفوف العمال الايرانيين في حقول النفط السوفيتية في باكو شمال ايران، عقد الحزب مؤتمره الاول عام ١٩٢٠ ، عرف عن الحزب معارضته لنظام حكم الشاه رضا بهلوي ومن بعده نجله محمد رضا ، الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.ج٢، ص٣٥٢.

40.Gavin ,Op Cit, PP 16-17.

٤١. سمو، المصدر السابق ، ص٤١.

42.Gavin , Op Cit, P 17.

43.David Patrick Hugbton , U.S. Foreign Policy and The Iranian Hostage Crisis , Cambridge Studies , 2001, P59.

44.Gavin, Op Cit, P P 17-19.

٤٥. الجبهة الوطنية: تجمع سياسي ايراني اسسه محمد مصدق وكريم سنجابي وعدد من الشخصيات التي كانت تطالب بتأميم النفط الايراني، تمكنت من الوصول الى السلطة وطرد شركات النفط البريطانية، كما انها اشتركت في مظاهرات ١٩٦٣، تعاون سنجابي مع الخميني للإطاحة بنظام الشاه واصبح وزيرا للخارجية، الكيالي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٦.

٤٦. محمد مصدق :(١٨٧٩-١٩٦٥) سياسي ايراني وقف بوجه المصالح الغربية من خلال قيامه بتأميم النفط الايراني اصبح زعيماً جماهيرياً بعد احداث اب ١٩٥٣، تمت محاكمته وسجن لثلاث سنوات بعدها حكم عليه بالبقاء تحت الاقامة الجبرية لمنع اتصاله بالجماهير الايرانية حتى توفي في داره في احمد اباد سنة ١٩٦٥، ،ينظر: ابو مغلي، محمد وصفي، دليل الشخصيات الايرانية المعاصرة، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة، ١٩٨٣، ص١٠٧.

٤٧. منصور ،هدى جاسم ،اثر النفط في العلاقات الايرانية الامريكية ١٩٥٤-١٩٧٣، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية للبنات، جامعة الانبار ، ٢٠٠٦، ص ص ٢٩-٣١.

٤٨. د ، ك ، و ، ملفات البلاط الملكي ، ملفة ٣١١/٤٩٥٨، تقرير السفارة العراقية في طهران الى وزارة الخارجية ، ١ تموز ١٩٥١، و٤٥، ص٩٠.

٤٩. سمو ، المصدر السابق، ص ص ٦١-٦٢.

٥٠. منصور ، المصدر السابق، ص٣٠.

٥١. خماس ، المصدر السابق ، ص٨٧.

٥٢. نزار كريم جواد ، المصدر السابق ، ص٤٢.

٥٣. البكاء ، طاهر خلف، التطورات الداخلية في ايران ١٩٤١-١٩٥١، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠، ص٦٥ .

٥٤. نزار كريم جواد، المصدر السابق ، ص٣٦.

٥٥. خماس ، المصدر السابق ، ص٨٧.

56.Life, Remember Iran, 31 July 1951, P 18.

57.Hugbton , Op Cit, P57.

58.Gavin , Op Cit, P5.

المشاهدات الإقتصادية للرحالة والبلدانيين عن روسيا

أ.م..د. سهيل تركي عنتر
عميد كلية الرشيد الجامعة

المقدمة

لقد التفت الرحالة العرب والبلدانيون إلى دراسة النواحي الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن الجغرافية والطبيعية عن روسيا، مايعزز فكرة معرفتهم معلومات وافية عن الروس منذ بدء ظهورهم في شرقي أوربا.

سنقدم في هذا البحث معلوماتهم هذه بحسب تسلسلها الزمني مما يساعدنا على فهم تطور الروس ، مع ملاحظة أساسية هي أن بعض هؤلاء الرحالة اكتفى بترديد معلومات ذكرها من سبقه واشتراك معهم فيها الأخذ من المصدر نفسه وان الرحالة الى بلاد الروس جعلت رحالة العرب يسلكون سبيل البر من الأندلس أو ارض الفرنجة بأحد طريقين:

اولهما: إلى شمال أفريقيا ومصر وفلسطين (الرملة) ثم إلى دمشق فالكوفة فبغداد فالبصرة ومنها إلى الأهواز وفارس وكرمان إلى السند ثم الهند ثم روسيا.

وثانيهما: عبر الأراضي السلافية وراء روما (الشرقية)إلى خليج مدينة الخزر ثم في بحر جرجان ثم بلخ إلى ما وراء النهر وأواسط أسيا إلى روسيا.

ويبدوا أن الطريق الثاني هو طريق(الرادانية)(*)وهم من التجارااليهود [1] .

نلاحظ أن ابن خرداذبة يميز بين الصقالبة والروس، ويبين أن موطن الروس في أقاصي ارض الصقالبة وراء نهر الدون، وهذه المعلومات تشير بوضوح إلى الشماليين. وقد تضمن البحث ثلاثة مباحث تناولت هذه المباحث مشاهدات الرحالة والبلدانيين وافكارهم الاقتصادية عن روسيا.

المبحث الأول

١. ابن الفقيه أحمد بن محمد الهمذاني (ت، ٢٨٩ هـ / ٩٠٢م)

ابن الفقيه اخذ من مصدر ابن خرداذبة ويكاد يورد النص نفسه، الاانه يتحدث عن تجار الصقالبة بدل التجار الروس[٢]. ولكننا نلاحظ انه يدخل الروس وحتى الشماليين ضمن الصقالبة في نص أخر[٣]. أن معلومات ابن الفقيه لاتسوغ أي باسكفيج في ان ما ورد في ابن خرداذبة بان الروس (جنس من الصقالبة)إضافة مدخولة عليه ، بل يؤخذ هذا بالمفهوم العام للفظ الصقالبة[٤].ويبدو لي أن رأي لفجكي اقرب للقبول هنا حين يرى أن كلمة (صقالبة)تعني السلاف أو الذين يتكلمون بالسلافية[٥].

وبعد هذا نلاحظ أن ابن خرداذبة لا يشير إلى ارض روسية، ويسمى نهر تيس (نهر الصقالبة)[٦] ويبدو لي انه يصف الوضع في الحقبة التي لم تشر تكوين أي كيان سياسي للروس في شرق أوربا.

لكن ابن الفقيه يورد ملاحظة أخرى حين يقول (أو يأخذون أي التجار الصقالبة)في هذا النهر الذي يقال له نهر الصقالبة حتى يجيئون إلى خليج الخزر فيعشرهم صاحب الخزر ثم يصيرون إلى البحر الخراساني (أي بحر قزوين) فربما خرجوا بجر جان فباعوا جميع ما معهم فيقع جميع ذلك إلى الري) [٧]. فهو يذكر نهر الصقالبة أي نهر تنيس آو الدون ويبين إنهم يخرجون من بحر الصقالبة إلى هذا النهر، وهذا يعني بوضوح إنهم يخرجون من بحر أزوف الذي يصب نهر الدون فيه.وهذه أول إشارة إلى أن التجار كانوا يأتون من بحر أزوف .

٢. ابن رسته ،الحَسَنِ بنِ عُمَرَ بنِ زَيْدٍ الضَّبِّيُّ، (ت،٣٠٠هـ /٩١٢م)

لقد أورد ابن رسته بعض المعلومات الجديدة عن الروس، ولعله أخذها عن مسلم بن أبي مسلم ألجرمي فهو يميز بين الروس والصقالبة ويذكر أن الروس يعيشون في جزيرة وسط بحيرة.وتبلغ سعة الجزيرة مسيرة ثلاثة أيام (مشا جر وغياض) ، وهي غير صحية ومرطبة.

وهنا تجابهنا مشكلة تحديد محل أقامتهم. فيرى مينورسكي أن نص ابن رسته يشير إلى إقامة شيوخ النورمان ((الشماليين))في منطقة البحيرات الروسية الكبرى وان مدينتهم هي نوفكرود وان هذه الكلمة تعني في الاسكندنافية ((مدينة البحيرة) [٨].

ويبين فرنادسكي ان أوصاف ابن رسته تنطبق على مدينة تموتور وكانت في شبه جزيرة تمان في القرم آذ يحفها البحر الأسود من الجنوب ومضيق كرج من الغرب وبحر أزوف من الشمال، وهي في الواقع جزيرة لأنها مفصولة عن البحر بأذرع دلتا نهر كوبان. كما أن المشاجر والغياض التي يذكرها ابن رسته تكثر على ضفاف الأقسام السفلى من نهر كوبان[٩].

ويبدوا لي إن الرأي الثاني اقرب إلى القبول. فغريزي الذي اخذ من مصدر ابن رسته يبين ان للروس جزيرة تقع في البحر ، ويبين ان ملكهم يأخذ العشر من التجار[١٠] ويقول البيروني في حديثه عن بحر نيطس (وحوله الأرمن وطوايف من الأتراك والروس والصقلب) [١١] ويذكر الوطواط (محمد بن إبراهيم الوراق)ان الروس يعيشون في جزيرة في بحر ميوطس ، أي الأزوف ، وهو إنما ينقل من مصادر سابقة ويعطي مبار كشاه (فخر الدين) في تاريخه معلومات مماثلة[١٢].

ويذكر ابن رسته إن الروس لهم مدن كثيرة، ويلقب ملكهم ب(خاقان)، ويبدو إن هذا يشير إلى مطلع القرن التاسع للميلاد حين أصبحت لديهم دولة هي (خاقانية أزوف) [١٣].

وكان الروس يقومون بغارات في قواربهم على الصقالبة ويسبون بعضهم ليبعوهم للخزر والبلغار، ولم تكن لديهم زراعة بل كانوا يأكلون مما يحملونه من اراض السلاف[١٤] وهم يعتمدون على سيوفهم، وإذا ولد الرجل منهم مولود قدم إلى المولود سيفا مسلولا فالقاه بين يديه وقال له : لااورثك مالا وليس لك إلا ما تكسبه لنفسك بسيفك) [١٥].

ويضيف الى ذلك بأنهم ليس لهم عقار ولاقرى ولا مزارع بل أن مهنتهم المتاجرة بالسمور والسنجاب وأنواع أخرى من الفراء يبيعونها نقدا بالدنانير والدراهم. ولابد ان نلاحظ التضارب بين إشارته الى إنهم مدن كثيرة وبين قوله إنهم لاقرى لهم وهذا يعني ان معلوماته تشير الى حقبتين مختلفتين.

ويبين ابن رسته ان للروس سيوفا ممتازة هي السيوف السليمانية. وقد تحدث البيروني عن طريق معالجة حديد السيوف الروسية وعن مصدرها[١٦]. وأشار مسكويه الى روعة هذه السيوف والى(مضائها وجودتها) [١٧]. وتحدث ابن رسته عن تماسكهم، فإذا استنفرت طائفة منهم خرجوا جميعا مقاتلين وقاتلوا متحدين العدو. وإذا اختصم اثنان ولم يوافق احدهم على حكم الملك في الخلاف احتكما الى السيف ولجأت قبيلتهما الى القتال. وهم يكرمون ضيوفهم ويحسنون الى من يلوذ بهم. ولا يسمحون لأحد إن يسئ معاملتهم ويعتدي عليهم. وإذا استغاث بهم احد في مكروه أو ظلم أعانوه ودفعوا عنه. وهم يحملون سيوفهم دائما لان أحدا لا يثق بالأخر. وقد عرفوا ببسالتهم وبقسوتهم المتناهية في الحرب، وكانت غزواتهم عادة في القوارب والسفن. واذا مات احد كبرائهم حفروا له قبرا كبيرا مثل البيت

الواسع ووضعوا فيه ملابسه وأسورته وكثيرا من الطعام والشراب وقدرا من النقود الذهبية والفضية وجعلوا امرأته المفضلة معه في القبر وهي حية ثم يسد عليها القبر فتموت هناك. ويورد مسكويه معلومات مباشرة عنهم في سنة ٣٣٢هـ في معرض حديثه عن حماقهم على مراغة ويقول (فكان إذا مات الرجل منهم دفنوا معه سلاحه وثيابه والته وزوجته اوغيرها من النساء وغلامه أن كان يحبه على سنة لهم))[١٨]. ويذكر ابن رسته ان الروس كانوا يرتدون الثياب النظيفة ويتأنقون بملابسهم ويتزينون بالا سورة الذهبية. ولهم سرا ويلات واسعة يتخذ الواحد منها في مائة ذراع ((إذا لبسها اللابس منهم جمعها على ركبتيه وشدها عند هما)) [١٩].

ويذكر ابن رسته دور الأطباء بينهم فيقول (ولهم أطباء منهم يحكمون على ملكهم شبه أرباب لهم واذا حكمت الأطباء لم يجدوا بدا من الانتهاء الى أمرهم). وهؤلاء يأمرونهم بتقديم الضحايا من البشر والكراع[٢٠]. ويرى البعض في هذا النص إشارة الى مجلس الحكم لدى الروس[٢١] نلاحظ إن ابن رسته يميز بين الروس والصقالبة (السلاف)، ويشير إلى إن أول دولة لهم (الخاقانية)، التي تبدوا دولة عسكرية وتجارية. وهم يتاجرون بانتظام مع شعوب الفولجا وكانت سمكرزمحطة لهم على دلتا نهر كوبان[٢٢] وليس لهؤلاء الروس زرع بل تجهزهم القبائل السلافية التابعة لهم بالمواد الغذائية الأخرى، ويفهم من غرد بزي إنهم كانوا يجمعون الضريبة من السلاف بصورة منتظمة، وترد الإشارة إلى عاداتهم وبعضها غريب مثل تقديم الضحايا البشرية ودفن الزوجات والخدم مع الموتى وفي ابن رسته بعض التناقض .فهو يذكر إن الروس ليست لهم قرى ، ثم يرجع ويقول إنهم ((لهم مدائن كثيرة))، ولعل ذلك ناشئ عن جميع المعلومات بحقبتين مختلفتين ، بداية وتوسع[٢٣].

٣- :المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت،٣٥٠هـ / ٩٦٦م)

لقد اخذ ألمقدسي صاحب كتاب البدء والتاريخ، من المصدر الرئيس لابن رسته وأورد معلومات متسعة، إذ يقول (وإما الروس فإنهم في جزيرة وبيئة تحيط بها بحيرة، وهي حصن لهم ممن أرادهم وجملتهم في التقدير زهاء مائة إلف إنسان، وليس لهم زرع ولأضرع، يتاخم بلدهم الصقالبة فيغيرون عليهم ويأكلون أموالهم ويسبونهم. قالوا وإذا ولد لأحد منهم مولود القي إليه سيف وقيل له ليس لك الاماتكسبه بسيفك. ولهم ملك إذا حكم بين الخصمين بشئ فلم يرضيا به قال تحاكما بسيفكما فأي السيفين كان احد كانت الغلبة له)[٢٤].

هنا يرى المقدسي الجزيرة حصنا للروس من الطامعين، ويبين إنهم يغيرون على جيرانهم الصقالبة فيأخذون منهم المواد الغذائية والسبي.وهو يجعل عددهم مائة إلف[٢٥] ليس لهم زرع ولأضرع، واعتمادهم على السيف.

ذكر المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ان المسلمين كانوا يجلبون كثيراً من السلع من جنوب روسيا والبلاد الأوروبية الشمالية، ومنها الجلود والفراء والشمع والقلانس والعسل والسيوف، وقال: انهم كانوا يستجلبون رقيقاً من الصقالبة. وكان أهم ما يحمله هؤلاء التجار الى الأقاليم النائية، أنواع المنسوجات والتحف والفواكه[٢٦].

سلك التجار في أثناء تنقلهم بين العراق وبلاد الروم البيزنطيين وشرق أوروبا، عدة طرق ، كان أهمها الطريق الذي ربط مدن العراق الكائنة في شمال الجزيرة الفراتية والموصل، إذ يصعد هذا الطريق شمالاً حتى ينتهي به المطاف عند مدينة القسطنطينية أو طرابزون[٢٧].

وذهب بعض التجار العراقيين الى حوض نهر الفولغا، وكانوا يلقون معاملة طيبة، ويدفعون ضريبة قدرها عُشر قيمة البضاعة التي يحملونها. وكانوا يجلبون من

هناك أنواع الفرو، كالسمور والسنجاب، وفرو الثعالب والنشاب والسيوف والدروع والعسل والشمع[٢٨].

كما وصلوا الى مدينة كييف حاملين معهم بضائع بلادهم، وفي مقدمتها المنسوجات الرقيقة والمخملة والناعمة المُطرزة، أو المصنوعة من الحرير، التي كانت تصنع في مدينة بغداد والموصل، ونالت تقدير سكان تلك المناطق، وجالبين معهم من هناك أنواع السلع. وتُشير المدونات التاريخية الى أن الكهرب الصقلبي المحمول من منطقة البلطيق كان يفضله المسلمون فكانوا يأخذونه ويصدرون بعضه الى الصين. [٢٩]

٤- :الإصطخري، أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي (ت،٣٤٠هـ / ٩٥٦ م)

ويورد الاصطخري في الأساس معلومات البلخي (ت٣٠٨هـ / ٩٢٠م) الذي كتب قبل ابن فضلان بقليل وهو يذكر إن الروس يسكنون بسن البلغار (على الفولجا)وبين الصقالبة[٣٠] ويتاجرون مع الخزر والروم (البيزنطيين)ومع البلغار.وهم كثيرون جدا بلغ من قوتهم أنهم ضربوا خراجا على مايلي بلادهم من بلاد الروم وعلى بلاد بلغارا لداخل[٣١] ويميز الاصطخري ثلاثة أصناف من الروس، فيبدأ بالقريبين من البلغار ومقر ملكهم في كويابة (كييف) وهي مدينة اكبر من بلغار. ويليهم الصلاوية وأقصى هذه الجماعات هم الارثانية وعاصمتهم إرثا أو ارتاب أو إربا[٣٢].

ويصل التجار (من المسلمين كما يبدو)إلى مدينة كويابة، ولكن لم يذكر أن احد دخل أرثا لأن أهلها يقتلون كل من وطئ أرضهم من الغرباء. ويترل الارثانية بتجارتهم في قوارب ولايخبرون أحدا بشئ من أمورهم ومتاجرهم ولا يسمحون

لأحد إن يصاحبهم أو يدخل بلادهم. ويحمل من إرثا فرو السمور الأسود والرصاص[٣٣]، هذا وتجلب جلود الخز والشمع والعسل من الأراضي الروسية[٣٤]. ويتحدث الاصطخري عن بعض عوائدهم فيذكر أن الروس يحرقون الموتى، ومتى كانوا من المياسر احرقوا معهم الجواري بمحض اختيارهن. ويحلق البعض لحيته في حين يسرح البعض الأخر لحيته فيمشطها ويجذلها في ذوائب[٣٥]. ولباسهم قصير وهو القرطاق القصار[٣٦] ويلاحظ الاصطخري أن (روس) اسم للمملكة لا للمدينة ولا للناس، وان لهم لسان خاص يختلف عن لسان الخزر وبرطاس[٣٧].

ويتتابع ابن حوقل الاصطخري مع إضافات محدودة. فيذكر أن الصلاوية اتخذوا (صلا) عاصمة لهم [٣٨]، وان إرثا تقع على نهر الروس (الدون) [٣٩].

ويؤكد ابن حوقل إن التجارة الروسية تأتي دوما إلى الخزر حيث يدفع التجار العشر، كما إن التجار الروس يواصلون تجارتهم مع الروم[٤٠].

إن الإشارة إلى الأصناف الثلاثة إنما هي كيانات قبلية سبقت تكوين روسيا القديمة وهي دولة كييف. فالاصطخري يذكر الاتحاد القبلي ومركزه كييف ويبدو إن القبيلة الرئيسة هي يوليانه، والمجموعة القبلية الثانية هم السكان السلوفيون في ارض نوفكرود والمركز مدينة نوفكرود. والمجموعة الثالثة ارثانية وهي كما يبدو تشير إلى الروس حول بحر أزوف والبحر الأسود[٤١].

المبحث الثاني

١. ابن حوقل، بو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي (ت،٣٦٧هـ /٩٧٧م)

لقد بين ابن حوقل إن التجارة الروسية تأتي دوما إلى الخزر ، وكان على التجار فيما يوردونه نحو العشر من أموالهم . ويبين أن الذي يحمل من الخزر من العسل والشمع والوبر (الفرو)إنما يحمل إليهم من ناحية الروس وبلغار، وكذلك جلود الخزر(٤٢).

كما إن الروس يتجرون مع الروم وبلغار الأعظم. ويحمل من إرثا السمور السود والثعالب السود والرصاص وبعض الزنبق(٤٣).

ويشير ابن حوقل إلى مآثرهم الحربية في زمنه وسنرجع إلى ذلك.ويبن أنهم اخرجوا بلغار والخزر سنة ٣٥٨ هـ /٩٦٨م.ومن دلائل توسعهم في زمنه أنه يذكر الأراضي التي توسعوا إليها ويسميها بلاد الروس. ثم يذكر من عوائدهم ولباسهم ما أورده الاصطخري(٤٤).

وذكر الرحالة الجغرافي العربي إبن حوقل مخاطر الوصول الى بلاد الروس فيقول: فلم أسمع أحد يذكر انه دخل بلاد الروس مع الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطئ أرضهم من الغرباء، وانما ينحدرون في الماء ينجرون ولا يخبرون بشيء عن أمرهم ومتاجرهم ولا يتركون أحداً يصحبهم... وتطرق العلامة ابن حوقل الى طقوس الروس القديمة ومنها حرق موتاهم، و"الروس قوم يحرقون انفسهم اذا ماتوا مع مياسيرهم الجواري منهم بطيب أنفسهم كما يفعل بغانه وكوغة ونواحي بلاد الهند"(٤٥).

٢. ابن فضلان أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م)

هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، لا نعرف عنه أكثر من أنه «كان حيـــاً سنة ٣٠٩هـــ - ٩٢١م»[٤٦] وكان مولى للقائد العسكري العباسي محمد بن سلمان الذي قاد في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين حملات عسكرية امتدت من مصر في الغرب إلى حدود الصين في الشرق.

لقد أعطى ابن فضلان معلومات مباشرة عن التجار الروس الذي رآهم لدى بلغار وهو الفولجا. وهو يبين أن مدينة البلغار على بعد فرسخ من اتل[٤٧] ثم يتبين بعدئذ أنه يقصد بأثل النهر العظيم الذي يصب إلى بلاد الخزر وهو نهر (الفولجا)إذ انه وجد ملك البلغار في منطقة قريبة من النهر المذكور على بعد فرسخ[٤٨]. وكان البلغار في أعالي الفولجا قرب خط عرض من[٤٩] .

أما الحياة الاقتصادية للروس فقد أشار ابن فضلان إلى أن مورد رزقهم الرئيس هو التجارة، ويرى أن تجارتهم كانت مربحة وموفقة، وكانت تقوم على بيع الرقيق الأبيض، خاصة النساء، وعلى الفراء الجيد الذي تعرف به حيوانات المناطق الباردة[٥٠]. ما ذكره ابن فضلان من ولع التجار الروس بالدنانير والدراهم الفضية العربية؛ وهو ما دعمته الأبحاث الأركيولوجية التي وجدت شيوعًا بالغًا للعملات العربية في شرق أسكندنافيا ومنطقة بحر البلطيق. [٥١]

من ثم وصل إلى بخارى، وفيها يصف لنا النقود الغطريفية قائلاً: «ورأيت الدراهم ببخاره ألواناً شتى، منها دراهم يقال لها الغطريفية: وهي نحاس وشبه وصفر يؤخذ منها عدد بلا وزن مئة منها بدرهم فضة، وإذا شروطهم في مهور نسائهم: تزوج فلان ابن فلان فلانة بنت فلان على كذا وكذا ألف درهم غطريفية وكذلك

أيضاً شراء عقارهم وشراء عبيدهم، لا يذكرون غيرها من الدراهم ولهم دراهم أخر صفر وحده؛ أربعون منها بدانق، ولهم أيضاً دراهم صفر يقال لها السمرقندية ستة منها بدانق»[٥٢].

تحدث ابن فضلان عن الروس ، وجلب انتباهه صحة أبدانهم إذ :يقول : (فلم ار أتم أبدانا كأنهم النخل شقر خمر). وهم لا يلبسون القرط ولا الخفاتين (ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحدى شقيه ويخرج أحدى يديه منه) [٥٣]. ويحمل كل رجل سيفا وسكينا وفأسا (وهي الفأس النورسية). وسيوفهم عريضة (صفائح مشطبة إفرنجية). وهم يزينون أجسامهم بالوشم من العنق إلى أظفار القدمين فيرسمون الأشجار والصور وغير ذلك[٥٤] . وتحمل كل امرأة حقة (للعطور) مشدودة على ثديها، وتصنع من حديد ونحاس وفضة اوذهب (على قدر مال زوجها ومقداره)، وفي كل حقة حلقة تربط إليها سكينة وتشد على الثدي أيضا. وهن يزين أعناقهن بأطواق من الفضة والذهب، وعدها يتناسب مع ثروة زوجها، فكل عشرة ألاف درهم يملكها الرجل يقابلها طوق يصوغه لامرأته ولذا فربما كان في عنق المرآة الواحدة أطواق كثيرة. وينتقد ابن فضلان التجار الروس لقلة نظافتهم ولعدم اعتنائهم بالاغتسال. وهم يكثرون من شرب النبيذ صباح مساء[٥٥]

ويأتي هؤلاء التجار في سفنهم ويرسون في نهر اتل ويبنون على شطه بيوتا كبيرة من الخشب ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر ومعهم الجواري (للبيع) ولكل منهم سرير .

ثم يصف احترامهم للصور الخشبية وتقديسهم لها وتقديمهم الهدايا لتيسر لهم بيع تجار اتهم ، ومتى باعوها ضحوا الاضحيات لهذه الصور[٥٦]. ومن الواضح ان هؤلاء وثنيون . إذا تمرض احدهم أقاموا له خيمة من ناحية ووضعوا معه شيئا من

الطعام من خبز وماء ويتركونه لوحده وخاصة إذا كان فقيرا اوعبدا ، فإذا شفي عاد إليهم وإذا مات احرقوه وإما العبد فيترك للكلاب والجوارح[٥٧] .

ويشير الى كرههم للسرقة ،فإذا امسكوا بلص ا وسارق شدوا حبلا في عنقه وعلقوه على شجرة وتركوه عليها حتى يتلف[٥٨] .

ويسهب ابن فضلان في وصف مراسيم حرق الموتى وما يترك من مؤنة ومتاع مع الميت. إذا مات احد رؤسائهم احرقوه مع من يرغب من عبيده رجالا ونساء وأكثر ما يفعل ذلك الجواري . ويصف مشهد سفينة احرق عليها ميت مع الأضاحي حوله وطريقة قتل من يرغب ان يحرق معه بالخنق والطعن . وكان العادة ان يشعل النار اقرب الناس إلى الميت، فإذا تعالى الدخان فان مصير الميت أسعد والجنة بنظرهم (حسنة خضراء) [٥٩] ويعتقد الروس إن أرواح أعدائهم الموتى تلاحقهم الى العالم الأخر ولذا فإنهم يقتلون أنفسهم حين يحسون بخطر تعرضهم للأسر ويؤيد ذلك ابن مسكويه[٦٠]. ويحيط بملك الروس أربعمائة رجل من (صناديد أصحابه) وهم يموتون بموته ويقتلون دونه . ولكل منهم جاريتان واحدة للخدمة والأخرى للفراش. وهم يحيطون بسرير الملك وهو سرير عظيم مرصع بنفيس الجواهر . وللملك خليفة (يسوس الجيوش ويدفع الأعداء ويخلفه في رعيته) [٦١] ونلاحظ ان ابن فضلان يتحدث عن ملك الروس ، ويبدو ان هذا يتصل بانتهاء المرحلة الخاقانية بوصفه كياناً متميز بعد قيام دولة كييف. وبهذه المناسبة نذكر أن ابن فضلان يسمى ملك البلغار(ملك الصقالبة) وهو محق في ذلك فالمسعودي يقول عن البلغار ((وهم نوع من الصقالبة)) [٦٢].

لقد صاغ ابن فضلان ودون رحلته، في شكل تقرير يرفعه إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله، فحدد لنا تاريخ خروج الرحلة ووصف الطريق الذي مرت به الرحلة. وكتب ابن فضلان تقريره عن الرحلة إلى بلاد البلغار بأسلوب سهل وبسيط، بعيد

عن التكلف والتقعر، قصصي مثير وشائق، وعبارة موجزة، ولفظه دقيق، ووصف جميل بارع، قال عنه محقق رحلته سامي الدهان إنه: «لا يبتعد عن أسلوب الأديب، ولا يتقرب من أسلوب الجغرافي»[٦٢].

يتمتع ابن فضلان بدقة التصوير، وبراعة في الوصف، وقوة الملاحظة، وتصوير مشاعره وما يجول في نفسه من مشاعر الفرح والغبطة والخوف والفزع. «وقد كانت الحيوية التي تميز بها وصفه رائعة لدرجة أوحت إلى أحد الفنانين بأن يصورها في لوحة موجودة حالياً في متحف التاريخ بموسكو»[٦٣].

٣. المسعودي :- علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

يعطي المسعودي وهو مؤرخ وجغرافي في مروج الذهب وفي التنبيه والإشراف معلومات جديدة مستقلة. يبين المسعودي أن ((بحر نيطس هو بحر البر غر والروس وغيرهم من الأمم)). ثم يقول في محل أخر ((أن..بحر مايطس (الأزوف)ونيطس(الأسود) هو بحر البر غر والروس[٦٤] ولكن فكرته عن مايطس غير دقيقة إذ يقول ((ويتصل (نيطس)ببحيرة مايطس وطولها ثلاثمائة ميل وهي في طرف العمارة من الشمال وبعضها تحت القطب الشمالي أن فكرته ليست واضحة عن مايطس (الأزوف) من ناحية السعة والامتداد فهو يسميه مرة بحرا ومرة بحيرة ويراه يمتد الى تحت القطب الشمالي . ولعل هذا الغموض يساعد على فهم نص أخر له يبدو عليه الارتباك . يقول المسعودي ((وفي أعالي نهر الخزر (الفولجا) مصب يتصل بخليج من بحر نيطس وهو بحر الروس لا يسكنه غيرهم ، وهم على ساحل من سواحله[٦٥]. فلايمكن أن يكون بحر الروس هو بحر نيطس لان المسعودي نفسه اوضح أنه بحر لهم ولغيرهم . ثم ان نهر الخزر يصب في بحر الخزر (بحر قزوين) فلابد ان تكون الاشارة لنهر اخر ، والعرب يعرفون نهر تتيس (الدون) الذي يقرب من اعاليه من نهر الفولجا . كل هذا يعني ان المسعودي يقصد نهر الدون

الذي يصب في بحر ازوف ويمكنه ان يسميه بحر الروس ، والذي سماه ابن الفقيه بحر الصقالبة ، اشارة لمرحلة اسبق . واذن فبحر الروس عند المسعودي هو بحر ازوف وليس بحر البلطيق كما ظن بعض الباحثين) [٦٦].

ويعطي المسعودي تفسيرا لكلمة روس فيقول ((والروم تسميهم روسيا بمعنى الحمر)) وهذه اشارة طريفة ينفرد بها[٦٧]. ويبين ان الروس (امة عظيمة لاتنقاد اللى ملك ولا شريعة) ، ثم يوضح بأنهم (امم كثيرة ذات أنواع شتى فيهم جنس يقال لهم اللوذ عانة (الكوذكانه في التنبيه) وهم الأكثر يختلفون بالتجارة الى بلاد الأندلس ورومية والقسطنطينية والخزر[٦٨]. وهذه إشارات شاملة للروس وللشماليين ، والى ان هؤلاء لهم شيوخ وامارات لاتنتظمها دولة واحدة . ويذكر المسعودي ان الروس يتاجرون مع بلاد البر غر (البلغار) وان معدن الصفة كثير في بلاد الر وس[٦٩]. ويظهر من إخباره ان تجارة الروس كانت نشطة عبر بحر مايطس ونيطس الى خليج القسطنطينية ، او الى بلاد الخزر ، وبالعكس عبر مايطس ونيطس الى بلاد الروس . كما انه يشير الى شعور البيزنطيين بخطرهم فيبين انه يوجد في أعالي خليج القسطنطينية (بحر مر مرة) (عمائر ومدينة للروم تدعى مسناة تمنع من يرد من ذلك البحر (ازوف والاسود) من مراكب الروس وغيرها) أوفي نص أخر (من مراكب الكوذكانة وغيرهم من أجناس الروس) [٧٠]. ويبدو انه يشير الى ما بعد القرن التاسع للميلاد . ثم يتحدث المسعودي بتفصيل عن حملة الروس على الأراضي المجاورة لبحر قزوين بعد الثلاثمائة وماسسببوه من رعب وخراب[٧١] وما بعدها .

ويبين المسعودي انه يوجد سلاف وروس في مملكة الخزر ، وإنهم (جند الملك وعبيده). وهم يسكنون في احد جانبي مدينة اتل ولهم قاض من بينهم (يحكم بحكم الجاهلية) . ثم يتحدث عن عاداتهم في إحراق الموتى ويقول: ((ويحرقون موتاهم ودوابهم والالة وحلية . وإذا مات الرجل أحرقت معه امراته وهي على قيد

الحياة وإذا ماتت المرآة لم يحرق الرجل وإذا مات منهم عزب زوج بعد وفاته. والنساء يرغبن في تحريق انفسهن لدخولهن عند أنفسهم الجنة[٧٢]، والمسعودي يجمع في اخباره بين المعلومات مباشرة استقاها من التجار والمسافرين الذين لا يعرفون الأراضي السلافية والذين قابلهم في بغداد أو في الأراضي المجاورة لبحر قزوين[٧٣]يقول المسعودي: فلم أر فيمن دخل بلاد الخزر من التجار ومن ر كب منهم في بحر مايطس ونيطس إلى بلاد الروس)) وبين معلومات قديمة، وجل معلوماته جديدة ومتينة.

٤.الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت،٥٦٠ هـ/ ١١٦٠م)

يعطي الإدريسي معلومات جديدة عن الروس، وقد وضع المعلومات القديمة جنب الجديدة كما فعل غيره، فهو يكرر المعلومات المألوفة عن حرق الموتى بين الروس وعن ملابسهم وأشكال لحاهم ، وعن تقسيمهم على ثلاثة أصناف . ويبين أن روسيا تقع في الإقليم السابع في القسمين الرابع والعاشر ولكن الجزء الأهم منها يقع في القسم الثاني ، وهو يشير إلى أراضي المراعي والى قرى مهجورة والى الثلج . ويتحدث عن مدن روسية مثل هلمجارد وهي مدينة كثيرة السكان تقع على جبل صعب المرتقى وأهلها يتسلحون خوفا من اللصوص ويبين مدن أخرى مثل سنبولي ومولين شقطة وهي على نهر ديسنا وهما مدينتان عامرتان . ثم يبين الإدريسي أن بلاد الروس شاسعة ، وان القسم الخامس من الإقليم السابع يحوي القسم الشمالي من بلاد الروس ويشمل الحوض الأعلى لنهر الدنيبر والخط الساحلي لشبه جزيرة كولا وهذا الجزء ضيق ومحصور بين جبليين[٧٤] واذا استثنينا الإدريسي فأننا لأنجد أية معلومات جديدة بعد القرن الحادي عشر الميلادي.

المبحث الثالث

١- ياقوت الحموي، بن عبد الله الرومي (ت،٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م)

يقدم في معجمه معلومات مقتبسة من أسلافه فيبدأ بفقرة من المسعودي، ويورد ما جاء في كتاب البدء والتاريخ للمقدسي بنصه ، ثم يأخذ اقتباسا طويلا من رحلة ابن فضلان[٧٥].

٢. القزويني أبو عبد الله بن زكريا. (ت،٦٨٣هـ / ١٢٨٣م)

يورد القزويني كتابه (أثار البلاد)بعض المعلومات عن الروس ولكنها مرتبكة لا تجدي عدا مااورده عن بحر ورنك (لبلطيق)، وهو يسمى بحر نيطش بحر الروس[٧٦] .

٣. ابن سعيد المغربي ،أبو الحسن على بن موسى بن سعيد الأندلسي (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

يقدم في كتابه (بسط الأرض) معلومات قليلة. فيبين أن بحر مانيطش (الأزوف) فيه جزائر يسكنها الروس وهم ألان على دين النصرانية ويبين أن هذا البحر يدعى بحر الروس، ويذكر أن الروس لهم مدن كثيرة على بحر نيطش وما نيطش. ثم اما مدينة (روسيا) ويسميها ((قاعدة الروس))ويبين أنها على ضفة نهر يخرج من بحيرة طوما (بحيرة المن)، ويخلط بين نهر لوفات ونهر الدنيبر الذي يبدأ **بتلال (فلداي)القريبة من نهر لوفات. ويعطي موقع مدينة روسيا بخطوط الطول والعرض. وأخيرا يقول عن الروس ((وهم خلق كثير من أشجع خلق الله وفي وجوههم طول))** [٧٧]

٤. الدمشقي ،شمس الدين أبي عبدالله ، المعروف بشيخ الربوة (ت،٧٢٧هـ / ١٣٢٦ م)

يقدم الدمشقي معلومات منقولة في الغالب ممن سبقه ولكنه نسقها حسب اجتهاده . فبين أن الروس ينتسبون إلى مدينة اسمها (روسيا) على شمال بحر الروس.

وهو اقل دقة من ابن سعيد في هذا إلى مدينة ستاريا روسيا وهي قريبة من بحيرة (المن)إلى الجنوب منها[٧٨] ، ويذكر ان نيطس او البحر الأسود هو بحر الروس وبجزايرعامة تسمى الروسية)) وإنهم نصارى . ولكنه غير واضح بالنسبة لموضع هذا البحر ويعكس الارتباك الحاصل في الروايات. فيذكر ، على قول ، أن بحر نيطس ((بحر مستقل بنفسه يخرج من خليج القسطنطينية ويصب في بحر الروم)) ، وهذا يصدق على البحر الأسود . ثم يعود ويورد قولا أخر هو ((ويقال انه خليج يخرج من البلطيق على ظهر بلاد الصقالبة، وظهر بلاد البلطيق الخ))وهذا يصدق على بحر البلطيق. وهو يعترف بأنه يردد أقوال ((المعنيين بعلم ذلك[٧٩] ويبين الدمشقي ان الروس لهم جزائر في بحر مانيطس (الازوف) يسكنونها، ولهم مراكب حربية يقاتلون عليها الخزر ، وهذا اقرب إلى الدقة مما اورده عن جزر في البحر الأسود .

ثم يتطرق إلى طريق تجارتهم وحملاتهم ، فهم يسيرون في فرع للفولجا يجري إلى البحر الأسود وعند وصولهم إلى النهر الرئيس (الفولجا) ينزلون إلى بحر قزوين ، وهذا يحتاج إلى توضيح آذ يبدوا انه يرى نهر الدون فرعا لنهر الفولجا إذ يذهب الروس في الدون من بحر أزوف ثم ينتقلون إلى الفولجا ويسيرون فيه إلى بحر قزوين. ويبين أن الروس كانوا مجوسا ثم تنصروا ، ويورد رواية ابن الأثير عن سبب تنصرهم عام ٢٧٥هـ / ٩٨٥م[٨٠] يقول ابن الأثير ((وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان ارمانوس وهما باسيل وقسطنطين وضيق غليهما فراسلا ملك الروسية واستنجداه وزوجاه باخت لهما فامتنعت من تسليم نفسها الى من يخالفها في الدين فتنصر وكان هذا أول النصرانية بالروس[٨١] هذا يتضح ان الدمشقي جمع المعلومات المتيسرة بما فيها من اضطراب وقدمها بأمانة.

٥. أبو الفداء، أبو بكر بن محمد الفارسي، (ت، ٧٢١ هـ / ١٣٢١م)

لم يورد في كتابه تقويم البلدان من جديد يستحق الذكر ، ولكن وجهته لها دلالتها . فهو يبين ان بلاد الروس شمالي العمارة ، وأنهم شمال مدينة (بلغار)، ويشير الى قوم شمالي الروس يتصلون بساحل البحر الشمالي . وقد اخذ معلوماته عن بعض من سافر الى تلك البلاد(٨٢). ثم يذكر مدينة (روسيا) ويبين أنها في شمال الإقليم السابع ، وقد نقل معلوماته عنها من ابن سعيد .

٦. ابن الوردي سراج الدين أبي حفص عمر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

ان محاولة ابن الوردي في جمع المعلومات عن روسيا هي أخر محاولة لجمعها وتنظيمها فهو يتحدث عن ارض الروس ويبين إنها ((ارض واسعة الأقطار إلا إن العمارات بها متقطعة لا متصلة . وبين البلد والبلد مسافة بعيدة)) . ثم يصف أرضهم الرئيسة ويقول ((وأرضهم بين جبال محيطة بهاو تخرج من هذه الجبال عيون كثيرة تقع كلها في بحيرة تعرف بطوهي[٨٣] وهي بحيرة كبيرة في وسطها جبل عال فيه وعول كثيرة . ومن طرفها يخرج نهر دياتوس)) وهذا الوصف ينطبق بوضوح على منطقة نوفكرود، منطقة البحيرات الوسطى ، ويبدوا ان البحيرة هي بحيرة المن التي تتصل بها أراض واطئة من المباخس ويبدوا إنها تتسع في موسم إلا مطار . وإما النهر المشار إليه فيحتمل أن يكون نهر دوينا الغربي ، ولكن الأرجح بالنسبة لمعلومات الجغرافيين العرب اعتباره نهر الدنيبر[٨٤].

ويذكر ابن الوردي إن بحرنيطش (الأسود) هو بحر الروس ، وان الروسية على ساحله الشمالي[٨٥]. ويبين في محل أخر إن الروس بين بلغار والصقالبة ويشير إلى قصر النهار عند الروس في الشتاء إلى ثلاث ساعات ونصف ويستشهد على ذلك بقول الجو القي الذي شهد ذلك في بلادهم[٨٦]. وهذا يعني أن ابن الوردي يتحدث عن مراكز الروس شمال البلغار في منطقة نوفكرود ، وفي منطقة كيف ، وعلى ساحل البحر الأسود.

الخاتمة

ان استعراض معلومات الجغرافيين العرب ، يعطي فكرة عن بدايات الدولة في روسيا وعن التطور السياسي ، وان كان ذلك لايخلوا من اضطراب . فقد عرف الجغرافيون العرب بدايات الفعاليات التجارية للصقالبة ومنهم الروس ، كما ينعكس ذلك في ابن خرداذبة ،وابن الفقيه. كما تركزت معلوماتهم الأولى على نشاط الروس التجاري بين البجر الأسود وأزوف إلى الفولجا وبحر قزوين.

ويكشف الجغرافيون العرب عن تكوين اول دولة للروس وهي خاقانيه ازوف ، وهذا ما لاتذكره المصادر الروسية الأولى .

وقد انتبه الجغرافيون العرب الى الطابع القبلي للروس في الحقبة الأولى ، والى إنهم يعتمدون على التجارة والحرب في حياتهم العامة .

ثم يتحدثون عن الأصناف الثلاثة للروس ، وهم يشيرون بذلك الى اتحادات قبلية تتركز حول مدينة من المدن ، وسموا ثلاثة مراكز لاتحادات ثلاثة هي نوفكرودوكييف وارتا (فرب ازوف). ويبدوانه كان لكل من هذه المدن كيانها الذاتي في تلك الرحلة، ولكل رئيس .

لم يميز العرب الشماليين (الورنكيين) وبين الروس ، اذان الشماليين كانوا يجهزون المقاتليين الاجراء (المرتزقة)، ولم يعرفوا كيف توصل بعض هؤلاء الى السيادة واصبحوا سادة بعض المدن .

وقد لاحظ الجغرافيون العرب انتقال الروس من المجوسية (عبادة الصور والأوثان) إلى النصرانية ، وأشاروا إلى البدايات في القرن التاسع والى تنصر ملكهم فلاديمير في أواخر القرن العاشر وشيوع النصرانية بينهم . وانتبه الكتاب العرب من جغرافيين ومؤرخين إلى حياتهم العسكرية وخاصة في منطقة بحر قزوين وهذا مكنهم من تقديم معلومات مباشرة عن قبلياتهم وأدوات قتالهم ومراكبهم وعاداتهم .

ويلاحظ ان الجغرافيين المتاخرين ركزوا معلوماتهم على منطقة نوفكرود وكييف ، دون منطقة أزوف والأسود ، فكثرت إشاراتهم الى مدينة روسيا ومدينة كويافة (كييف) ، وقد جاءت بعض معلوماتهم من تجار أو مسافرين بعد القرن العاشر وان كانت قليلة .

ويؤخذ على الجغرافيين العرب المتأخرين جمعهم للمعلومات من فترات مختلفة وإغفال التدرج التاريخي وان كان مظهرا " لأمانتهم العلمية .

Abstract

I have turned the Arab travelers and Albuldanyen to study the economic and social aspects in addition to the geographical and natural for Russia, and it seems that they have information about the Russians since the start of their backs in eastern Europe, and we will give in this research their information in chronological order because it actually helps to understand the Russians evolution with Note key is that some of these case

هوامش البحث:

١. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩.، ص١٥٤

(*)الراذانية جماعة من التجار اليهود ، وورد اسمهم في صيغتين : الراذانية عن ابن خرداذبه والرادانية عند ابن فقيه . ويقال إن الاسم مشتق من كلمة ردن الفارسية بمعنى عرف الطريق . وهناك من يذهب إلى أنه من الكلمة رادنوس اللاتينية (نهر الرون) . ويختلف الباحثون في أصلهم فيقول البعض إنهم من جنوب فرنسا ، بينما يذهب البعض الآخر إلى أنهم أصلا من العراق . وقد وصف ابن خردازبه في كتابه المسالك والممالك نشاطهم في المجال التجاري ، قائلا إنهم يتكلمون العربية والفارسية والرومية، والأندلسية [الإسبانية] والصقلية . وهم يسافرون من الغرب إلى الشرق برا أو بحرا ، من فرنسا إلى السند والهند والصين ثم يعودون حاملين من الصين المسك والعود والكافور . وقد استمر نشاط التجار الراذانية حتى القرن التاسع الميلادي حين سيطرت المدن / الدول الإيطالية على التجارة الدولية . د. عبد الوهاب المسيري،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ص١٦٣٢

٢. يقول ابن الفقيه ((فأما تجار الصقالبة فيجمعون جلود الثعالبة وجلود الخزر من أقصى صقلبة فيجيئون إلى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم ، ثم يجيئون في البحر إلى سمكوش اليهود ، ثم يتحولون إلى الصقالبة))

٣. يقول ((ارض روم من إنطاكية إلى صقلبة ومن القسطنطينية إلى تولية والغالب عليهم رومي وصقلي والأندلس صفالبة)) ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ،١٨٨٥. ص١٣٦

٤. يرى جراكوف أن ابن خرداذبة يقصد بالروس ، منطقة كييف وبالصقالبة أهالي منطقة نوفكرود . Kiev rus p.597

5. 5.H.paszkiewicz, the making of the Russion Nation London1963) p.148

٦. ويشير ابن حوقل إلى نهر الروس ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ليدن ١٩٢٩، ص٣٨٦

٧. ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٢٧١

8. art Rus,1V P.1182
9. Hudud al ALam p. 43

10. Ve rnad sky , Ancient R ussia p.284
11. Ve rnad sky,origins .p.190

١٢.البيروني ،أبو ريحان محمد بن أحمد ، صفة المعمورة، حيدارابا د : مطبعة مجلس دائرة، المعارف العثمانية، ١٩٥٨، ص٤

13. R Frye, m uslim World 1951 p.21
14. Vernadsky,Ancient Russia p284
15. Vernadsky,Ancient Russia p 191

١٦.ابن رسته ،الاعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩٧.ص١٤٥

١٧.البيروني مصدر سابق ، ص٩٨ ص١٠٠

١٨.مسكويه ، تجارب الامم ، القاهرة ، ١٩٢١.ج٢ ، ص٦٦

١٩.المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٦

٢٠.ا ابن رسته مصدر سابق ، ص١٤٦

٢١.المصدر نفسه ،ص١٤٥ ــ١٤٧

٢٢.المصدر نفسه ، ص١٤٥

٢٣.المقدسي ، البدء والتاريخ ، باريس ، ١٩١٩. ج٤، ص٦٦

٢٤.المصدر نفسه ، ج٤،ص١٠

٢٥.المصدر نفسه ، ص١٥

٢٦.المصدر نفسه ،ص١٧

٢٧.المصدر نفسه،ص١٧

٢٨.المصدر نفسه ، ج٤،ص٢١

٢٩.الاصطخري ، مسالك الممالك باعتناء محمد عبدا لعال ألحيني ، القاهرة ، ١٩٦١. ص١٠

٣٠.المصدر نفسه ، ص٢٢٧

٣١.المصدر نفسه ، ص٢٥٥

٣٢.المصدر نفسه ص٢٢٦

٣٣.المصدر نفسه ، ص٢٢١

٣٤.المصدر نفسه ص٢٢٧

35.R.frye Muslim world,1951 p32

٣٦.الاصطخري ، المسالك والممالك ص١٣٠

٣٧.ابن حوقل ، صورة الأرض ص٢٩٧

٣٨.المصدر نفسه ص٣٨٦

٣٩.المصدر نفسه ص٢٩٧

40. .A .Gerkov- kiev Rus p.597

٤١.ابن حوقل مصدر سابق ، ص٣٩٢

٤٢.المصدر نفسه، ص٣٩٧

٤٣.المصدر نفسه، ص٣٨٦

٤٤.المصدر نفسه ، ص٣٩٢

٤٥.كحالة ،عمر رضا ، معجم المؤلفين- ج١ – مؤسسة الرسالة – ط ١ – بيروت ١٩٩٣م. ص ٢٢٠

٤٦.ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان باعتناء سامي الدهان ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٠.، ص٢٦

٤٧.المصدر نفسه ، ص ٣١

48. .R. Frye opt.cit p3243

٤٩.ابن فضلان ، مصدر سابق ، ص٦٧

٥٠.المصدر نفسه ،ص٦٩

٥١.المصدر نفسه ،ص٧٩

52. R. Frye opt.cit p32

٥٣.ابن فضلان ، مصدر سابق ، ص١٤٩

٥٤.المصدر نفسه ، ص١٥١ ، ص١٥٢ ، ص١٥٦

٥٥.المصدر نفسه ، ص١٥١ ، ص١٥٣ ،ص١٥٤

٥٦.المصدر نفسه ، ص ١٥٤ ، ص ١٥٥

٥٧.المصدر نفسه ، ص١٥٥

٥٨.المصدر نفسه ، ص١٥٦

٥٩.مسكويه ، مصدر سابق ج٢ ص٦٧

٦٠.رحلة ابن فضلان ، مصدر سابق ، ص١٦٥

٦١.المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ليدن ، ١٨٩١ص١٤١

٦٢.ابن فضلان: مصدر سابق ،ص٢٨.

٦٣.عبد العزيز طريح شرف: الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، مصر،١٩٩٣م، ص٧٤

٦٤.المسعودي، مروج الذهب ، ج٢ ص٢٤

٦٥.المصدر نفسه ، ج٢ ص٢٤

٦٦.البيروني ، مصدر سابق ص٨٣ ــ ٨٤ .

٦٧.المسعودي التنبيه والإشراف ص ١٤١

٦٨.المسعودي مروج الذهب ج٢ ص١٥ ، ١٨ والتنبيه والإشراف ص١٤١

٦٩.المصدر نفسه ، ج٢، ص١٩

٧٠.المسعودي التنبيه والإشراف ، ص١٤٠ ــ ١٤١

٧١.المسعودي ،مروج الذهب ،ج٢ص١٨

٧٢.المصدر نفسه ،، ج٢ ، ص٩، ص١١ ، ص١٢

٧٣.المصدر نفسه ، ، ج٢ ، ص١٧

٧٤.كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ، ج١ ، ١٩٦٣،ج٢ ، ١٩٦٥ج١ ص٢٧٩ ــ ٢٩٤

٧٥.ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ليبزك ، ١٨٧٠.ج٢ ص٨٣٤

٧٦.القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ، ١٩٦٠. ص٦١٢، ٦١٧

٧٧.ابن سعيد المغربي ، بسط الأرض في الطول والعرض تطوان ، ١٩٥٨ص١٣٦

٧٨.الدمشقي ، شمس الدين ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ١٨٦٦. ،ص٢٦١

٧٩.المسعودي، التنبيه والإشراف ،ج١ ، ص٢٧٣

٨٠.الدمشقي ، مصدر سابق ،ص٢٦١

٨١.ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،دار الطباعة ، القاهرة ، ١٢٩٠هـ، ج٩ ، ص٣١

٨٢.ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ١٨٤٠. ،ص٢٠١

٨٣.ابن الوردي ابو الحفص عمر، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، المكتبة التجارية ، القاهرة بلا. ص٢٢

٨٤.المصدر نفسه ،ص ٨١

٨٥.المصدر نفسه ، ص٨١

٨٦.المصدر نفسه ، ص٨١

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،دار الطباعة ، القاهرة ، ١٢٩٠هـ

٢. ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ،١٨٨٥.

٣. ابن النديم ، الفهرست ، ليبزج ، ١٨٧١.

٤. ابن الوردي ابو الحفص عمر ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، المكتبة التجارية ، القاهرة بلا .

٥. ابن حوقل ، صورة الأرض ، ليدن ١٩٢٩

٦. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩.

٧. ابن رسته ،الاعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩٧.

٨. ابن سعيد المغربي ، بسط الأرض في الطول والعرض تطوان ، ١٩٥٨

٩. ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان باعتناء سامي الدهان ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٠.

١٠. ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ١٨٤٠.

١١. الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، باريس ، ١٨٤٠

١٢. الاصطخري ، مسالك الممالك باعتناء محمد عبدا لعال ألحيني ، القاهرة ، ١٩٦١.

١٣. البيروني ،أبو ريحان محمد بن أحمد ، صفة المعمورة، حيدارابا د : مطبعة مجلس دائرة، المعارف العثمانية، ١٩٥٨

١٤. الدمشقي ، شمس الدين ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ١٨٦٦.

١٥. عبد العزيز طريح شرف: الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، مصر،١٩٩٣م.
١٦. القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ، ١٩٦٠.
١٧. كحالة ،عمر رضا ، معجم المؤلفين- ج١ – مؤسسة الرسالة – ط ١ – بيروت ١٩٩٣م.
١٨. كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ، ج١ ، ١٩٦٣،ج٢ ، ١٩٦٥
١٩. المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ليدن ، ١٨٩١
٢٠. المسعودي ، مروج الذهب ، باريس ، . ١٨٧٧
٢١. مسكويه ، تجارب الامم ، القاهرة ، ١٩٢١.
٢٢. المقدسي ، البدء والتاريخ ، باريس ، ١٩١٩.
٢٣. المقدسي ، شمس الدين ابي عبدالله ، احسن التقاسيم ، ليدن ١٨٨٥.
٢٤. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ليبزك ، .١٨٧٠
25.R.Frye,ibn fadlan,muslim World,Gan 1955.
26.florinsky, m.T., Russia, ahistory and an gnteretion, New York 1953. 27.H.paszkiewicz, the making of the Russion Nation (London1963)
28.Ve rnad sky , Ancient R ussia New Haven 1945
29.Ve rnad sky,origins of R ussia ,oxford1959
30.V.Minorsk,Hudud al ALam ,G.M.S.N.SV1 London 1937

الاستثمارات الاجنبية في الدولة العثمانية ١٨٥٣م-١٩١٤م

بحث مشترك
د. أنس عبدالخالق عايد
جامعة تكريت
د. حامد حميد كاظم
كلية الرشيد الجامعة

المقدمة

إذا كان رجال الإصلاح العثماني قد قبلوا بحرية التجارة وتبعاتها طوعاً انطلاقاً من ظروف داخلية، فإن الأمر مختلف مع الديون الخارجية وتبعاتها التي ترددت الدولة كثيرا قبل الإقدام عليها رغم التشجيع الأوروبي على وقوعها في هذا الفخ، ومن الملفت أنها لم تقبل الاستدانة إلا في أواخر أيامها، أي بعد مرور زمن على القرن الأخير من حياتها وذلك نتيجة الأعباء الكبيرة التي ألقتها عليها حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) ضد روسيا.

وظلت الأعباء العسكرية والديون تستهلك معظم الميزانية العثمانية إلى آخر أيام الدولة، فكانت هذه بوابة واسعة للإضرار باستقلالها وسيادتها، وجرّت هذه الديون الهيمنة الأجنبية على المالية العثمانية بل وعلى القرار السياسي أيضاً بحجة حفظ حقوق الدائنين، وذلك لم يؤد إلى تغيير في مكانة الدولة العثمانية ضمن تقسيم العمل الدولي بين أجزاء الاقتصاد العالمي، إذ ظلت مورداً للمواد الأولية وسوقاً للبضائع الغربية و لم يؤد الإشراف الأجنبي على ماليتها إلى تحسين وضعها الاقتصادي، بل كانت

مع بقية العالم الثالث عاملاً في زيادة التراكم الرأسمالي الإمبريالي لدول المركز وذلك بفعل الأداء الفعال لتلك الإدارة.

قسم البحث الى مقدمة ومحورين وخاتمة ، جاء المحور الاول، ليبين محاولات الدولة العثمانية معالجة ازمتها المالية المتردية والعجز في ميزانيتها من خلال المؤسسات المصرفية والاستدانة من الدول الاوربية، اما الثاني ، فقد تطرق الى قيام الدولة العثمانية بمنح امتيازات للدول الغربية لتأسيس المصارف وشركات النقل والاتصالات والتجارة ومد سكك الحديد وتحسين الموانئ ، ثم جاءت الخاتمة لتبين اهم الاستنتاجات التي تم التوصل اليها .اعتمد البحث على العديد من المصادر بشقيها العربية والاجنبية وكان كل واحد منها له الاثر في اكمال البحث على هذه الصورة.

اولا. البنوك والمؤسسات المصرفية:

تأخر ظهور البنوك والمؤسسات المصرفية في الدولة العثمانية إلى منتصف القرن التاسع عشر تقريبًا وكان للمفهوم الدّيني والموقف من الربا أَثر واضح في ذلك، كما أسهمت عوامل أُخرى في هذا الجانب ويأتي في مقدمتها ضعف الاقتصاد العثماني وعدم استقراره مما أدى إلى قلة الدخل العام للفرد في الدولة العثمانية، فضلاً عن ذلك عدم ثقة الناس بالحكم القائم والخوف من كشف ثرواتهم لئلا تلفق ضدهم التهم ويتعرضوا للمصادرة مما دفعهم إلى إدخار أموالهم داخل البيوت على شكل قطع ذهبية أو حلي، ولذلك اقتصرت الأنشطة المالية الصيرفية على الأقليات فقط، ولاسيما صيارفة غلطه واليهود، وقد تسبب كل ذلك في عدم صمود أي نظام مصرفي أو ائتماني مستقل داخل الدولة العثمانية، فاستغلت المؤسسات المالية الأجنبية ذلك وسعت إلى ملئ الفراغ في هذا المجال منذ مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر(١).

(١)السباعي، بدر الدين ،اضواء على الرأسمال الاجنبي في سوريا ١٨٥٠-١٩٥٨ ،دمشق ، د.ت ص٢١.

الحقيقة أَنَّ تحرك رأس المال الأجنبي باتجاه إنشاء البنوك في الدولة العثمانية كان قد بدأت منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر، ففي سنة ١٨٣٦ قدم ساندسونSandison القنصل البريطاني في مدينة بورصة، طلبًا إلى الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا بخصوص تأسيس بنك في الدولة العثمانية باسم Reed, Irving anc Co.ولكن الطلب رفض، وقدمت طلبات أُخرى مماثلة من جانب بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الأوروبية، إلاَّ أَنَّها لم تحصل على الموافقة اللازمة من الحكومة العثمانية في أربعينيات وبداية خمسينيات القرن التاسع عشر(١).

وفي ٢٤ أيار ١٨٥٦ أي بعد نحو ثلاثة أشهر من صدور (خط همايون) في ١٨ شباط ١٨٥٦، ظهر أول بنك في الدولة العثمانية برأسمال أجنبي وهو (البنك العثماني)، وقد تأسس هذا البنك برؤوس أموال انكليزية قدرها مليونا جنيه قبض منها ربعها فقط(٢)، وكان الهدف من إنشائه تشجيع التجارة البريطانية مع الشرق الأدنى(٣)، بيد أَنَّه تحول خلال السنوات القليلة اللاحقة إلى أهم مؤسسة للرأسمال الأجنبي في الدولة العثمانية بعد أنْ صار بنك دولة، أي بنك مركزي، فيها.

إِنَّ إنشاء بنك للدولة كان ضرورة ملحة بالنسبة لبلد زراعي مثل الدولة العثمانية، إذ تجمع إيرادات الضرائب والرسوم في أوقات معينة من السنة تتطابق مع مواسم حصاد أو جني مختلف أنواع المحاصيل الزراعية، لذا لم يكن بمقدور الخزينة في مثل هذهِ الظروف أَنْ تستغني عن القروض قصيرة الأجل لتغطية المصاريف الآنية الملحة، فكان يتحتم عليها اللجوء أَمّا إلى بيع المدخولات مسبقًا (أي منحها إلى الملتزمين) وإما عقد القروض الداخلية، وكلا الأمرين كانا يؤديان إلى خسارة الحكومة بسبب الارتفاع غير الاعتيادي في نسبة الفائدة التي يتقاضاها صيارفة غلطه، وكان

(١)السباعي ،مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٢.

(٣) الكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة :هاشم صالح التكريتي،البصرة،١٩٨٢، ص٩٢.

بالإمكان التخلص من كل هذهِ المساوئ بإنشاء بنك للدولة يلزم بأن يفتح لصالح الحكومة حسابًا جاريًا دائمًا يؤمن لها المبالغ الضرورية لتغطية المصاريف المعتادة طيلة الموسم الذي تتوقف فيه إيرادات الخزينة، يضاف إلى كل هذهِ الاعتبارات الإخفاق الذي أصاب رجال المال العثمانيين عندما زاروا باريس سنة ١٨٦٠ للحصول على قرض للدولة العثمانية، وقد اقنع هذا الأمر الحكومة العثمانية بضرورة أَنْ يكون لها في محادثاتها مع الرأسماليين الأوروبيين وسيطيتمتع بثقة وتقدير أوروبا، وطبيعي أَنَّ بنكًا عثمانيًا للدولة كان بإمكانه أنْ يلعب هذا الدور بنجاح(١)، وعلى هذا الأساس صدر مرسوم (فرمان) من السلطان العثماني في ٤ شباط ١٨٦٤ يقضي بتحويل البنك العثماني إلى بنك دولة وصار يعرف باسم البنك العثماني الإمبراطوري (بنك عثماني شاهانة)(٢)، وفي هذ الوقت ازداد رأسمال البنك بعد أنْ اسهم فيه الرأسمال الفرنسي، إذ أصبح رأسماله ١٠ ملايين جنيه إسترليني قبض نصفه فقط(٣)، وفي سنة ١٨٦٥ تساوى رأسمال المساهمين الفرنسيين مع نظرائهم الانكليز، وفي سنة ١٨٧٤(٤)، دخل الرأسمال النمساوي إلى البنك أَيضًا عندما اندمج البنك النمساوي – العثماني BanqueAnstro – Ottomane بالبنك الإمبراطوري العثماني، وكان هذا البنك النمساوي، ومركزه الرئيس في فيينا، قد تأسس سنة ١٨٧١ برأسمال قدره ٢,٥ مليون جينه إسترليني بمساهمة من بنك Credit Anstalt النمساوي – الإنكليزي وبنك الاتحاد The Union Bank، وعندما واجهت النمسا أزمة اقتصادية منذ سنة ١٨٧٣ وتم تصفية العديد من المؤسسات المالية النمساوية فاضطر البنك النمساوي

(١) الكسندر آداموف، مرجع سابق ، ص٩٢-٩٣.

(٢)LLharTekeliVeSelimIlkin, Para veKredisisteminolusumndabirasam, Tukiy, cumhuriyetmerkezbankasi, Ankara, 1981., p.66.

(٣) السباعي، مرجع سابق، ص٢٢.

(٤) يذكر الكسندر آداموف (ص٩٣) أَنَّ الدمج تم في سنة ١٨٧٥ إِلاَّ أَنَّ الدراسات التركية الحديثة تؤكد أَنَّ الدمج تم سنة ١٨٧٤.

—العثماني إلى الاندماج مع البنك الإمبراطوري العثماني الذي صار رأسماله ١٢,٥ مليون جنيه إسترليني (ما يعادل ٢٥٠ مليون فرنك فرنسي)(١).

كان المركز الرئيس للبنك العثماني عند تأسيسه في لندن أَمّا فرعه الرئيس فكان في اسطنبول، ومع نموه واتساع دائرة نشاطه افتتح فروعًا كثيرة له في أنحاء مختلفة في الدولة العثمانية بحيث بلغت ٥٤ فرعًا سنة ١٩١١، وقد مُدد عقد امتياز البنك أكثر من مرة، إذ مددت مدة الامتياز من ٣٠ سنة كما كانت في البداية إلى ٥٠ سنة ثم مددت مره أُخرى إلى سنة ١٩٢٥، ومدد في وقت لاحق إلى سنة ١٩٣٥ حين غدت أكثر أسهمه بيد الفرنسيين، وقد قدم البنك الإمبراطوري العثماني كثيرًا من القروض إلى الحكومة العثمانية وحقق أرباحً طائلة منها، وبعد أنْ كان العميل المالي للحكومة بحسب مرسوم سنة ١٨٦٣ فإنَّه صار الأمين العام لصندوق (خزينة) الإمبراطورية، إذ أصبحت ترد إليه جميع إيرادات الدولة، وذلك لقاء عمولة قدرها ٠٥% على المبالغ الداخلة إلى صندوقه والخارجة منه، كما أصبح المفاوض الوحيد لسندات القروض العثمانية والوسيط الرسمي الوحيد للحكومة العثمانية في عقد القروض الأجنبية وإطفائها، ثم صار بعد كانون الأول ١٨٨١ بنك إدارة الدّين العام العثماني، وكان البنك الإمبراطوري العثماني يتصرف بأموال الدولة كما يشاء كما كان يودع الودائع لديه من دون أنْ يدفع للمودع أية نسبة مئوية كانت، في حين كان يستخدم الأموال المودعة لديه في أعماله المصرفية التجارية لقاء حد أدنى من الفائدة قدره ٧% في اسطنبول، وأكثر من ذلك في الأماكن الأخرى، ومثل هذا الوضع حقق للرأسماليين الأجانب من حملة أسهم البنك أرباحًا سنوية بلغت ١٢% من قيمة تلك الأسهم(٢).

---

(١) الكسندر آداموف، المرجع السابق، ص٩٣؛ TekeliVellken, op.cit, pp74- 75.

(٢) الكسندر آداموف، مرجع سابق، ص٢٣.

وإلى جانب مشروعات الدولة العثمانية ذات الصفة المالية البحتة فإنَّ البنك الإمبراطوري العثماني شارك بنشاط في الكثير من المشروعات التي نفذها الرأسمال الأجنبي في الدولة العثمانية، ولاسيما في مجال مد السكك الحديد(١).

وإلى جانب البنك الإمبراطوري العثماني تأسست في الدولة العثمانية مؤسسات مالية مصرفية عديدة برأسمال أجنبي اندمجت بعضها فيما بعد بالبنك الإمبراطوري العثماني في حين استمرت بعضها في العمل بشكل مستقل، ففي سنة ١٨٦٨ تأسست مؤسسة مالية باسم (Credit General Ottoman) برأسمال فرنسي قدره ٥٠ مليون فرنك (٢,٥ مليون جنيه إسترليني) وساهمت في عقد القروض الخارجية للدولة العثمانية، وقد اندمج مع البنك الإمبراطوري العثماني وتمت تصفيته في سنة ١٨٩٩(٢)، ومن البنوك القوية في الدولة العثمانية بنك أسسته كتلة يهودية في سالونيك سنة ١٨٨٨ برأسمال قدره ٣٠ مليون فرنك فرنسي، وبعد احتلال اليونان لسالونيك سنة ١٩١٣ نقل البنك مركزه الرئيس إلى اسطنبول وكان يسيطر على هذا البنك الرأسمال الفرنسي عن طريق بنك (الشركة العامة The Societe General) الذي قدم قروضًا عديدة للحكمة العثمانية، أَمّا بنك (كريدي ليونيه Credit Lyonnais) الفرنسي والمنافس الكبير للبنك الإمبراطوري العثماني فقد افتتح أول فرع له في الدولة العثمانية سنة ١٨٧٥ وساهم مساهمة فعالة في نشر النفوذ الفرنسي في مناطق الشرق الأوسط(٣).

وكان المنافس الآخر للبنك الإمبراطوري العثماني هو البنك الألماني (Deutsche Bank) وقد تأسس هذا البنك مع قيام دولة الوحدة الألمانية سنة ١٨٧٠، وساهم فيه ٢١ مصرف ومؤسسة تجارية ألمانية وبرأسمال قدره ١٥ مليون مارك ألماني، ثم ارتفع

---

(١) المرجع نفسه، ص٩٤.

(٢)TekeliVellken, op.cit, p.73- 74.

(٣)السباعي، مرجع سابق، ص٢٣-٢٤.

رأسماله سنة ١٨٨١ إلى ٦٠ مليون مارك، وفي سنة ١٨٨٨ إلى ٧٥ مليون مارك، ثم إلى ١٥٠ مليون مارك سنة ١٨٩٧(١)، وقد قدم هذا البنك قروضًا عديدة إلى الحكومة العثمانية، وأسس عدة شركات فرعية تابعة له لتنفيذ مشروعات مد السكك الحديد في الأناضول أهمها شركة سكة حديد الأناضول العثمانية (Societe du Chemindefer Ottoman D'Anatiolie) التي تأسست في آذار ١٨٨٩(٢)، بعد حصول البنك الألماني سنة ١٨٨٨ على امتياز من الحكومة العثمانية لمد سكة حديد في الأناضول.

وفيما عدا هذه البنوك، فإنَّ العديد من البنوك الصغيرة التي تمثل رؤوس الأموال الايطالية، والنمساوية، الروسية، وغيرها نشطت في الدولة العثمانية في سبعينيات القرن التاسع عشر، مثل بنك التجارة الشرقية الايطالي، والبنك النمساوي الشرقي، والبنك الروسي وغيرها(٣). وقد أغلقت معظم هذه البنوك الصغيرة أبوابها بعد وقت قصير أو اندمجت مع البنك الإمبراطوري العثماني(٤).

وفي نهاية سنة ١٩١٣م وهي السنة التي سبقت قيام الحرب العالمية الأولى بلغ الرأسمال الأجنبي الفعلي المستثمر في قطاع البنوك والمصارف في الدولة العثمانية ٨٩٠٠٠٠٠ جنيه إسترليني بواقع ٣٤٠٠٠٠٠ جنيه للرأسمال الفرنسي (٣٨,٢% من مجموع رأس المال) و٢٩٥٠٠٠٠ جنيه للرأسمال الانكليزي (٣٣,١%) و ١٧٥٠٠٠٠ جنيه للرأسمال الألماني (١٩,٧%) و ٨٠٠٠٠٠ جنيه لرأسمال دول أوروبية أُخرى

---

(١) LotharRatrhman, Berlin – Bagdat, AlmanemperyalizminiTurkiyegirisi, Istanbul, Hazirlayan, R. Zarakolu, 1982.p.38.

(٢) Ibid, p.41.

(٣) يُنظَرُ تفاصيل هذه البنوك وأسمائها في: TekeliVellken, op.cit, p76.

(٤) ز. ي. هرشلاغ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى الحسيني، بيروت، ١٩٧٣، ص٧٩.

(٩٪)(١)، وعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في ٢٩ تشرين الاول ١٩١٤م كان مجموع الرأسمال الأجنبي المستثمر في هـذا القطـاع قـد ارتفـع إلى ١٠٢١٠٠٠٠ جنيه(٢).

ثانيا. الاستثمارات الأجنبية في مجالات أخرى:

لم يكن هدف رأس المال الأجنبي الذي تغلغل في الدولة العثمانية على شـكل استثمارات في مشروعات مختلفة تحقيق أرباح لا يمكن تحقيقها من مشروعات مماثلة في الوطن (الأم) فحسب، بل كان الهدف أيضًا ربط الاقتصاد العثماني بالاقتصاد الرأسمالي من خلال تنشيط عملية تصدير السلع المصنعة من الدول الرأسمالية إلى أسواق الدولـة العثمانية، وعملية تصدير معاكسة للمواد الأولية من الدولة العثمانية إلى تلك الـدول. ومن هنا فقد تركز تغلغل الرأسمال الأجنبي من الدولة العثمانية على مشروعات مـد السكك الحديد، وتطوير الموانئ، والتعدين، واستغلال المناجم والـشركات الزراعيـة والتجارية، فعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في تشرين الاول سـنة ١٩١٤م بلغ مجموع الاستثمارات الأجنبيـة فيهـا (عـدا القـروض الحكوميـة) ٦٣٤٤٤٠٠٠ جنيه إسترليني، بلغت حصة مـشروعات الـسكك الحديـد منـها ٣٩١٦٣٠٠٠ جنيه، ومشروعات التعدين والصناعة ٥٤٩٥٠٠٠ جنيـه، والمرافـق العامة الأخرى مثل تطوير الموانئ ومشروعات الماء، والغاز، والكهرباء ومـما يماثلـها ٤٩٨٣٠٠٠ جنيه(٣)، أمّا البقية الباقية فقد كان مـستثمرًا في مـشروعات البنـوك والمصارف كما ذكرنا.

---

(١)SevketPamuk, The Ottoman empire and European Capitalism 1820-1913, Cambridge, 1987., p.66.

(٢)Issawi, the Economic history, p.94.

(٣) فلاديمير ب. لوتكسي، تأريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: الدكتورة عفيفة البستاني، موسكو، د.ت، ص١٦١.، ص٣٨٤.

إنَّ أولى مشروعات السكك الحديد في الدولة العثمانية بدأت منذ خمسينيات القرن التاسع عشر عندما حصل الرأسمال البريطاني على امتياز لمد سكة حديد بين مدينتي أزمير – آيدين بطول ١٣٠كم، وقد افتتح هذا الخط سنة ١٨٦٧م وتم توسيعه بحيث بلغ طوله ٥١٦كم عند نهاية القرن الماضي، وفي سنة ١٨٦٣م حصل الرأسمال البريطاني أيضًا على امتياز آخر لمد سكة حديد أزمير – كسبة بطول ٩٣كم، وفيما بعد استحوذ الرأسمال الفرنسي على هذا الخط الذي تم توسيعه بحيث بلغ ٥٢٢كم عند نهاية القرن ذاته(١). بيد أنَّ التوسع الحقيقي في مد السكة الحديد في الدولة العثمانية بدأ منذ عقد الثمانينيات نتيجة عدة عوامل، أولها الاهتمام الخاص الذي أبدته إدارة الدّين العثماني لتشجيع الاستثمارات الأوروبية في مجال السكك الحديد، وقد بررت ذلك بأنَّ تسهيلات نقل أفضل يمكن أنْ تحسن التسويق وتعزّز النشاط الاقتصادي عمومًا وتنعش وضع الدولة العثمانية من الناحية المالية وبذلك تضمن – أي إدارة الدّين العام – مصالح حملة سندات الذين تمثلهم(٢). أمّا العامل الثاني فيتمثل في بروز ألمانيا دولة استعمارية واندفاعها نحو الدولة العثمانية، ولاسيما نحو الأناضول، إذ بدأ تغلغل الرأسمال الألماني في مشروعات عديدة أهمها السكك الحديد التي استحوذت على ٦٧,٥% من الاستثمارات الألمانية في الدولة العثمانية(٣). أمّا العامل الثالث فهو اهتمام السلطان العثماني عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩ م) بإنشاء شبكة من السكك الحديد لربط أجزاء الدولة العثمانية بعضها ببعض على نحو أقوى من قبل، مع ما يترتب على ذلك من تشديد قبضة الحكومة المركزية على الولايات وتقليص حصة الوسطاء المحليين في جمع إيرادات الضرائب والرسوم(٤).

---

(١)Issawi, op.cit, p.91.

(٢)هرشلاغ، مرجع سابق، ص٩٨.

(٣)Issawi, op.cit, p.94.

(٤)William L. Langer, The diplomacy of imperialism 1890-1902, New York, 1965., p.632.

حصل الرأسمال الألماني على امتيازات مهمة في مجال مد السكك الحديد داخل الدولة العثمانية منذ سنة ١٨٨٨، ففي تلك السنة حصل البنك الألماني (دوتش بنك) على امتياز مد خط سكة حديد بين حيدر باشا (ميناء اسطنبول على الجانب الأسيوي من مضيق البسفور) وأنقرة، فضلاً عن حق تشغيل خط سكة حديد اسطنبول – ازمير، وقد مرّ بنا أَنَّ البنك الألماني أسس شركة سكة حديد الأناضول لتنفيذ عقد الامتياز المذكور، وقد انتهى مد السكة الحديد إلى أنقرة سنة ١٨٩٢، ثم طلب الألمان امتيازًا لمدها إلى قونية وحصلوا عليه وتم مد السكة الحديد إلى قونية سنة ١٨٩٤، وعندما اقترح الألمان مد السكك الحديد إلى بغداد، نشب صراع دبلوماسي عنيف بين ألمانيا من جهة وبين بريطانيا، وفرنسا، وروسيا القيصرية من جهة أُخرى(١). وفي آذار ١٩٠٣ حصل الألمان على الامتياز المطلوب، وقد عُرف هذا المشروع باسم (سكة حديد بغداد – برلين) لأَنَّه تضمن ربط الخطوط الحديديين أوروبا والأناضول ببغداد، ثم طُور المشروع بحيث يصل الخط إلى الخليج العربي، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ كان قد تم مد الخط الحديدي من قونية إلى طرابلس على نهر الفرات، كما مُد قسم آخر منه بين بغداد وسامراء(٢)، ولم يكن مشروع السكك هذا بعيدًا عن أطماع الرأسمال الألماني في موارد العراق النفطية، ولاسيما وأَنَّ تقارير البعثات العديدة التي أرسلها الألمان إلى المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن الحالي أجمعت على أهمية تلك الموارد وبأنَّ العراق يطفو على بحيرة من النفط(٣)، وقد منح امتياز سكة حديد بغداد الألمان حق استغلال الموارد المعدنية التي يتم اكتشافها على جانبي سكة الحديد وضمن مسافة عرضها ٢٠ كم على كل

(١) لوتسكي، مرجع سابق،ص٣٨٨ .

(٢) هرشلاغ، مرجع سابق، ص٩٩–١٠٠.

(٣) بشأن هذهِ البعثات وتقاريرها يُنظَرُ:

E. M. Earle, Turkey, the great powers and the Baghdad Raileay, New Your, 1966. , p14-15.

جانب(١)، وعلى أية حال فإنَّ الاهتمام الرئيس للرأسمال الألماني كان منصبًا على إنشاء شرايين مواصلات طويلة تؤمن الوحدة السياسية والاقتصادية للدولة العثمانية وتوجه عملية سير التبادل نحو أوروبا الوسطى (Mitteleuropa)(٢).

في غضون ذلك أَيضًا نفذت رؤوس الأموال الفرنسية والبريطانية عدة مشروعات سكك حديد في ولايات بلاد الشام العثمانية، وكان الغرض الأساس لهذه المشروعات فتح المناطق الداخلية من بلاد الشام بوجه التجارة الأوروبية من خلال ربطها بموانئ شرق البحر المتوسط. فقد نفذ الرأسمال الفرنسي خطوط يافا – القدس (١٨٩٢) وبيروت – دمشق (١٨٩٥) وطرابلس – حمص ١٩١١، كما نفذ الرأسمال البريطاني خط حيفا – ردعا (١٩٠٥) بهدف إحكام وحدة الأسواق مع المنافذ التابعة لها(٣).

كانت مشروعات السكك الحديد أفضل أشكال الاستثمار من حيث الربح بحسب وجهة نظر الرأسماليين الأوروبيين، فأولاً كانت هناك ((الضمانات الكيلومترية))(٤)، التي تدفعها الحكومة العثمانية لشركات السكك الحديد، وثانيًا كانت هذه الشركات تحقق هدفًا أساسيًا للرأسمال الأوروبي، كما ذكرنا، وهو تنشيط عملية التبادل التجاري وتسهيلها بين الدولة العثمانية وأوروبا بما يؤمن الأسواق للسلع الأوروبية المصنعة (وأولها الأجهزة والمعدات الخاصة بمشاريع السكك الحديد من

---

(١) J C Hurewitz, Dipomacy in the Near and Middle East, Adocumentary record, vol. I, 1535 – 1914, New York, 1972, pp.252-257.

(٢)كوثراني، وجيه، بلاد الشام، السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، بيروت، ١٩٨٠، ص١٢٤.

(٣) المصدرنفسه، ص١٢٤.

(٤) كانت الحكومة العثمانية تتعهد في الامتيازات الممنوحة للشركات الأجنبية لإنشاء السكك الحديد، بأنْ تضمن للشركة حدًا أدنى من الدخل السنوي يتراوح في العادة بين ١٠٠٠٠ و ١٥٠٠٠ فرنك فرنسي (ما بين ٥٠٠ و ٧٥٠ جنيه انكليزي) لكل كيلومتر من الخط الذي يبدأ تشغيله، وأن تحصل الحكومة العثمانية على نسبة تتراوح بين ٢٥ و ٥٠% من أي دخل أكثر من ذلك يتحقق للشركة. يُنظَرُ: Issawi, op.cit, p.20.

قطارات وعربات وقضبان سكك وغيرها) ومصادر للمواد الأولية. وغالبًا ما كان هذا التبادل التجاري يخدم مصلحة الدولة التي يتبعها رأس المال المستثمر في هذا المشروع أو ذاك، وبما يزيد من نفوذها في مناطق إنشاء مشروعات السكك الحديد ويزيد من تبعيتها للدولة المصدرة لرأس المال، وكما لاحظ الباحث في التاريخ الاقتصادي العثمانيباموك أَنَّه ((عند دراسة أنماط تدفع الرأسمال [الأجنبي] إلى مختلف مناطق الإمبراطورية العثمانية مع نمو التجارة الخارجية لكل منها، فإنَّ إنشاء السكك الحديد من قبل الرأسمال الأجنبي يبرز واحد من التطورات الأساسية في تقسيم الإمبراطورية إلى مناطق نفوذ بين القوى الامبريالية الأوروبية قبيل الحرب العالمية الأولى))(١).

وفي سياق سعى الرأسمال الأجنبي إلى تنفيذ مشروعات تسهل عملية التبادل التجاري بين أوروبا والدولة العثمانية، وكجزء متمم لمشاريع سكك الحديد وخاصة تلك التي تكون نهايتها عند الموانئ، فإنَّ الاهتمام وجه أَيضًا إلى تطوير إمكانيات الموانئ العثمانية في مجال التصدير والاستيراد، وهكذا حصلت شركات عديدة على امتيازات لتطوير وإدارة الموانئ المهمة في الدولة العثمانية مثل اسطنبول، وأزمير، وسالونيك، الإسكندرونة، وبيروت، وغيرها، وقد تركزت هذهِ الامتيازات بيد شركات أو مؤسسات تتمثل رأس المال الفرنسي والألماني بشكل خاص، فعلى سبيل المثال تشكلت في سنة ١٨٨٧ (الشركة العثمانية لمرفأ بيروت وأرصفته ومستودعاته) بإدارة رأس المال الفرنسي، وقد حصلت هذهِ الشركة على امتياز بناء واستثمار المرفأ والأرصفة والمستودعات في حوض بيروت، وكانت مدة الامتياز ٦٠ سنة تبدأ من تأريخ صدور فرمان (مرسوم) الامتياز سنة ١٨٨٧، ثم مددت مدة الامتياز في ١٨٩٢ لتسعة وثلاثين سنة أُخرى فأصبح الامتياز لمدة ٩٩ سنة تنتهي في ١٩ حزيران ١٩٨٦، وقد بدأت الشركة أعمال الإنشاء في مرفأ بيروت سنة ١٨٩١ وانتهت سنة ١٨٩٤،

(١)Pamuk, op.cit, p.68.

وأصبح بإمكان المرفأ استقبال ١٠-١٢ سفينة كبيرة، وقد ارتفعت تبعًا لذلك تجارة المرفأ، بحسب تقارير القنصلية البريطانية هناك إلى ٧٥ مليون فرنك فرنسي(١)، أَمّا ميناء أزمير الذي صدّر عن طريقه ما مجموعه ٢٤٩,٥٠٠طن من البضائع في سنة ١٨٩٨ فقد صدّر ما مجموعه م ٤٠٣,٢٦٨ طن في سنة ١٩٠٦(٢). وقبيل الحرب العالمية الأولى حصل الألمان على امتياز بناء واستثمار مرفأ الاسكندورنة وذلك سنة ١٩١٣، إلاَّ أَنَّ نشوب الحرب في السنة التالية أدى إلى توقف العمل فيه(٣)، كما حصلت شركة فرنسية قبيل الحرب أَيضًا على امتياز بناء مرفأ حيفا(٤).

وما دمنا بصدد الحديث عن تطوير الموانئ والنقل البحري لابد من الإشارة إلى أَنَّ الرأسمال الأجنبي تغلغل في الدولة العثمانية على شكل استثمارات في مجال الملاحة النهرية أَيضًا، وحقق أرباحًا كبيرة نتيجة لذلك، ويمكن الإشارة هنا إلى شركة لنج (Lynch) التي تأسست برأسمال أولي لا يزيد على ١٥٠٠٠ جنيه إسترليني، ثم ازداد رأسمالها تدريجيًا حتى بلغ ٣٠٠,٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٧(٥). وقد تركز نشاط هذهِ الشركة على النقل النهري في دجلة ضمن ولايتي بغداد والبصرة العثمانيتين، ولكنها تعاطت فضلاً عن ذلك التجارة الداخلية والخارجية واستئجار وشراء الأراضي الزراعية في العراق لغرض إنتاج المحاصيل التي تحتاج إليها المصانع البريطانية، ولاسيما محصول القطن، كما أَنَّها عملت في مجال تصدير الصوف، إذ استوردت مكائن لضغط الصوف ونصبتها في مخازنها في المعقل سنة ١٨٦٩، وأخذ وكلاؤها يجوبون أرجاء العراق وإقليم عربستان لشراء الصوف لصالح الشركة، وقد حققت هذهِ الشركة

---

(١) السباعي، مرجع سابق، ص٤٨.

(٢) A.D Novichev, Essay on the economy of TukeyQuotedin Issawi, op.cit, p.67.

(٣) كوثراني، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٤) المرجع نفسه، ص١٣١.

(٥)القهواتي، حسين محمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٠٨.

أرباحًا جيدة ارتفعت من ١٠% إلى ١٥% خلال السنوات ١٨٧٠، ١٨٧٢، ١٨٧٣(١)، واستمرت هذهِ الأرباح ولكن بمعدلات أعلى في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالي(٢).

واستكمالاً لدور الرأسمال الأجنبي في مشروعات السكك الحديد وتطوير الموانئ والملاحة النهرية بغرض تنشيط حركة الاستيراد والتصدير، فإنَّ العديد من شركات التأمين الأجنبية نشطت في الدولة العثمانية أبان تلك المدة أَيضًا، وفي بعض الأحيان كانت بعض الشركات الأوروبية الوهمية تفتح فروعًا لها في الدولة العثمانية مع ما يترتب على ذلك من مشاكل وأضرار، ولمواجهة مثل هذهِ الحالات فإنَّ الحكومة العثمانية شكلت لجنة خاصة في وزارة التجارة سنة ١٨٨٧ لتقديم توصياتها بهذا الشأن، وصدر بعد ذلك قرار في السنة نفسها منع الشركات الأجنبية من فتح فروع أو تعيين وكلاء لها في الدولة العثمانية دون موافقة مسبقة من الحكومة العثمانية، وقد اعترض سفراء الدولة الأوروبية على هذا القرار على أساس أَنَّه يتعارض مع مبدأ حرية التجارة الذي ضمنته الامتيازات الأجنبية(٣).

إنَّ المجال الأخير الذي نشط فيه الرأسمال الأجنبي في الدولة العثمانية هو مجال استثمار المواد الأولية وإقامة بعض الصناعات البسيطة وبما لا يتعارض مع هدف تحويل الدولة العثمانية إلى سوق للمواد والمنتجات الأوروبية المصنعة، وربما يمكن تتبع الاستثمارات الأوروبية في هذهِ المجالات منذ ستينات القرن التاسع عشر، فعندما أدت الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) إلى انخفاض صادرات القطن من الولايات المتحدة الأمريكية إلى أوروبا بادر الرأسمال الانكليزي سنة ١٨٦٦ إلى تأسيس (الشركة المالية العثمانية The Ottoman Financial Asso) بهدف تشجيع وتطوير

(١) المرجع نفسه ، ص٢١١-٢١٣.

(٢) بشأن تقديرات ارباح الشركة في أوائل القرن الحالي. يُنظَرُ: المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(٣)Toprak, op.cit, pp.74-75.

زراعة القطن في الأناضول لغرض تصديرها إلى بريطانيا، وبعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية واستئناف تصدير القطن من الولايات المتحدة تمت تصفية هذهِ الشركة وتحويل موجوداتها إلى البنك الإمبراطوري العثماني(١)، أَمّا بالنسبة للمواد الأولية المعدنية وبعض الصناعات البسيطة فإِنَّ الرأسمال الأجنبي كان العنصر المهيمن فيها، فمعظم المصانع التي نشأت في الأناضول كانت مملوكة من قبل رأس المال الأجنبي(٢). وكذلك الحال بالنسبة للمناجم، ووفقًا لإحصاء رسمي عن المشروعات الصناعية والتعدينية في الدولة العثمانية سنة ١٩١٥ فإِنَّ عدد هذهِ المشاريع بلغ ٢٦٤ مشروعًا، منها ٢٢ مملوكة للدولة و٢٨ شركة مساهمة و ٢١٤ شركة خاصة(٣)، ولا تتوافر لدينا معلومات عن هذهِ المشروعات ورأسمال كل واحد منها ومجموع الأرباح المتحققة وغير ذلك، في حين أَنَّ هناك معلومات عن مقادير إنتاج المعادن في الدولة العثمانية منذ مطلع القرن الحالي بالتفصيل(٤)، وكان معظم هذا الإنتاج لغرض التصدير، كما أَنَّه تم تحت إشراف الرأسمال الأجنبي(٥)، وقد تنبه الرأسمال الأجنبي إلى أهمية مكامن النفط في الدولة العثمانية، ولاسيما في العراق، وسعى إلى استثمارها بيد أَنَّ المنافسة القوية التي صاحبت هذهِ المساعي، بين البريطانيين والألمان بصورة خاصة، ثم قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ عرقل هذهِ المساعي.

وتجدر الإشارة أخيرًا إلى أَنَّ الرأسمال الأمريكي أخذ يجد طريقه إلى الاقتصاد العثمانية تدريجيًا منذ أواخر القرن التاسع عشر، فقد اهتمت مؤسسة (MacAndrews and Forbes) الأمريكية بتصدير عرق السوس من الدولة

---

(١) TekeliVellken, op.cit, p.72.

(٢) Omer CelalSarc, The Tanzimat and Our industry Quoted, in , issawi, op.cit, p.58.

(٣) Justin McCarthy, The Arab world, Turkey and Balkans 1878-1914, Ahand book of historical statistics, Boston, 1982, p.209.

(٤) يُنظَرُ هذهِ الأرقام في: Ibid, pp.250-252.

(٥) Issaw, op.cit, p.18.

العثمانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأقامت مراكز لتجفيف ورزم هذهِ المادة في مناطق تجميع رئيسة في بغداد، وأزمير، والاسكندرونة، وباطوم، وكانت تصدر سنويًا ما بين ٤٠ و ٥٠ طنًا من هذهِ المادة، أما شركة التبغ الأمريكية (American Topacco co.) فقد اهتمت بشراء التبغ التركي وإعداده للخلط مع التبوغ الأمريكية، وفي سنة ١٩١٢ اشترت هذهِ الشركة ما قيمته ١٠ ملايين دولار من التبغ التركي، وكان لديها ١٧٥٠ مستخدم في كافالة Kavalla و ١٠٠٠ مستخدم في أزمير و٨٠٠ مستخدم في سامسون، و٢٠٠ مستخدم في أزميد(١)، كما سعت الاحتكارات الأمريكية منذ سنة ١٩٠٩ للحصول على امتياز نفطي من الدولة العثمانية بخصوص استغلال واستثمار نفط شمال العراق ولكنها لم تصادف نجاحًا(٢).

هكذا إذن كانت الدولة العثمانية مجالاً مهمًا من مجالات الاستثمار بالنسبة للرأسمال الأجنبي بدءًا منذ منتصف القرن التاسع عشر، وكان تغلغل الرأسمال الأجنبي فيها جزءًا من ظاهرة أوسع شملت معظم البلدان المتأخرة والضعيفة التطور، وكانت هذهِ البلدان مصدر إغراء واضح للرأسمال الأجنبي، فقد تميزت بوجود فرص استثمارية واسعة وموارد غنية للثروات الطبيعية والمواد الخام، فضلًا عن أَنَّ أجور العمال فيها منخفضة وأثمان الأراضي متواضعة للغاية(٣).

وكما لاحظنا فإِنَّ معظم الاستثمارات الأجنبية المباشرة كانت في مجالات البنية التحتية (in frastructure) مثل سكك الحديد وتطوير الموانئ وشبكات الطرق والنقل وغيرها، أَمّا الأنشطة الإنتاجية في الزراعة والصناعة فلم تحظَ إلاَّ بنصيب ضئيل لا يكاد يذكر من هذهِ الاستثمارات، ولاسيما في مجال التعدين، كما أَنَّ

(١) John De Novo, American interests and policies in the Middle Eas 1900-1939, Minneapolis, 1963, p.39.

(٢) يُنظَرُ تفاصيل هذهِ المساعي في: Ibid, pp.58-87.

(٣) رمزي زكي، التاريخ النقدي للتخلف، الكويت، ١٩٨٧، ص٦٧.

القروض الخارجية التي حصلت عليها الدولة العثمانية، وخاصة في المرحلة الثانية التي بدأت سنة ١٨٨٦ ذهب قسم منها أَيضًا للإنفاق على مشروعات البنى التحتية في مجال السكك الحديد وتطوير شبكة المواصلات في الدولة العثمانية، وكانت الحكومة العثمانية ترى في هذهِ المشروعات وسيلة لتنشيط وتسهيل المبادلات التجارية الداخلية، بما يضمن زيادة الإنتاج وزيادة إيرادات الدولة من الضرائب والرسوم المختلفة، كما رأت وسيلة لتعزيز سلطة الحكومة المركزية على الولايات العثمانية المختلفة من خلال تسهيل عملية نقل القوات العثمانية بسرعة من منطقة لأخرى لتأكيد تلك السلطة في حالات الضرورة، وكما لاحظ الباحث اليهودي هرشلاغ فإِنَّ ((نمط الاستثمار في الدولة العثمانية تحدد عمومًا، لا بدوافع الربح والأمان لدى المستثمرين وخطط الدول السياسية حسب، إِنَّما أَيضًا بالاعتبارات العسكرية للحكومة المحلية وبتصميمها على أنْ تكتسب شكلاً غربيًا))(١). إِنَّ الإنفاق الحكومي العثماني في هذا المجال لا يتمثل في مشروعات نفذتها الحكومة وإِنَّما في (الضمانات الكيلومترية) التي تعهدت بدفعها الحكومة العثمانية إلى الشركات الأجنبية المعنية، وبهذا حملت هذهِ الشركات الحكومة العثمانية مخاطر أو مجازفات مشروعاتها(٢).

إِنَّ تركيز الرأسمال الأجنبي على مشروعات البنية التحتية يرجع إلى حقيقة أَنَّها كانت تضمن معدلات ربح عالية لا يمكن تحقيقها في الوطن (الأم) كما أَنَّها تنشط عملية التبادل التجاري بين الدول المصدرة لرأس المال وبين الدولة العثمانية مما يعني تحقيق أرباح إضافية أُخرى، سيما وأَنَّ الميزان التجاري كان في صالح تلك الدول بدرجة كبيرة، وينطبق هذا أَيضًا على القروض الأجنبية التي كانت تعني في النهاية زيادة التصدير السلعي من الدول المصدرة لرأس المال، وكان لحركة الاقتراض التي مدت خيطوها بين العواصم الأوروبية وبلدان ما وراء البحار دورًا أساسيًا في تدعيم

(١) هرشلاغ، مرجع سابق، ص٦٩.
(٢) المرجع نفسه، ص٦٧.

تراكم رأس المال للنظام الرأسمالي وأحكام التبعية على هذهِ الدول من خلال فرض سيطرتها ورقابتها المالية، والتجارية، والإدارية، كما حصل في الدولة العثمانية ومصر، والجزائر، وإيران، والصين، والهند(١).

وفي ظل الظروف القائمة في الدولة العثمانية، إذ سيادة الإنتاج الحرفي في ميدان الصناعات، فإنَّ مثل هذا التطور في التبادل التجاري مع أوروبا وفتح أسواق الدولة العثمانية أمام السلع والمنتجات الأوروبية قد أفضى إلى نتيجة مؤلمة وهي تدهور الإنتاج الحرفي الذي عجز عن منافسة الإنتاج الأوروبي.

وفي مقابل هذا التدهور في الإنتاج الحرفي فإنَّ الاستثمارات الأجنبية وما نتج عنها من ارتباط الاقتصاد العثماني بالاقتصاد الرأسمالي أدى إلى حدوث تبدلات أساسية في ميدان الإنتاج الزراعي، وبصورة خاصة في المناطق التي أقيمت فيها مشروعات السكك الحديد(٢)، وتمثلت هذه التبدلات في زيادة مساحات الأراضي المزروعة مع التخصص في المنتجات الزراعية القابلة للتصدير إلى الدول الرأسمالية(٣)، ويمكن ملاحظة هذا التحول ليس في الأناضول فقط، وإنَّما في الولايات العثمانية في العراق وبلاد الشام أَيضًا.

لقد أدت الاستثمارات الأجنبية في الدولة العثمانية إلى تفاقم أوضاعها الاقتصادية بصورة مستمرة، فقد استنزفت تلك الاستثمارات الموارد المتاحة في الدولة العثمانية بدرجة كبيرة، ولاسيما مدفوعات أصول وفوائد القروض الخارجية، ويتضح ذلك من حقيقة أَنَّ مجموع ما دفعته الدولة العثمانية حتى سنة ١٩١٤ من أصول

---

(١) رمزيزكي، مرجع سابق، ص٧٦-٧٧.

(٢) يبدو هذا واضحًا عند موازنة التطور الذي حصل في غرب الأناضول في ميدان الإنتاج الزراعي بالوضع المتأخر في شرق الأناضول الذي ظل بعيدًا عن خطوط السكك الحديد التي تم بناؤها.

(٣)Pamuk, op.cit, p.69.

وفوائد القروض الأجنبية كان أكثر مما دخل إليها من رؤوس أموال على شكل قروض بين ١٨٥٤-١٩١٤(١).

لقد شعر العثمانيون في وقت لاحق بوطأة تغلغل الرأسمال الأجنبي بيد أَنَّ الخيارات المتاحة أمامهم كانت محدودة بفعل ظروف الدولة العثمانية، فبعد انقلاب جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٩٠٨ ضد حكم السلطان عبدالحميد الثاني جرت بعض المحاولات لتنظيم مسألة الاستثمارات الأجنبية وأوجه النشاط الاقتصادي الأجنبي عمومًا، والاعتماد على الموارد المحلية وتحرير الاقتصاد العثماني من سيطرة رأس المال الأجنبي، ولكن معظم هذهِ المحاولات لم تؤدِ إلى نتيجة مهمة تذكر بسبب استمرار الفساد الإداري والأزمات المالية المتزايدة واندلاع الحرب العالمية الأولى(٢).

واخيرا من الإشارة إلى أَنَّ الولايات العربية العثمانية تحملت جزءًا من عبء الاستثمارات الأجنبية التي دفعت ضغوطها الدولة العثمانية إلى زيادة الضرائب على رعاياها، كما أَنَّ هذهِ الولايات، التي ظهرت ككيانات سياسية (العراق، وسوريا، ولبنان...) مستقلة عن الدولة العثمانية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، استمرت في تحمل ذلك العبء من خلال التسويات التي تضمنتها معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣، ومن بينها توزيع القروض الخارجية العثمانية بين تركيا الحديثة والأقطار العربية التي كانت جزءًا من الدولة العثمانية حتى نهايةالحرب العالمية الاولى

(١) Ibid, op.cit, p.69.

(٢) هرشلاغ، مرجع سابق، ص٧٠.

الخاتمـــــة

لقد شجعت إدارة الديون العمومية المستثمرين الأجانب على الاستثمار داخل الدولة العثمانية في السكك الحديد والموانئ والمرافق العامة، لكن ثمن ذلك كان هيمنة رأس المال الأجنبي على الاقتصاد العثماني، كما أدت القروض والاستثمارات الأجنبية إلى إحداث تغيرات ضرورية في البنية التحتية للدولة، ''لكن الثمن كان باهظاً'' أيضا، فإضافة إلى عبء الديون الثقيل والانتقاص من سيادة الدولة واستقلالها، فإن المنطـــق التنموي لهذه الهيمنة لم يؤت أكله فظلت الأرباح -كما مـــر- تـــصب في جيـــوب المنتفعين الأجانب الذين وقفوا بكل قوة لعرقلة أي تقدم ذاتي متكامل يخرج زبائنـــهم من تحت سيطرتهم ، ولهذا لم يكن هناك أمل بالتطور في ظل هذه السيطرة.

قائمة المصادر

اولا: المصادر العربية والمعربة

١. السباعي، بدر الدين، اضواء على الرأسمال الاجنبي في سوريا ١٨٥٠-١٩٥٨ ،دمشق ، د.ت.

٢. القهواتي، حسين محمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٠.

٣. رمزي زكي، التأريخ النقدي للتخلف، الكويت، ١٩٨٧.

٤. هرشلاغ، ز. ي. مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى الحسيني، بيروت، ١٩٧٣.

٥. فلاديمير ب. لوتكسي، تأريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: الدكتورة عفيفة البستاني، موسكو، د.ت.

٦. الكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة :هاشم صالح التكريتي،البصرة ،١٩٨٢.

٧. كوثراني، وجيه، بلاد الشام، السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، بيروت، ١٩٨٠.

ثانياً المصادر الاجنبية

1. A.D Novichev, Essay on the economy of Tukey in Issawi.
2. E. M. Earle, Turkey, the great powers and the Baghdad Raileay, New Yourk, 1966.
3. J. C. Hurewitz, Dipomacy in the Near and Middle East, Adocumentary record, vol. I, 1535 – 1914, New York, 1972.
4. John De Novo, American interests and policies in the Middle Eas 1900-1939, Minneapolis, 1963
5. Justin McCarthy, The Arab world, Turkey and Balkans 1878-1914, Ahand book of historical statistics, Boston, 1982.
6. Issawi, the Economic history.

7. LLharTekeliVeSelimIlkin, Para ve Kredisisteminino lusumndabirasam, Tukiy, cumhuriye tmerke zbankasi, Ankara, 1981.
8. LotharRatrhman, Berlin – Bagdat, Almanemperyalizminin Turkiyegirisi, Istanbul, Hazirlayan, R. Zarakolu, 1982.
9. SevketPamuk, The Ottoman empire and European Capitalism 1820-1913, Cambridge, 1987.
10. Omer CelalSarc, The Tanzimat and Our industry, in ,issawi, op.cit.
11. William L. Langer, The diplomacy of imperialism 1890-1902, New York, 1965

الشيخ محمد الجواد الجزائري
فكره ونشاطه السياسي والاجتماعي

أ.د.نوري عبد الحميد خليل
كلية الرشيد الجامعة
قسم التاريخ

المقدمة :

عرف العراق في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نخبة من المفكرين والعلماء ورجال الدين المجددين والإصلاحيين، ممن دعوا إلى التغيير وتخليص المجتمع من عوامل الفقر والجهل والمرض، ونشر التعليم والمدارس الرسمية لتعليم الناشئة العلوم الحديثة بدلا من المناهج التقليدية ، والعمل على وحدة المجتمع وزيادة تماسك أفراده، واقامة انظمة حكم دستورية ديمقراطية قادرة على تقييد سلطة الحكام وتقضي على استبدادهم وتعطي الشعب مشاركة اكبر في الحكم. كان من بين هؤلاء العلامة الشيخ محمد الجواد الجزائري، كان سياسيا بارعا وعالما جليلا وفقيها وشاعرا ولغويا معروفا، ترك اثارا في اللغة والادب والفلسفة والفقه والعلوم التطبيقية وخاصة الرياضيات.

ولد الشيخ محمد الجواد بن الشيخ علي بن الشيخ كاظم بن الشيخ جعفر بن الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ احمد بن الشيخ اسماعيل الاسدي الجزائري في اسرة علمية في مدينة النجف الاشرف سنة ١٨٨٠. وبها درس العلوم العربية والرياضيات والاصول والفقه والفلسفة. عاش في شبابه مرحلة انتقال، ودع العالم فيها القرن التاسع عشر ليستقبل القرن العشرين بما يحمله من متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية، كان لها تأثيرها الواضح على الاوضاع الدولية والاسلامية. فظهرت في

المشرق العربي والاسلامي اتجاهات فكرية توزعت بين الدعوة الى المحافظة على الانظمة التقليدية التي تم توارثها من العهود السابقة، وبين انصار التغيير الداعين الى الاصلاح والتحديث واقامة حكومات دستورية مقيدة على وفق ماهو قائم في البلدان الاوربية.

وفي العراق تمحورت هذه الافكار حول دعاة القومية والوطنية الساعين لاقامة حكومة عربية مستقلة عن العثمانيين والتخلص من سيطرتهم واستبدادهم، حتى وان تم تحقيق ذلك بمساعدة البريطانيين. ودعاة محاربة النفوذ البريطاني بالتعاون مع العثمانيين، و دعاة الاستقلال التام واقامة حكم وطني غير خاضع للعثمانيين ولا للبريطانيين. وقد وجد الجزائري نفسه وسط هذه الاجواء والاتجاهات ان عليه مسؤولية التفاعل معها واخذ ما اعتقد انه احسنها فدعا لتحقيق كل ما هو مفيد لبلاده وللامة. ونهج نهجا اصلاحيا متدرجا، لكنه لم يتردد عن اختيار النهج الثوري والمغامرة ان تطلب الامر ذلك. ظهر ذلك واضحا في ديوانه حيث قال:-

مخيلتي تطالبني بامر ... تضيق به الخواطر والصدور
وعاقلتي تمانعها عليه ... ولا ادري لايهما المصير
قواي تنازعت حول الاماني ... وشب لنار موقفها سعير
واشكلت الامور علي حتى ... فزعت وما لمشكلتي نصير
فان قلت الصحائف منقذات ... اذا غنت بمبدئي السطور
تكذبني التجارب وهي عندي ... فواصل دونها الحكم الخبير
واذا قلت الصفائح لم تطعني ... صفائح قومي البيض الذكور
فهل تجدي المعارف وهي نور ... اذا لم يكتنف بالنار نور؟
وهل يجدي الحساب على حقوق ... تناهبها التوحش والغرور
اذا لم ينتظم للجمع شكل ... جداوله الصوارم والنحور.[1]

وكانت مدينة النجف قد عرفت عبر تاريخها الطويل بانفتاحها على العالم الخارجي كونها مركزا علميا يفد اليها طلبة العلم وأساتذته والزوار من مختلف انحاء العالم

الاسلامي يحملون معهم الافكار الجديدة والصحف والمطبوعات الصادرة في بغداد والشام ومصر وتركيا وايران والهند. وفيها اخر الاخبار والابتكارات واهم التيارات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة[٢] فتاخذ هذه الافكار والاتجاهات طريقها بين اوساط المجتمع النجفي. فتتداولها الالسن ويجري التعمق في بحثها ومناقشتها في مجالس المدينة ومنتدياتها العلمية والادبية ومقاهيها، حتى صارت المدينة مجالا تتلاقح فيه الافكار وتزدهر، ويطلع المثقفون على كل ما هو جديد.

كان في مقدمة الاحداث التي جلبت انتباه النجفيين احداث الحركة الدستورية في كل من الدولتين الفارسية والعثمانية، واشتداد المطالبة بتطبيق الادارة اللامركزية في الادارة العثمانية في بداية القرن العشرين. وعندما صدر الدستور في فارس سنة ١٩٠٦ والدستور العثماني سنة ١٩٠٨ اشبعت المدينة موضوع الدستور والحياة الدستورية بحثا. واخذ رجال الدين يتدخلون في السياسة ويرون وجوب تطبيق المبادىء الدستورية في الحكومات الاسلامية، وراحوا يعقدون الندوات ويرفعون الاحتجاجات لتحقيق مطلبهم هذا.

وبارك عدد من المجتهدين الحركة الدستورية وافتوا بالحرية ووجوب الاخذ بنظرية الحكومة المقيدة بالدستور[٣]. وادى ذلك الى انقسام العلماء والمثقفين في المدينة بين المساندين للاستبداد والمحافظين على انماط الحكم التقليدية(جماعة المستبدة) وبين الداعين الى التحرر واقامة الحكم المستند على الدستور(الاحرارالدستوريون)٠

وقد انحازالجزائري بحماس الى الفريق الثاني،لانه كان يرى عدم صلاح الاستبداد. ودعا لتاسيس مجلس استشاري يضمن حقوق الشعب ويطبق القانون لان الحكم الديمقراطي المستند الى الدستور اكثر ضمانا لحقوق الشعب، واكثر جدوى في تحقيق العدالة واقامة الدولة القوية٤. وتاصلت في نفسه روح الحماس التي اججتها المناظر التي كان الناس يشاهدونها في كل يوم من تصرفات الجنود البريطانيين غير المعتادة اثناء

زحفهم لاحتلال مدن العراق وقراه اثناء الحرب العالمية الاولى. فكانت اولى ممارساته السياسية مشاركته في التحريض على مقاومة الاحتلال البريطاني في تلك الحرب٥. .وتحرك مع عدد من رفاقه الذين ادركوا ضرورة تحريك الامة والقيام بعمل سياسي منظم قادر على تحقيق ما كانوا يصبون اليه من النهوض والاتحاد ومواجهة متطلبات المرحلة الجديدة. وبعد مداولات واتصالات تم الاتفاق سنة ١٩١٧ على تاطير نشاطهم وتحركاتهم بمنظمة سرية اطلقوا عليها اسم(جمعية النهضة الاسلامية).

ضمت الجمعية عددا من رجال الاسر النجفية المعروفة وبعض اعيان المدينة يتصدرهم الشيخ محمد الجواد الجزائري الذي تولى رئاسة الجمعية، والسيد محمد علي بحر العلوم نائبا له [٦].

والشيخ محمد علي الدمشقي والسيد ابراهيم البهبهاني والشيخ عباس الخليلي اشد الاعضاء حماسة وأكثرهم حركة. و كان الجزائري الزعيم الفعلي والمحرك الرئيس للجمعية بشهادة معظم المعاصرين اما اخوه الشيخ عبد الكريم فكان من مؤيدي الجمعية والداعمين لها.

كان اتجاه الجمعية اسلاميا يرمي لتحرير البلاد وتوحيدها واستقلالها، اذ كانت ترى وجوب اقامة حكم وطني لكنها لم تكن تريد قطع الصلة بالاتراك بشكل تام، باعتبارهم شعب مسلم يشترك معهم في العقيدة. وكان منهاج الجمعية الذي تالف من احدى وعشرين مادة قد اكد العمل على تحقيق الاستقلال للبلاد العربية والاسلامية وتحرير العراق من الاحتلال البريطاني. واكدت المادة الثانية (السعي لاعلاء كلمة الاسلام وترقيتة ومراعاة القانون الاعظم وهو الشرع المحمدي والعمل به). وجاء في المادة الثالثة(اجمع راي علماء الاسلام وقادتهم الافاضل الاعلام على لزوم تفهم الامة الاسلامية وجوب تحكيم ارتباط افراد المسلمين بعضهم ببعض تحت عنوان الجامعة الاسلامية للتكاتف والتعاضد والاعتصام بحبل الله ليكون المسلمون كتلة واحدة على

من سواهم). وعالجت المواد الاخرى الاطار التنظيمي للجمعية وحددت شكله بجمعية مركزية عدد اعضائها اثنا عشر عضوا من اهل الفضل والادب وتناولت ايضا النظم الادارية الحزبية و الهيآت الفرعية واكدت ان الاجتماعات اسبوعية وفي الحالات الاستثنائية[٧].

عرفت الجمعية بسرية العمل والضبط العالي ودقة التنظيم على ماهو معروف في الاحزاب السرية في انحاء العالم. ولأجل تحديد المسؤوليات والواجبات انقسمت على جناحين احدهما سياسي يوجه الدعاية للجمعية والتحريض ضد الاحتلال، ويهيئ السكان لتقبل فكرة المعارضة بطبع البيانات والمناشير التي تندد بسلطات الاحتلال وسياستها وسوء إدارتها، وتحث الناس على المقاومة. وكانت تلك البيانات والمناشير تلصق على الجدران وعلى ابواب الصحن الحيدري حيث يلتقي غالبية ابناء البلاد هناك[٨]. والجناح الاخر عسكري قوامه حملة السلاح والمؤهلين للمواجهة ،واجبه العمل على حشد الشباب واعدادهم وتنظيمهم وتوفير السلاح لهم. وقد توزع الجناح الاخير على ثلاث قيادات مثلت فيها محلات المدينة الاربع وهي العمارة والحويش والمشراق والبراق. قاد الفريق الاول كل من كاظم صبي وعباس علي الرماحي، وقاد الفريق الثاني الحاج نجم البقال وقاد الفريق الثالث كل من كريم وسعد ولدي الحاج راضي وقد بلغ عدد هذه الجماعة من المسلحين مئتي شاب[٩].

وكان التنسيق قائما بين الجناحين السياسي والعسكري بواسطة عضو ارتباط قدير هو ابراهيم السيد باقر، الذي اجرى اتصالات مع القيادة العثمانية في الفرات الأعلى بالنيابة عن الجمعية، من اجل تنسيق التعاون المشترك. خاصة بعد ان شعر الجزائري ان امكانات المقاتلين ليست بمستوى قوة وكفاءة جيش الاحتلال واسلحته الحديثة الفتاكة. ولذلك قرر الاستعانة بالاتراك وارسل عباس بن الحاج نجم (بن عبود بن فرج الدليمي المحمدي) البقال وهو صاحب مقهى مجاور للصحن الحيدري ومن محبي الاتراك

ومن المعتقدين بانتصارهم، اذ كان منتسبا للجيش العثماني برتبة رئيس عرفاء، وكان قد هرب الى البادية بعد هزيمة العثمانيين واخذ يحث والده على مقاومة الاحتلال [١٠]. وقد حمله (الجزائري) رسائل من جمعية النهضة الى القائد التركي(احمد بيك اوراق) في مدينة عانه على الفرات والى عجمي السعدون الذي كان يقود العشائر الثائرة في البادية على البريطانيين بالتعاون مع العثمانيين طالبا امداده بالسلاح وتنسيق الخطط ضد العدو المشترك [١١].

وينقل حسن الاسدي عن مذكرات الشيخ محمد الجواد الجزائري قوله '' انه لما يئس من استنفار القبائل المحيطة بالنجف لدعم الثوار النجفيين ارتاى ان يستعين بالاتراك الذين كانوا مايزالون يقاتلون البريطانيين في لواء الرمادي(الانبار)، فارسل عباس الحاج نجم البقال في صفر سنة ١٣٣٦/١٩١٧الى البادية يحمل ثلاثة كتب احدها الى القائد العثماني نور الدين والثاني الى محمد العصيمي وكلاهما في عانة، والثالث الى عجمي السعدون ليهيئ له السفر الى عانة عسى ان يمدوه بالسلاح ''[١٢]. ويوكد ذلك الدكتور علي الوردي قائلا'' جاء في كتاب من عجمي باشا السعدون الى القيادة العامة (العثمانية في الموصل) يقول ان رسولين جاءا من النجف الاشرف من العلماء والزعماء، كان اسم احدهما الحاج عباس بن الحاج نجم البقال، والثاني يدعى احمد وابوه كان مدير ادارة البرق في النجف، فوردا بكتب من علماء النجف وروسائها واخبرا بتشكيل جمعية في النجف غرضها انقاذ العراق من الاحتلال. وهم على استعداد لتنفيذ أي امر يصدر من القيادة العثمانية، نادمون اشد الندم على ما كان منهم لانهم لم يكونوا يظنون ان الانكليز بهذه المثابة من الغرور والتكبر والقسوة والظلم والجفاء''[١٢].

وصل الرسول مدينة عانة وسلم الرسائل الى القائد التركي وتمت ترجمتها الى اللغة الالمانية ليطلع عليها القائد الالماني انذاك فليكس اوبنهايم. فلما استولى البريطانيون على

مدينة عانة وقعت الرسائل في ايديهم وربطوا بين الانتفاضة التي قامت في النجف والاتراك وادعوا ان الانتفاضة كانت بتدبير من الالمان وحلفائهم في النجف[١٣]. والامر نفسة اكدته المصادر البريطانية ايضا اذ كتبت المس بيل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطانية في بغداد تقول'' عندما استولت الفرقة الخامسة عشرة على هيت وغزت عانة وقع في ايدينا ضابط الارتباط الالماني ومعه جميع اوراقه. وقد دلت المستندات على وجود لجنة للثورة الاسلامية في النجف، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزا لاثارة الاضطرابات بين العشائر، وكان مئة او اكثر من رجال الدين متورطين فيها وقد عرفت الخطة غاية المعرفة''[١٥].

اخذ عباس يرسل الرسائل بواسطة البدو الى ابيه الحاج نجم والى الجمعية يحثهم فيها على الاسراع بالانتفاضة. و كانت الجمعية قد اقامت اتصالات مع عدد من شيوخ العشائر في منطقة الفرات الاوسط ومنهم الشيخ مرزوك العواد رئيس العوابد، والشيخ وداي رئيس آل علي، والشيخ سلمان الفاضل رئيس الحواتم، ومن حملة السلاح بعض آل صبي وأل غنيم وأل شبع وآل كرماشة وأل العكايشي وآل الحاج راضي وآل البو كلل وآل عدوة وغيرهم[١٦]. وانشات الجمعية فروعا لها في الشامية وابي صخير والحيرة والكوفة ووثقت علاقتها بالوطنيين الناشطين في المدينة، والذين كانوا يعارضون الاتراك. ومنهم الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد حسن حيدر والشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ علي الشرقي والشيخ باقر الشبيبي، ومن يتبعهم من الشباب وابرزهم احمد الصافي وسعد صالح وعلي الشيخ عبد علي الكتبي وعلي الخاقاني وسعيد كمال الدين وسعيد السيد سلطان السيد سلمان وحميد زاهد والسيد يحيى الحبوبي، وغيرهم ممن كانوا يرون الاتراك كالبريطانيين يجب محاربتهم ومقاطعتهم وعدم اقامة اية علاقة معهم لانهم عملوا المآسي المروعة مع السكان[١٧].

باشرت الجمعية بعد اكمال تشكيلاتها واتصالاتها بوضع الخطط والاعداد للحركة وتهيأة مستلزماتها. غير ان حماس بعض اعضائها واندفاعهم ادي الى اغتيال الكابتن مارشال حاكم النجف ومساعده الايرلندي وجرح عدد من الحراس ليلة ١٩/٢٠ اذار سنة ١٩١٨ . فبدات الانتفاضة قبل اوانها[١٨]. وعلى الرغم من عدم قناعة الجزائري بذلك فقد حمل السلاح مع المقاتلين واسهم في اعداد الذخيرة وتهيئتها لهم حتى ان بعض اصابعه بترت اثناء قيامه بهذا العمل. ومهما يكن من امر فان هذه الانتفاضة قد مهدت لثورة العراق سنة ١٩٢٠ [١٩].

زحفت القوات البريطانية نحو مدينة النجف واحاطت بها وفرضت عليها الحصار مدة اربعين يوما، عانى السكان في اثنائها من الجوع والعطش، واختفت المواد الغذائية واللوازم الضرورية، واضطر بعض الناس لذبح الحمير وشرب مياه الابار المرة. ولم يعد في امكان سكان المدينة ان يتحملوا اكثر من ذلك، فاضطروا لقبول شروط الهدنة التي فرضها البريطانيون عليهم[٢٠]. ثم جرت محاكمة المشاركين في الانتفاضة والمتهمين باغتيال مارشال فحكم على عدد منهم بالاعدام شنقا فاعدموا في الثلاثين من ايار١٩١٨ فيما حكم على اخرين بالنفي الى الهند. كان الجزائري قد نقل الى بغداد لمحاكمته امام مجلس عرفي عقد له في سجن ام العظام فحكم عليه بالاعدام، لكن مساعي الشيخ خزعل امير المحمرة الذي وقف الى جانب البريطانيين في حربهم ضد العثمانيين وكانت تربطه صلات صداقة ومحبة بالشيخ عبد الكريم الجزائري ، اثمرت تلك المساعي في استبدال حكم الاعدام بالنفي الى الهند فاقله وهو مكبل اليدين مركب عسكري نهري عبر الكوت الى البصرة فالشعيبة وسجن هناك. و كان طوال فترة سجنه في بغداد والشعيبة صامدا لم يتراجع عن موقفه اذ قال مفاخرا بدوره في تلك الانتفاضة: –

مـــددنـــا بـــصـــــائـــرنـــا لا العيونا وفـــزنـــا غـــداة عشـــــقـــنا المنونا
عـــشـــقنا المـــنـــون وهـــمـــنا بـــها وعـــفـــــا ابـــاطـــحنا والحجونا
وقـــمـــنا بـــها عـــزمات مضـــــات ابت ان نـــــــــــــــاو نلينا
وصـــنا كـــرامة شـــعب العـــــــق وكـــنـــا لـــعلـــياه حـــصنا مصونا
وخضنا المعـــــــــــــــحمام نـــدافـــع عـــن حـــوزة الـــمسلمينا
وجـــحـــفـــل اعـــدائـــنـــا الانـــكليز يـــمـــــاء ســـهـــل الفلا والحزونا
يـــهاجـــم شـــعب بـــني يـــعـــرب لـــيـــشـــفي احقاده والـــضغـــونا[٢١].

وكان من المقرر ان ينقل الى الهند، ولكنه وضع تحت الرقابة عند الـــشيخ خزعـــل وبقي هناك مدة سنة وعشرة اشهر[٢٢]. ويذكر علي الخاقاني انه وقف على كتـــاب بخط الجزائري يقع في ثلاثين صفحة سجل فيه ذكرياته عن الاسر، وما لاقـــاه مـــن ضغوط الانكليز[٢٣]. ان السجن والنفي والتعذيب ماكان يثني الجزائري عن مواصلته الجهاد من اجل تحرير الوطن، فما ان اعلنت ثورة العشرين حـــتى اســـرع لتاييـــدها والتطوع في صفوف الثوارفي قيادة جبهات الفرات الاوسط. وبحكم منزلته الاجتماعية وشهرته الوطنية اخذ يعبيء الراي العام ويراسل العشائر في اطراف العراق يـــستنهض هممها لمواصلة الثورة. بل انه شارك هذه العشائر في هجومها على الحلة ومحاصرتها في الايام الاخيرة من شهر تموز سنة ١٩٢٠ تمهيدا لمهاجمـــة بغـــداد وتحريرهـــا مـــن البريطانيين[٢٤]. وقد جاء في البلاغ الرسمي البريطاني الصادر عن هذه الحادثة " وقع ليلة ٣١ تموزهجوم على الحلة دام عدة ساعات فكسر الهجوم ودمر تماما، وتكبـــدت العشائر خسائر كبيرة وتركوا وراءهم ١٤٩ قتيلا جمعت اشلاؤهم وبعض المجـــروحين فاخذوا اسرى وقد نقل العصاة تحت جنح الظلام عددا كبيرا من القتلى والجرحى. اما خسائر الانكليز فانها تبلغ تسعة قتلى واقل من عشرين جريحا. وحدث هجوم كـــبير

على موقع الانكليز في جسر الجربوعية فدحر الهجوم بنجاح ومني المهاجمون بخسائر فادحة، وقد رأى العرب الارض حول الموقع مغشاة بجثث القتلى من العصاة"[٢٥].

سجل الخاقاني ابيات شعر للجزائري يستنهض بها قبيلة كعب العربية في الجنوب الغربي من ايران لمساعدة العراقيين. وابيات اخرى قالها بحق المقاتلين على شاطىء نهر الحلة لتحقيق الفكرة التي جاء بها الشيخ ضاري المحمود زعيم عشيرة زوبع (في محافظة الانبار) الذي قتل هو واولاده الكولونيل لجمن حاكم الانبار، وهرب قبل ان يقبض عليه البريطانيون واستقر في خان العطيشي بين كربلاء والمسيب[٢٦]. واخذ ينسق مع عشائر الفرات الاوسط لوضع خطة تنطوي على تعبئة خمسة الاف فارس والهجوم بهم على بغداد[٢٧].

واستطاع الجزائري الافلات من قبضة السلطات البريطانية بعد ان استعادت قواتهم السيطرة على الموقف ووصول قوات كبيرة الى العراق. فتشددوا في طلبه حتى انهم اطلقوا عليه اسم (الخصم العنيد) [٢٨]. وحكمت عليه محاكمهم مرة اخرى بالاعدام لكنه استطاع ان يغادر العراق في صحبة المجاهد كاطع العوادي فارا من المشخاب الى الرميثة ثم (الجزيرة) ثم الى جبال حمرين ومنها الى رام هرمز على ملتقى الطرق بين الاحواز وتستر(شوشتر) واصفهان وامضى مدة متنقلا بين هذه المدن. وكان في طريقه الى طهران عندما هدأت الحال في العراق واصدرت السلطات البريطانية العفو العام عن الثوار. فعاد الى العراق عن طريق المحمرة ثم الى البصرة عند دخول الامير فيصل بن الحسين اليها[٢٩]. وفي ديوان شعره ابيات كتبها اثناء تنقله بين تلك المدن واصفا معاناته ومشاهداته.

وقد واصل نشاطه السياسي مع الوطنيين بعد عودته الى العراق للاسهام في تحديد شكل الحكومة المنوي تشكيلها، وكان يامل ان تكون هذه الحكومة متحررة من السيطرة البريطانية. فهاجم المرشحين لعرش العراق الذين استمالتهم بريطانيا وارتضوا

بالتعاون معها. وفي ذلك يقول: " لما نشرت الصحف العراقية العفو العام عن القائمين بالثورة سنة ١٩٢٠ على لسان برسي كوكس مندوب بريطانيا في العراق، وقد بلغني ذلك وكنت اذ ذاك بين رام هرمز وبهبهان قاصدا عاصمة ايران (طهران)، عدت الى العراق عن طريق الاحواز والمحمرة ودخلت البصرة يوم ١٣ شوال ١٣٣٩ /١٩٢٠. ولما رايت الفكرة البصرية مضطربة حول شكل الحكومة العراقية المنوي تشكيلها لكثرة الدخيل المتنفذ في البصرة انذاك، ورايت جمعا من البصريين استمالتهم سياسة الانكليز فاوفدوا الى بغداد لفيفا من سذجهم في سبيل غايتهم المدبرة لهم٠٠٠ انشات الابيات الاتية وانا في البصرة:-

حول عرش العراق قد كـــــــلقيـــ ل وتـــــــــــــــــواطر وعقول
فـــهنـــاك يـــعرف الـــصدوق وتمتـــ ز بـــارائهـــا الرجـــال الفـــــحـــول
ان لـــلشـــعب مبـــدءا طـــالمـــا كـــا ن عـــــــيـــه صراخـــه والعويـــل
فـــهـــو الاصـــل والـــفـــروع كـــثـــيرا ت لـــديـــه والامـــهات الاصول
فـــعـــلى الشعـــب حـــفظ مبـــدئه اليو م وان خـــــه الـــعـــنود الجهول
فالـــعـــراق الـــعـــراق يـــا فـــكرة الح ر فانت الهـــادي وانت الدليل[٣٠].

وبعد قيام الحكم الملكي وتنصيب الامير فيصل بن الحسين ملكا على العـــراق ســـنة ١٩٢١ اخذ الجزائري يدعو الى الاصلاح، ووثق علاقته بالوطنيين الذين تسلموا بعض المسؤليات في الادارة الجديدة لتنفيذ افكاره الاصلاحية، وراح يشير علـــيهم ويلفـــت انتباههم الى النواقص التي تحتاجها البلاد بما في ذلك الجوانب الاقتصادية [٣١].

وكانت السلطات البريطانية قد اشغلت المراكز العليا في الادارة بالموظفين البريطانيين ووضعت الى جانب الوزراء والمتصرفين فى الالوية وموظفي الـــدوائر الرئيـــسة مـــن العراقيين مستشارين بريطانيين وهنود، ووظفت الكثير منهم في الوظائف المدنية بـــدلا

من العراقيين. وقد تالم الجزائري من ذلك وهاجم الاستشارة منكرا الحاجة اليها. بل كان يرى ان البلاد تتوفر على قدرات وكفاءات ادارية وعلمية وفنية ليست اقل شأنا من هؤلاء البريطانيين والهنود. وكثيرا ما كان يفصح عن تبرمه من الاستشارة امام الملك فيصل حيث كانت العادة ان يجتمع العلماء مع الملك كلما قدم الى النجف. وكانت اسرة الجزائري على علاقة قوية بالملك فيصل، وخاصة اخوه الشيخ عبد الكريم الذي رشح ليتولى احدى الوزارات في اول وزارة تشكلت بعد التتويج (وزارة عيد الرحمن النقيب الثانية). وقد صدرت الارادة الملكية فعلا في اليوم الثاني عشر من أيلول ١٩٢٠ بتعيته وزيرا للمعارف. لكنه اعتذر عن قبول هذا المنصب بسبب مركزه الروحي الكبير وترفعه عن قبول الاشتراك في الحكم. ويذكر جعفر الخليلي انه سمع الشيخ محمد الجواد يقول'' اطردوا هؤلاء المستشارين اطردوهم فليس لاستقلالكم حقيقة، وهؤلاء موجودون في مراكز الالوية. و لم تعجب هذه الطريقة من الكلام اخاه الشيخ عبد الكريم الذي كان يرى وجوب تحديد عمل المستشارين، ولذلك حال بعدها بين حضور اخيه و حضور مجلس الملك. وحين كان يقدم الملك الى النجف كان يسأل عن الشيخ محمد الجواد فيجاب في كل مرة بعذر من الاعذار.

والواقع ان اندفاع الجزائري وحماسته حتى في طريقة مخاطبته للاخرين ومجادلاته معهم جعلته يغضب على كل من يخالفه الراي. وهو الامر الذي جلب له الكثير من المتاعب وكثرة المعادين له. ويروي الخليلي وكان معاصرا ومن الذين عملوا معه'' كان يختلف عن اخيه عبد الكريم في كل شيء، وعلى الاخص في طريقة معالجته الامور وفي الحلم والغضب وفي كل شيء آخر. وكثيرا ما كان الشيخ محمد الجواد يلتقف الحديث من اخيه في المجلس ليسير به في الاتجاه الذي يعاكس اتجاه اخيه وعقيدته. وفي هذا المكان لانسمع من الشيخ عبد الكريم غير حوقلة يرددها مع شيء من هزة الراس علامة عدم الرضا، ويضل يحوقل حتى يسكت الشيخ محمد الجواد. وكم

كان يبدو برما حينما يكون عنده احد رجال الدولة وهو يحاول ان يعالج امرا باسلوبه الخاص، فيتلقف الشيخ محمد الجواد الحديث ويحيله الى ثورة، يخرج بعدها الشيخ عبد الكريم وهو في بحر من الخجل. وكان الشيخ عبد الكريم يلوم اخاه بمحضر مني حين يخلو المجلس، ويؤاخذه على طريقة اشتراكه في الحديث، ولكن الشيخ محمد الجواد اتون مشتعل لايمكن ان يخفف اللوم في حرارة ايمانه وطريقة حديثه"[٣٢].

كان الشيخ محمد الجواد شديد الايمان بالديمقراطية وضرورة تقييد سلطة الحكام بواسطة الدستور والسلطة التشريعية . ولكن ما ان بدأت الحكومة العراقية الجديدة باجراء الانتخابات من اجل جمع المجلس التاسيسي لاقرار المعاهدة مع بريطانيا والدستور حتى هاجم الانتخابات منذ بدايتها سنة ١٩٢٢. لانه كان يرى ان السلطات البريطانية ستتلاعب بالانتخابات لفوز المرشحين الذين تريدهم، وان المجلس المنتخب لن يمثل العراق تمثيلا صادقا بل اريد له ان يكون صوريا او كما عبر عنه بالقول:-

تغالطنا اصول الانتخاب على تاسيس مجلسنا النيابي
تغالط حول مبدئنا المفدى ومبدؤنا استقر على حساب
اصول لفقت شركا لصيد (العراق) بغير طعن او ضراب
اصول سياسة نشرت علينا ذوات اظافر وذوات ناب
يقود زمامها الغربي حتى يتاح له الدخول بكل باب
فهل هي حول حق الشعب الا ال سم دس في النطف العذاب
حذارك أيها الوطني منها حذارك من حوادثها الغضاب
حذارك من نتائجها فهذي مبادؤها تدل على الغلاب
تنحى يا اصول الغدر عنا فلست اصول شرع الانتخاب
فلا مغزاك ملتبس علينا وان حملته اعناق السحاب

وقال في قصيدة اخرى حول المجلس التاسيسي وشكل الدولة العراقية:-

وهل يصبر اليقظان عن شكل حكمه وفي الصبر عن امثاله العار والذل
وهل مجلس التاسيس يحكم بيننا ويفصل في اشكالها قوله الفصل
وكيف به والجور القى جرانه فلا نصف باد الينا ولا عدل
نعم سلبت حرية الشعب دونه فلا النهل مسطاع لدينا ولا العل
وسد على رغم القوانين بابه وشد على ما كان من سده قفل
واضحت حقوق الشعب وهي حياته وعودا وكم وعد تعقبه المطل
فهيهات ان تعطى الحقوق لاهلها ولكنما يضري وياخذها الاهل
ارى بجنوبي العراق هواجسا يدور على موصلها القطع والوصل[٣٣].

كان الجزائري وطنيا ومن دعاة الوحدة الوطنية المتمسكين بها والمنافحين عنها، واشد ما آلمه طرح مشكلة ولاية الموصل سنة ١٩٢٣ حين سعت تركيا الى فصل هذا القسم عن العراق وضمه اليها. وجرت حوله مباحثات بين بريطانيا وتركيا في لوزان وفي عصبة الامم وهب الشعب العراقي مدافعا عن وحدة اراضيه. فسافر الجزائري الى الموصل ليحرض السكان هناك على التمسك بالوحدة الوطنية. حتى انه اقام في المدينة وتجول في المدن والقرى القريبة منها مدة يعمل على نشر التعليم[٣٤]، وغرس الروح الوطنية وتوعية السكان بحقوقهم ومبادئهم بل كانت وحدة الشعب والوطن لاتغيب عن ذهنه وفي ذلك يقول:-

مهما تجزأت الشعوب وفردت فعراقنا المحبوب شعب فارد
ان تفترق نسماته نسبا ولم يجمع غصون ثراه اصل واحد
فالشعب بين اولي النهى نسب لهم وهو الارومة بينهم والوالد

فـــرغـــائـــب الـــمـــستعمريـــن شوارد وخيال ساستهم خيال فـــاســـد[٣٥].

لقد ظل الجزائري متمسكا بمبادئه طوال حياته، لم يحد عنها على الرغم مما لاقاه من معارضة المعارضين ومضايقة الحاكمين. فكان لايثق بالبريطانيين ولا بوعودهم، عارض بشدة دعوتهم بعد الحرب العالمية الثانية لتكوين الجامعة العربية. ومدح الوطنيين الذين عهدت اليهم مناصب عليا ومنهم السيد علوان الياسري[٣٦]. الذي تعين وزيرا.

زار لبنان سنة ١٩٤٦ ومكث فيها نحو نصف سنة فاحتفل به العلماء والادباء ورحبت بمقدمه الصحافة اللبنانية. والقى محاضرات عدة واطلع على ما كان يجري في فلسطين من مضايقة للعرب ومحاولة اقامة دولة لليهود فيها، وما لاقاه شعب فلسطين من اضطهاد وتشريد على ايدي اليهود المهاجرين وبعض العرب المتعاونين معهم. وعزا ذلك الى التفكك وعدم الصدق في الجهاد في كثير من جوانبه. فافتى وكتب محرضا على جمع الصفوف من اجل العمل على انقاذ فلسطين وتحريرها. وقد ظل على نهجه هذا حتى في حال مرضه حيث نظم واعد خطة للمشاركة في التحرير[٣٧]. وكان يرى ان حرب سنة ١٩٤٨ لن تكون الاخيرة وان العرب وان خسروا هذه المعركة فان النصر مؤكد في المعارك المقبلة. قال في ذلك:-

لـــلـــفوز اجهـــزة تـــداول صـــرفـــهـــا بـــيـــن الانـــام على هدى اشكالها
يـــتـــطـــاولون بهـــا ومـــن هـــو قـــاصر عـــنـــهـا تقاصر عن حدود منالها
فـــانشـــر عن الياس النجاح وان يكن انـــتـــاجـــه لـــغـــزا لـــدى جهـــالـــهـا
فـــلـــك الـــعـــيـــان مـــحـــجـــة ان اعوزت اشكال منطقـــة لـــدى عقالها

وقال عن فلسطين

هـــيهات ننـــساهـــا وفي اعـــناقنا ذمم لزاكـــي تربـــها ورمالها[٣٨].

وقال ايضا

لا عـــيـــد يـــرتـــاح بـــه مسلم يرى فلسطين بايـــدي اليهـــود
ارى وميضا وعساني ارى مـــن خـــلفـــه نـــارا وعيدا سعيد

واسهم الجزائري سنة ١٩٥١ في اثارة الراي العام والفتوى ضد العدوان على حقوق مصر عندما الغت معاهدة ١٩٣٦ [٣٩].

و لم يقتصر نشاط الجزائري على الجوانب السياسية بل تجاوز ذلك ليعلن حربا على الاوضاع الاجتماعية السائدة، المتمثلة بانتشار الجهل والمرض والامية وتفشي البدع والضلالات بين العوام. فاعلن سخطه على القيم القديمة وعلى الفردية ودعا الى نكران الذات والعمل في سبيل المجموع. والسعي الى الاصلاح والتحديث وحل المشاكل بين الافراد على وفق منطق العقل. ويذكر علي الخاقاني ان مئات المواقف شاهدها له وهو يصدم انصار الرجعية فقال'' صرخ في وجه الجهل وحارب الكثير من العادات المخالفة للشرع على الرغم من معارضة العامة. فكان يصيح باعلى صوته متحديا تلك الجموع هازئا بتلك الفكر البالية يهدر بيانه وبرهانه''[٤٠]. ويضيف الخليلي الى ذلك قوله ان بعض العلماء في النجف كانوا يؤيدون الاصلاح والتجديد ومنهم المصلح السيد محسن الامين الداعي الى حرمة الامور التي هي ليست من صلب الدين. وكان الشيخ عبد الكريم الجزائري في مقدمة المؤيدين للدعوة الى الاصلاح، وان اخيه الشيخ محمد الجواد قد قام بالدعوة الى فكرة الاصلاح وصار محور تكتل الاقلية المؤيدة للفكرة [٤١]. الامر الذي عرضه لمهاجمة خصومه. كان جريئا في عرض ارائه الوطنية والقومية والاصلاحية ونشرها بين العراقيين. اسس المدرسة المعروفة باسمه في مدينة النجف سنة ١٩٤٣ والتي واصلت مهمتها حتى سنة ١٩٥٧.

انتقل الى جوار ربه يوم ٢٣ نيسان١٩٥٩ في مدينة النجف. وله من المؤلفات (حل الطلاسم) و(نقد الاقتراحات المصرية في تيسير العلوم العربية) و(فلسفة الامام

الصادق) طبعت جميعا وله مؤلفات اخرى في العلوم العربية والاصول والفقه والفلسفة وديوان شعر في اغراض وطنية واجتماعية وفي استنهاض الشعب وفي حياة السجون والدعوة للحياة الاجتماعية ونشرت له صحف النجف وكربلاء والحلة والبصرة وبغداد ولبنان والهند.

Abstract

Sheikh Mohammad Al Jawad was a political and Islamic thinker, born in Najaf city 1880 Studied: linguistical ,theological, philosophical and mathematical sciences. He lived the last Ottoman era and the national regime in Iraq.

His views was that the constitutional and democratic regime is the best for the people and their rights. He opposed the British occupation to Iraq therefore he headed (Al Nahdha Al Islamiah committee) which guided the Najaf uprising in 1918, sharing in the Revolution of 1920 therefore the British Armey ordered to prison him many months .He defend the rights of Iraq in Mosul 1925 and the rights of the Palestinian in their homeland, calling to publish the new sciences and to remove the old social traditions. He wrote many articles in the newspapers of Al Najaf ,Karbala, Hellah, Basrah ,Beirut, India .He was a national poetic, died at 1959.

الهوامش والمصادر

١- ديوان الجزائري(بيروت ١٩٧٠) ص٤٥.

٢- الخليلي، جعفر،هكذا عرفتهم (بغداد ١٩٦٣) ص٣٦٩.

٣- الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى (بغداد١٩٦٣) ص١٢.

٤- البهادلي علي، الامام المجاهد محمد الجواد الجزائري، مجلة الموسم العدد ٨ هولانده ١٩٩٠ص ١٥١٢-١٥١٣.

٥- سماحة، علي محمد، محمد الجواد الجزائري بطل عاش للشعب ودافع عن حقوق الكادحين، ص٩.

٦- الحسني، عبد الرزاق، ثورة النجف (بيروت ١٩٧٨) ص ٣٢؛ فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق(بغداد ١٩٧٨) ص٣٧.

٧- محمد علي كمال الدين معلومات ومشاهدات(بغداد ١٩٧١) ص٦٦ ؛علي البهادلى ، ا مرجع سابق السابق ص ١٥٢٢-١٥٢٥.

٨- الحسني، ثورة النجف ص٣١.

٩- الخاقاني، شعراء الغري (النجف ١٩٥٥) ص٣٦٣؛ وجعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها ج٢(النجف ١٩٥٥) ص٣٤٩.

١٠ الاسدي ، حسن، ثورة النجف(بغداد ١٩٧٥) ص ٢٣٣.

١١ – الخاقاني ، مرجع سابق ،ص٣٥٩-٣٦٠؛كريم وحيد صالح، نجم البقال(النجف١٩٨٠) ص٦٧

١٢ – الاسدي ، مرجع سابق ص٢٤٢.

١٣– الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث(بغداد ١٩٦٩-١٩٧٦)٥/٢١٧.

١٤– الحسني، ثورة النجف ص ١٢٩.

١٥– فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط(بغداد ١٩٧٠) ص١٢٣.

١٦– الحسني، ثورة النجف ص٣١.

١٧ الخاقاني، مرجع سابق ص٣٦٢؛ البهادلي، مرجع سابق ر السابق ص ١٥١٩.

١٨– المس بيل، فصول من تاريخ العراق ص١٢٤.

١٩ سماحة، مرجع سابق ص.١٠

٢٠- الخاقاني، مرجع سابق ص٣٦٥، ٣٧٥.

٢١- ديوان الجزائري، ص٥١.

٢٢- الاسدي، مرجع سابق ص٣٣٣؛ آل محبوبة، مرجع سابق ص٩٣.

٢٣ الخاقاني ، مرجع سابق مرجع سابق ص٣٥٣ .

٢٤- سماحة، مرجع سابق ص١١.

٢٥- جريدة العراق ٥ آب ١٩٢٠.

٢٦- حول هذا الموضوع ينظر الحسني الثورة العراقية الكبرى(بيروت ١٩٨٢)ص٢٢٧-٢٣٠ .

٢٧- الخاقاني، مرجع سابق ص٤١٠.

٢٨ سماحة، مرجع سابق ص١١.

٢٩-الخاقاني، مرجع سابق ص٣٤٥.

٣٠- ديوان الجزائري ص٢٧.

٣١ الخاقاني، مرجع سابق ص٤١٠؛ ديوان الجزائري ص٣٥.

٣٢ الخليلي، هكذا عرفتهم ص ٣٧٩-٣٩٠.

٣٣- ديوان الجزائري ص ٢٩-٣١؛ الخاقاني، مرجع سابق ص ٣٨٦.

٣٤- سماحة، مرجع سابق ص١١.

٣٥- ديوان الجزائري ص٣٧.

٣٦ الخاقاني، مرجع سابق مرجع سابق ص ٤١٠.

٣٧- سماحة، مرجع سابق ص ١٢.

٣٨- ديوان الجزائري ص٣٦.

٣٩- سماحة، مرجع سابق ص١٢.

٤٠- الخاقاني، مرجع سابق ص ٣٥٢.

٤١- الخليلي، مرجع سابق ص٣٨٨

نُضُوبُ الكلماتِ / العَينُ حَلًّا.
نحو مشروعٍ معجمي معاصرٍ

أ.م.د .ضرغام محمود عبود الدرة
كلية الرشيد الجامعة
قسم اللغة العربية

ملخَّصُ البحث:

إنَّ التداعياتِ السريعةَ في العالم و البلاد العربية؛ دفعت بعض الناس إلى التساؤل عن جدوى اللغةِ العربيةِ ،و عن قدرتها على الوفاء بعرض مستجدّات العصر، بل الأخطر من هذا إنّ منهم من يرى اللغة العربية لغة عقيمة ميتة ،لا ينبغي لنا التعاطي معها، و استعمالها لغةَ تواصلٍ، و علمٍ، و أدبٍ، و فكرٍ؛ فينحرف إلى الدعوة لاستعمال بدائلَ مقترضةٍ ،أو اختراعِ لهجةٍ، أو لغةٍ هجينةٍ، أو بديلةٍ.

و قد فاتهم أنّ اللسان العربي كان على مر العصور حاملَ تراثٍ، و ناقلَ معرفةٍ، و شاهداً حيًّا على الجذور التي استلهم منها الغربُ نهضتَه الحديثةَ.

لقد فطن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) إلى عبقرية اللغة العربية ،عند تفكيره بوضع كتابه (العين)؛ الذي نَمَّ عن وَعيٍ كاملٍ ،و درايةٍ لعبقرية هذه اللغة فوضع مدونته الكبرى هذه تحت سياقات صارمة حصرت(العربيةَ العربيةَ)وحدَها في تراكمٍ لفظيٍّ لا مثيل له؛ فاستعان بما وَعَبَتهُ مقدرتُهُ، و خَزَنَتهُ حافظتُه و تركَ البابَ مُواربًا للباحثين بعده.

في هذا البحث نستعين بما نعتقدُ أنّ الخليل أرادَه و سعى إليه؛ و لعلّ في ذلك بعضَ الحلِّ لمشكلةٍ بدأت تتنامى، و اتهامات مخجلة بعجزِ اللغةِ العربيةِ،ونضوبِ معينِها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ لو كان البحْرُ مِداداً لكلماتِ ربّي لَنَفِدَ البحرُ قبلَ أنْ تنفَدَ كلماتُ ربّي ولو جئنا بمثلِه مَدَداً ﴾ الكهف:١٠٩

اللغة العربية لغةٌ مقتدرةٌ.

في حياة العرب أربعُ محطاتٍ حضاريةٍ غيّرَت مسارات حيواتهم:

الأولى :فورة الشعر، و ازدهار اللغة قبل الإسلام؛ امتدادا لحضارات سبقتهم أو كانت موازية لهم.

الثانية: نزول القرآن الكريم، و الانعطافة المعرفية التي حققها ،و وصفها السيوطي بقوله: (القرآن مفجّر العلوم و منبعها [١].

الثالثة: الانفجار المعرفي و الحضاري في العصر العباسي و مُصاحباتُه.

الرابعة: حضارة النور في الأندلس.

إنّ التراكم المعرفي و الحضاري الذي أوصل العلوم و المعارف العربية إلى ما وصلت إليه، في عصر كان العالم يغرق في ظلام الجهل و التخلف؛ أعطى امتيازًا كبيرا للغة العربية في أن تكون الجسرَ المُوصِلَ لهذه المعارف، و لغة التواصل بين ملايين الأفراد من شتى الأجناس و الملل. تضافرت عوامل متعددة مكّنت اللغة العربية من النصر في صراعها اللغوي [٢] .

إنّ استمرار العربية و ديمومتها قرابة سبعةَ عشَر قرنًا ؛أثَار الهلعَ في نفوس الكثيرين من أعداء الأمة، فهي اللغةُ الوحيدةُ التي بقيت محتفظةً بمنظومتها الصوتيةِ، و الصرفيةِ، و النحويةِ، يطّوعها الناطقُ بها جميعا لمواكبة التطور الحتمي في الدلالات، في حين نجد أنّ أيّة لغة مهما وصِفت بالحيّة لم تصمد أكثَر من أربعة قرون؛ لتتغيّر فيها منظومتها تدريجيا[٣].

إنَّ أصواتًا منصفةً في الغرب رددت مقولاتٍ بحقِّ العربية، أثارت مخاوف منظري العولمة و دهاقنتها و فزعهم، يقول المستشرق الألماني أ.هـــ. فيشر: إذا استثنينا الصين لايوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علم لغته، و بشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها، بحسب أصول و قواعد، غيرُ العرب(٤).

أمّا الإسباني الحائز على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٨٩ (كاميلوجوزي سيلا) فقال: إنّ أغلب اللغات ستنسحب من ساحة التعامل الكوني و ستتقلص في أحجام محلية ضيّقة ؛و لن يبقى في اللغات البشرية إلا أربع قادرة على الحضور العالمي ،وعلى التداول الإنساني،وهي:الإنكليزية ، والإسبانية، والعربية، والصينية. وهذا ما استشعره دارسو الألسنة البشرية ،فقالوا:قد تختفي قبل نهاية القرن الحادي والعشرين أكثر الألسنة البشرية ؛لينفرد عدد محدود منها بالبقاء(٥).

ومثل هذا ما قاله المستشرق الألماني(فنت فور):(الذي سهّل بقاء العربية الفصحى ..أنّه لم يبذل أي مجهود يذكر في تضييق شقة الخلاف بين العاميات والفصحى(٦).ولعل أخطر المواقف ما رآه المستشرقون الغربيون في مؤتمرهم الاستشراقي، الذي عقد في اليونان نهاية القرن الماضي:(أنّ اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد العربية والإسلامية ؛للتخاطب ،والكتابة ،والتأليف،وأنّ من واجب الحكومات في هذه البلدان أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية ؛لتقضي بذلك على اللهجات العامية التي لا تصلح لغة أساسية؛لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق(٧).

اللغة العربية والسياسات اللغوية

تعمد الحكومات في أغلب الأمم الناطقة بلغاتها المختلفة والمتنوعة ألى سنّ قوانين وقواعد صارمة تلزم المواطنين بانتقاء لغة مركزية مشتركة والالتزام بها في التخاطب

والأعمال،وتكون محورا لتواصلهم ،في محاولة للإطباق على تشتت اللغة في لهجات تَحُولُ دون إتمام عمليات التواصل بسلاسة ودقة وهذا ما حصل في الصين الشعبية.

أمّا بعض المجتمعات التي تتحول فيها لهجة ما إلى رمز مقترن بحدث عظيم له دلالة موحِّدةلأبناء ذلك البلد فتتحول بإرادة شعبية إلى اللغة المركزية المشتركة التي ينضوي تحتها كلّ المتكلمين بها.كما هو حاصل في تترانيا الناطقة بالسواحيلية بعد اتحاد تانجانيقا وزنجبار.

أمّا في المجتمع العربي فإنّ عنصر التحكم بالسياسات اللغوية ليس قرارا سياسيا،أو شعبيا،ولكنه أمر قدسي مرتبط بالقران الكريم،ولغته التي تعد لسانا قوميا لنحونصف مليار عربي،ولغة مرجعية للتعبد وإقامة الشعائرالإسلامية لمليار مسلم من غير العرب الذين يتوقون إلى تعلّمها والتكلم بها وإتقانها ؛كما فعل أسلافهم في بدايات ظهور الإسلام وانتشاره(٨).

قد لاتكون السياسات اللغوية في البلدان العربية والإسلامية المعاصرةقادرة على سد الفجوة الكبيرة بين فهم الناطقين بها لها ،وفهم غير الناطقين بها من المسلمسن بيسر،ولكنّ جهودًا جمعيّةً ،أو فرديةً خارجةً عن قرارات السلطة والتسييس جعلتها ذات مكانة كبيرة عندهم،وأوجدت في نفوس المتعاملين بها توقا إلى تعلّمها وتصحيح ما اعتراه الخطأ في أثناء تعلمها.

لم يكن الهجوم على العربية وليد عصرنا ولكنه كما يقول الدكتورأحمد مختار عمر(قد ارتبط في القديم بدعاوى الشعوبية ،وأعداء العروبة،وفي العصر الحديث بالاستعمار وأعوانه(٩).

المعجم العربي

يتكون معجم اللغة عادة من مجموع من الألفاظ فيها ،ومما تشير إليه من دلالات أخذت حدودهامن الواقع الاجتماعي العرفي لهذه الألفاظ وصيغها واشتقاقها

وتصريفها،وتتكون عادة من المعاني التي تصل إليها من اتحاد هذه الألفاظ في استعمالات حقيقية أو مجازية[١٠].

إنّ الثروة اللغوية العربية تشير إلى غزارة غير عادية وقِدَم ،وهناك من الباحثين من يسوق الأدلة والقرائن التي تبين أنّ العربية (احتفظت بكثير من خصائص السامية الأصل ؛فمعجمها يمثل مجمل الثروة المعجمية التي كانت متداولة في العربيات القديمة(الساميات[١١]. ولما يزل قسم كبير منها متداولا. يرى المستشرق جورج بواس(١٩٩٧): ((أنّ معجم اللغة العربية لايمثل حالة تزامنية متجانسة، والقول بهذا لايعني أنّه ركام من المعطيات التي لا رابط بينها ؛فبالنظر إلى ثبات قوانين الصرف ، والاشتقاق، والمقطع، واستمراريتها ؛فإن هذا المعجم على الرغم من قدمه وتداخل طبقاته التزامنية يبقى معجمًا في متناول متكلّم العربية الحديثة ؛لأنّ القوانين التي تحكم هذا المعجم الكبير والعتيق، هي القوانين نفسها التي تحكم معجماتنا العربية الصغيرة والقطاعية، والاحتجاج بأنّ جلّ كلمات معجم اللسان لم تعد مستعملة؛ لا يعني أنّها محكومةبمبادئ مختلفة عن المبادئ التي تحكم الكلمة في العربية المعاصرة)) [١٢] .

أمّا المستشرق (أنطون شال)فيرى في مقالته :الثروة اللغوية العربية:أنّ قسما كبيراً من الثروة اللغوية العربية قد وردت عن السامية المشتركة وتغيّر من ناحيتي الشكل والمعنى تغيراً ضئيلًا إلى حد أنّ أجيالًا من الباحثين اعتقدوا أنّ المعجم العربي يمكن أن يَحِلَّ محلّ معجم الساميات المشترك[١٣] .

ولكن هذا لا يعني أنّ مؤلفات المعجمات قد استوعبت كل ما ورد في اللغة؛ لأنّ قدرات الإنسان تبقى قاصرة أزاء الإحاطة بكل ما صدر عن المتكلمين وما عنوه ؛فهو عرضة للنقص والزيادة ،والاندثار بسبب الإهمال، والترك ، والنسيان ،فضلا عن انّ مستعملي اللغة قد يكونون في أصقاع مشتتة متناثرة ،وكل قوم يمتلك ما لا يَرِدُ عند غيره من الألفاظ[١٤] .

إنّ جامع اللغة يعجز عن أن يستخرج كلّ المخزون اللغوي من أفواه الناس، أويَكِلّ عن استقصائها في المواطن المتباعدة؛وهذا ما حصل للعربية أصلا؛فقد ذكر الخليل في العين :لا يحصر اللغة العربية الّا نبي[١٥] .

(العينُ)معجزةُ الخليل(١٧٥هـ).

وضع الخليل مدونته الكبرى (العين)التي جمع فيها ألفاظ العربية مبنية على أسس ثابتة،وصارمة،هدفها حصر اللفظ العربي في الأصل والاستعمال ؛في رغبة منه في أن تكون مفردات العربية حاضرة أمام مستعمليها،وقد كان قوام هذه الأسس:

١- ترتيب المداخل ترتيباً صوتيّاً على المخارج.

٢- التصنيف الكمي المتمثل بالثنائي، والثلاثي،والرباعي، والخماسي.

٣- التقليب.

٤- الإحصاء[١٦] .

لم يكن الخليل يسعى عندما فكر في وضع العين إلى جمع كلام العرب فحسب ؛وإنما كان يسعى إلى استقصاء كلام العرب كله ،وحين وضع فلسفته التي أوجزها بمقولته التي يصور فيها أساس معجمه حتى يكون هناك نظام من العلاقات بين الصوت والبنية يكون عليه مدار كلام العرب وألفاظهم فلا يخرج عنه شئ أراد أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها فلايشذّ عنه شئ من ذلك[١٧] .

٥- حصر الخليل الأصوات العربية بتسعة وعشرين صوتا عرفيا واستبعد كلّ ما لا يمت إلى العربية من الأصوات بصلةٍ ،وجعل بين ناظريه أنّ البنية العربية ثنائية ،أو ثلاثية،أورباعية،أو خماسية. وكل هذه البنى ذات الأصوات العربية ،تخضع لنظام داخلي فيها؛ أقّرها الناطقون بها وتعارفوا عليها.(لقد اعتمد الخليل في تصنيف الأصوات العربية على :المخرج ،والحيّز، والمدرج؛لأنَّ تحديدالحيّز والمدرج ؛ضروري لفهم طبيعة التأليف في بنية الكلمةالعربية. وكان هدفه معرفة خصائص البناء الصوتي للكلمة ؛لكي يَميزَ

المستعمل من المهمل ؛ويبين الأصيل والدخيل من الكلمات) [١٨] .ففي العربية أصوات لا تأتلف في كلمة واحدة بسبب وحدة الحيّز أو تقارب المخرج.وفي العربية لايعرى الرباعي ،أو الخماسي ،من أحد أحرف الذلاقة ،أو كثر ؛فإن عريت منها كانت مُحدَثَة مُبتدَعَة ليست من كلام العرب.

٦- إنّ عملية التنقية هذه أسفرت عن كتاب (العين) مفخرة الخليل وعنوان عبقريته،الذي حوى كلّ الألفاظ العربية ،التي وصل إليها علمه، وجهده، وتفكيره، وحافظته ،بعد أن أبعد كل بنية في أصولها حرف أعجمي أوأكثر، أو كل كلمة رباعية، أو خماسية ؛تخلو من أصوات الذلاقة؛ لقد تبين من حاصل جمع الجهد الكمي والتقليب نتائج إحصائية تفوق الوصف مكنته من التحرك بسهولة وحرية كاملتين في تحقيق كتابه ،فكانت الحصيلة كالآتي:

١- كل مفردة ثنائية كوّنت مفردتين ،وكانت حصيلة الثنائي :٧٥٦مفردة نتاج٢٨×٢٧.

٢- كل مفردة ثلاثية كوّنت ست مفردات،وكانت الحصيلة١٩٦٥٦ مفردة نتاج٢٨×٢٧×٢٦.

٣- كل مفردة رباعية كوّنت أربعًا وعشرين مفردة،وكانت الحصيلة: ٤٩١٤٠٠ نتاج ٢٨×٢٧×٢٦×٢٥

٤- كل مفردة خماسية كوّنت مئة وعشرين مفردة وكانت الحصيلة:١١٧٩٣٦٠ نتاج ٢٨×٢٧×٢٦×٢٥×٢٤. أمّا الناتج النهائي فكان ١٢٣٠٥٤١٢

لم تصل قدرة الخليل إلّا إلى حصر بضعة عشرات الألاف من المداخل (الكلمات الجذرية) وعدّ الباقي مهملا، أو غير مستعمل.إنّ هذا الجهد الخارق ارتبط بجهود أخرى ،لحقته وتابعته في التقصي والسعي ؛لاستكمال ما طمح إليه الخليل ،و لم يدركه

من إيعاب كل ما هو وارد في اللغة في معجمه؛ فظهرت جملة من كتب الاستدراك ظهرت بعد ظهور العين زادت على عشر مصنفات[١٩] .

التجربة العباسية:

أحدث الإسلام نقلة نوعية في حياة العرب والمسلمين ،واتسعت الرقعة الجغرافية للدولة الناشئة ،وضمت تحت جناحها أمما وأجناسا شتى، لا صلة لهم بالعرب قبل ذاك. لقد نظرالعرب و المسلمون إلى القرآن الكريم (وهو محرك حياتهم الحقيقي) مُمَثّلاً لحضارة متكاملة في الدنيا،وسببا للوصول إلى مبتغاهم في الآخرة،وحاروا إزاء ما كانوا يعيشونه من حالات التخلف والتشرذم قبل ذاك؛فقرروا أمّا أن يرتفعوا بأنفسهم ، وواقعهم الفكري، والاجتماعي، والحضاري المتخلف؛ إلى مستوى القرآن الذي يمثل قمة الطموح الحضاري ، وأما أن ينكصوا بالقرآن الكريم ويجرونه إلى ربقة تخلفهم ،وحينئذ يخسرون الدنيا والآخرة،فاختاروا الطريق الأول. إنّ اختلاط العرب بأمم دخلت الإسلام ،وكان لها حظ واسع من التطور الحضاري؛ جعلهم يتأثرون بهم ، ويأخذون منهم ما ناسب عقيدتهم؛ فكانت الخطوة الأولى نحو النهضة وصولا إلى العصر العباسي، ولا سيما في القرون :الثاني ،والثالث، والرابع ؛إذ بلغت الثقافة ذروتها، والعلوم غايتها والتحضر مداه. (وفرضت الحياة الجديدة على المجتمع الإسلامي ألوانًا من السلوك، والتقاليد ، والعادات؛ عبّرت اللغة عنها تعبيرًا دقيقًا ؛فكانت وعاء حافظًا، وسجلًّا مُهِمًّا لكل التحولات التي عاشها العربي في ظل الإسلام. ويمكن تمثّل هذه التحولات من خلال ما أصاب اللغة من تطوّر في الدلالة والمفردات والصيغ) [٢٠] .و لم تقتصر تلك النهضة العلمية على تنويع الألفاظ وتبديلها؛ ولكنها أحدثت تنويعا في التعبير، وهذا واضح في كتب العلم، والفلسفة التي نُقلت إلى العربية. إذ ظهر التغيير في قسمين: أحدهمافي المفردات، والآخرفي التراكيب. واستطاعت العربية أن تواكب حركة التقدم، والازدهار العلمي، والمعرفي، وأن تسد حاجة العلماء، والمفكرين

المسلمين[٢١] ،وبذا تضافرت عوامل متعدّدة مكّنت اللغة العربية من النصر في صراعها اللغوي.

اهتم العلماء العرب – ، لغويون، وفلاسفة، وعقديون، ومتكلمون – اهتماما كبيرا بنقل هذه العلوم نقلا أمينا يؤدي الغرض ويحقق الهدف المنشود من النقل. وقد اتبعوا خطوات ومناهج ساعدتهم على ذلك؛ تتسم بالدقة والوعي والصرامة، معتمدين على عبقرية اللغة في قدرتها على النماء والتوسع المتمثلة في:

الترجمة .

التعريب.

التوليد بالنقل ،والاشتقاق القياسي، والارتجال.

النحت.

فسلكوا في الأولى وأقصد الترجمة، طريق البحث عن النظير العربي في المعجمات وكتب التراث؛ لنقل فكرة أو مصطلح.

والتعريب كان قائما على أساسين: الأول: نقل اللفظ الأعجمي بعد تغيير أصوات في بنيتها، أو حذف، أو زيادة، أو تقديم، أو تاخير.والثاني: هو أن تؤخذ الكلمة كما هي بلا أي تغيير عليها ويسمى الدخيل.

وأمّا التوليد: فكان بنقل الدلالة من كلمة مستعملة، أو مهجورة؛لتطلق على الشئ المستحدث، بعد أن يجدوا علاقة دلالية بين القديم والجديد. وقد يكون بالارتجال، وابتكار الألفاظ،أو باستعمال الاشتقاق القياسي، وهو وسيلتهم لابتكار كلمات جديدة مشتقة من أصول موجودة في الاستعمال؛ للدلالة على مستحدث.

والنحت: أن يعمد مستعمل اللغة إلى كلمتين، أو أكثر؛ ليأخذ منها مقاطع؛ يؤلف بها كلمة دالة على معنى جديد بينه وبين المعنى القديم علاقة وصلة دلالية. إنّ اختلاط العرب بأمم أخرى دخلت الإسلام – كان لها حظ واسع من التطور الحضاري –

جعلهم يتأثرون بهم، ويأخذون منهم ما ناسب عقيدتهم؛ فكانت الخطوة الأولى نحو النهضة، وصولاإلى العصر العباسي، ولاسيما في القرون: الثاني، والثالث، والرابع، إذ بلغت الثقافة ذروتها، والعلوم غايتها، والتحضر مداه.

ولم تقتصر تلك النهضة العلمية على تنويع الألفاظ، وتبديلها، ولكنها أحدثت تنويعا في التعبير. وهذا ما نراه واضحا في كتب العلم والفلسفة التي نُقلت إلى العربية، إذ ظهر التغيير في قسمين: أحدهما في المفردات ،والآخر في التراكيب، وشئ من الترف في الكتاية والبحث، والمفردات الدخيلة.

اللغة العربية في العصر الحديث:

لا يختلف منصفان في القول: إنّ العربية لغة ثريّة بالغة الثراء، كتب لها من شروط النماء والحياة والخلود ما يميّزها من غيرهامن اللغات. إنّ أبرز عوامل هذا الثراء يكمن في (أنّ المهجورفي الاستعمال من ألفاظها كتب له البقاء، فإلى جانب الكلمات المستعملة، كان مدوّنو المعجمات يسجّلون الكلمات المهجورة، وماهُجر في زمان، كان قبلاً مستعملاً في عصر من العصور) [٢٢] .

من هذا المنطلق ينبغي لنا ان نؤمن بأنّ هذه اللغة يجب ان تكون لغة الحضارة الجديدة المعاصرة كما كانت لغة الحضارات الغابرة. واللغة العربية كما يرى الدكتور حسين نصّار: هي الوسيلة الوحيدة إلى تجنّب العلم كل مخاطر التأخّر، وتكسب له كلّ التسهيلات، اللغة العربية هي التي تملأ الفجوة الفاصلة بين التفكير والتعبيرعند من يحيون بالعربية ويتعلّمون بغيرها، تلك الفجوة التي تبعث على الخلل والتأخّر والتعطّل و إضاعة الجهد إنّ ادّعاء أعداء التعريب: أنّ للعلم لغة يجب أن يدرّس بها وإن كانت أعجميّة، زعم باطل لا أساس له؛ لأنّ الشعوب تنقل ثمرات العلوم إلى لغاتها من دون أن تتخلّى عن تراثها وأسسها الحضارية[٢٣] .

إنّ التراكم في المستجدّات لا يخصّ العلوم وحدها بل شمل كلّ مفاصل الحياة من مخترعات وعلوم وطب ومعارف انسانية، إنّها تغطّي كلّ مظاهر الحضارة، وهذا ما دفع كثيرين إلى اتّهام العربية بالعقم وعدم الجدوى؛ ولكننالانريد إعادة ما ذكرناه عن التجربة العباسية؛ لأنّ ما فعله روّاد البحث اللغوي في القرون الثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرين، في إيجاد وسائل لغوية تسدّ الحاجة إلى تعريب مظاهر الحضارة ومستجداتها في عصرهم ، تستحق الاحترام والتقدير والاقتداء بها.

وكان الشوام أكثر العرب حرصًا على العربية، وجدّيّةً في التصدّي لسدّ هذه الفجوة. كان جلّ اهتمامهم منصبّا على إيجاد بدائل عربية تسمّى بها هذه المسمّيات، فعمدوا إلى أساليب العباسيين أنفسها ونجحوا في تحقيق مرادهم، وقد شاركهم الاهتمام الرواد من المجمعيين مطلع القرن العشرين، بموازاة بعض الجهود الفرديّةمن متخصصين، ومهتمين.

لقد انقسم هؤلاءعلى فريقين: الأول يضم المتشددين المحافظين، الذين لا يريدون للعربية أن تترهل وتتوسّع بشكل غير منضبط، وكانوا لا يرتضون أيّ تغيير الّا بعد موافقته سنن العربية، ويبدو أنّ الوسيلة التي نالت رضى المحافظين على سلامة اللغة العربية – هي الرجوع الى استعمال القديم والمهجوربعد إضفاء التصورات الحديثة الراهنة على ذلك الزاد[٢٤] .وكان موقفهم هذا منطلقا من رغبتهم في تجنيب العربية غزو الدخيل والأعجمي من المفردات[٢٥] .والثاني :هم المتجوّزون الذين يرون أن تيسير اللغة خير من ضياعها.

عودةٌ إلى الخليل وكتابِه (العين):

حين اعتمد العباسيون ولغويو العصر الحديث أسسا صارمة لتعريب المفردات المقترضة في محاولة لاحتواء الطفرة الحضارية التي حصلت وتحصل ،كان التوليد حجر

زاوية في نجاح مجهودهم على الرغم من اشتداد الدعوات للحد منه ، وعدم إطلاقه بلا رقيب،لخوفهم من ترهّل المعجم وازدياد المشترك اللفظي في الخزين المعجمي للأمّة.

المُوَلَّد

أخذ المُوَلَّد أوّل الأمر مفهومًا رجراجًا لم تتحدّد ملامحه، إذ قالوا: إنّ كلّ خروج عن استعمال العرب الذين يحتجّ بكلامهم طبقا لمعايير الزمان والمكان والجنس، التي أرستها نظرية الاحتجاج، سواء أكان هذا الخروج في اللفظ، أم المعنى ، أم النحو، أم الصرف، أم فيها جميعا يعدُّ مولّداً، وقد عدّ أصحاب المعجمات كلّ مُولّد خارج حرم الفصاحة، على الرغم من أن العباسيين تجاوزوا ذلك بخطوات شاسعة، حتى قيّد المصطلح بعد حين؛ باستعمال اللفظة المماتة، أو المهجورة، أو غير المستعملة بعد استخراجها من بطون المعجمات، أو من مأثور العرب الشعري والنثري، أو من مؤلفاتهم التي بين أيديهم؛ فيطلقونها على الجديد لأدنى ملابسة معنوية بين القديم والجديد.

إن ّالحصيلة الكبرى التي نجمت عن منهج الخليل في استقصاء المفردات العربية وصلت إلى ١٢٣٠٥٤١٢مفردة، لكنّ قدرته على الحفظ والاستيعاب لم تصل إلّا إلى قرابة الثلاثين ألف مفردة. والباقي حكم عليه بالمهمل، أو غير المستعمل، أو الدخيل. إنّ عدداً يتجاوز الاثني عشر مليونا جعل الباب مُواربًا للباحثين عن حلول لنقص المعجم. وهو ذخيرة عظيمة لو نُسِّقَ لاستعمالها، واختيار ماهو صالح منها للاستعمال. وهي كلمات عربية النجار يمكننا أن نسدّ الفجوة التي أحدثتها ثورة الحضارة والتطور.

لقد ترك الخليل مساحة من الحرية لمن يأتي بعده وقد صرح بهذا، وجعل الباب مشرعا حين قال: اللغة العربية لا يحيط بها إلّا نبي. موقناً بأن قدرته محدودة وان غيره سيتولى إتمام النقص.

الإحالات

١-الإتقان في علوم القرآن:٢٠

٢-في علم اللغة التاريخي:٧

٣-آفاق اللغة العربية في عصر العولمة:مقال.

٤-مدخل الى علم اللغة:٢٥٣

٥-نفسه

٦-دليل الباحث الى الصواب اللغوي:١١

٧- في التحليل اللغوي:٢٨

٨-آفاق اللغة العربية في عصر العولمة

٩-دليل الباحث الى الصواب اللغوي:١١

١٠-آفاق اللغة العربية في عصر العولمة.

١١-الأساس في فقه اللغة:٢٢

١٢-بنية الكلمة في اللغة العربية ،تمثيلات ومبادئ:٩

١٣-الأساس في فقه اللغة:٢٢

١٤-ينظر :المستدرك على معجماتنا٢٩

١٥- العين-المقدمة،وينظر:دراسات لغوية:٣١

١٦-نفسه:١\٤٧

١٧-مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي:١٢٧-

١٨-نفسه

١٩- المستدرك على معجماتنا:٢٩

٢٠-العربية والبحث اللغوي المعاصر:١٧٩

٢١-نفسه

٢٢-دراسات في فقه اللغة:٢٩٢

٢٣-دراسات لغوية:١٩

٢٤- مدخل الى فقه اللغة:٩٩

٢٥-تطور اللغة العربية:٢-

مصادر البحث وروافده

١. د،أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ،مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١\١٩٨٢.

٢. د،الأزهر الزناد،فصول في الدلالة ما بين المعجم والنحو ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف بيروت \ ٢٠١٠.

٣. الأساس في فقه اللغة،اشرف على تحريره اد.فولفديتريش فيشر،نقله الى العربية وعلق عليه ،د.سعيد حسن البحيري،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة ط١\٢٠٠٢.

٤. آفاق اللغة العربية في عصر العولمة، د.عبد السلام المسدين مقالة منشورة في مجلة الجيل يونيو١.

٥. البدراوي د، زهران، في علم اللغة التاريخي دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى، دار المعارف في مصر،ط٢\١٩٩٩.

٦. بلبول ،محمد ،بنية الكلمة في اللغة العربية ،تمثيلات ومبادئ، منشورات فكرالرباط ، ط١\٢٠٠٨.

٧. جرجي زيدان ،اللغة العربية كائن حي، دار الجيل ،بيروت،ط٢\١٩٨٨.

٨. الحر،عبد المجيد، المعجمات والمجامع العربية: نشأتها ،أنواعها ،نهجها،تطورها، دار الفكر العربي، بيروت ط١\١٩٩٤.

٩. الحسون،د،خليل، بنيان المستدرك على معجماتنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١\٢٠٠٨.

١٠. د،حلمي خليل،مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية ، بيروت، ط١\١٩٩٧.

١١. دراسات في اللغة، كتاب المورد، دار الشؤون الثقافية،العراق\١٩٨٦.

١٢. د، رياض قاسم،اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي،مؤسسة نوفل،بيروت، ط١،١٩٨٢.

١٣. السامرائي،د،ابراهيم ،العربية بين أمسها وحاضرها، وزارة الثقافة والفنون، العراق\١٩٧٨.

١٤. د،صبحي الصالح،دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين،بيروت،ط٦\١٩٧٦.
١٥. الصيادي،د.محمدالمنجي،لتعريب وتنسيقه في الوطن العربي.مركز دراسات الوحدة العربية\بيروت،ط٥\١٩٩٣.
١٦. عبد التواب،د،رمضان ،دراسات وتعليقات في اللغة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١\١٩٩٤.
١٧. العبيدي، د،رشيد عبد الرحمن، العربية والبحث اللغوي المعاصر، منشورات المجمع العلمي العراقي\٢٠٠٤.
١٨. د،عصام نور الدين،محاضرات في فقه اللغة دار الكتب العلميةبيروت ط١\٢٠٠٣.
١٩. عمايرة، د،خليل احمد،في التحليل اللغوي ،منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي واسبوب الاستفهام، مكتبة المنار ،عمان،\١٩٨٧.
٢٠. قدور،د،احمد محمد مدخل الى فقه اللغة العربية،دار الفكر المعاصر ،بيروت ط١\١٩٩٣.
٢١. كيس فيرشينغ اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتاثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي المجلس الاعلى للثقافة \ القاهرةط١\٢٠٠٣.
٢٢. محسَّب، د،محيي الدين، علم الدلالة عند العرب،فخر الدين الرازي نموذجا، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،ط١\٢٠٠٨.
٢٣. د،محمد حسن عبد العزيز،في تطور اللغة العربية ،بحوث معجمية في الاصول والالفاظ والاساليب، مكتبة الاداب ،القاهرة ط١\٢٠٠٧.
٢٤. د،محمد حسن عبد العزيز،مدخل الى علم اللغة،دارالنمر للطباعة،القاهرة\١٩٨٣.
٢٥. مطلوب ، د، احمد بحوث لغوية، دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان،ط١\١٩٨٧.
٢٦. نصار، د.حسين، دراسات لغوية، دار الرائد العربي\بيروت\١٩٨٦.

وجه الشبه بين المتناقضات

د. صالح احمد رشيد

كلية الرشيد الجامعة

قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمدُ للهِ ،ربِّ العالمين ،و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء ،و المرسلين،و على آله الطيبين الطاهرين ،و صحبه الغر المحجلين . وبعدُ :

فإنَّ القراءة النقدية للنص الشعري القديم تبقى مرهونة بالوعي العقلي ، وإن لم يخلُ هذا النص في بعض أوقات الإبداع من التلقائية .ولّما كانت البلاغة العربية في جانبها التطبيقي إحدى الوسائل في تشكيل الصورة ؛ فقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء على نصوص أدبية كان طرفا التشبيه (المشبَّه و المشبَّه به)فيها متناقضين، مما أفضى في النهاية إلى التناقض مع بعض نتائج البلاغة العربية التي استندت إلى العقل ، أو المنطق قبل الوقوف عند هذه النصوص النادرة ، والقليلة في تراثنا العربي ؛ للإجابة عن آلية حصول هذا التشبيه ،و الكيفية التي يفهم بها وجه الشبه بين هذه المتناقضات . الأمر الذي يجعل البلاغة قادرة على استيعاب التجارب الشعرية ؛ مما ينفي عنها المعيارية ،أو الأحكام الجاهزة .و يؤهلها لتحليل النص أسوة بالدراسات المعاصرة من أسلوبيةٍ ، أو نقدية من غير أن تترك المكان لغيرها .وهو ما كان وَكْدَ هذا البحث ، و لاسيَّما أنَّ

تحرك الخيال ينشأ عن قوة الإحساس ؛ فيستطيع أنْ يشكل صوراً تتسم بالغموض ، أو التناقض مما يعني تحوُّل المادة في الذات الشاعرة إلى روح.

تناول المبحث الأول وجه الشبه بطريقة تحليلية تطبيقية تبعده عن المعيارية ، والأحكام الجاهزة ،و توسع دائرته من الناحية النقدية ، وفي الوقت نفسه تجعل القارئ قريباً من فهم النص في ضوء التطبيق على نحوٍ واضح ،و ميسَّرٍ .فدرس الباحث أثر وجه الشبه في تشكيل الصورة التشبيهية ،و المدار الذي تدور حوله هذه الصورة .و هو أساس نظري لا غنى للقارئ عنه .

أمَّـــــا البناء فقد جاء في المبحث الثاني باختيار شاعرين غزليين ميداناً للبحث و هما :العباس بن الأحنف أحد شعراء القرن الثاني الهجري في العصر العباسي،و ابن زيدون أحد شعراء القرن الخامس الهجري في العصر الأندلسي في دراسة تحليلية موازنة على قلة النصوص الشعرية في هذا الباب .وعلى الرغم من وجود دراسة موازنة بين الشاعرين ؛ لكنَّها أبقت هذا الجانب مظلماً في دراستها للصورة الشعرية بين الشاعرين –على أهميته –في عصرنا الحالي .

ولَّـــا كان الشئُ يُشبَّه تارة بشئ ، وأخرى بنقيضه ،وهو الأكثر استعمالاً في الشعر العربي، و لاسيَّما في تجربة الغزل ؛فقد كان هذا هو المطلب الأول ،وهو أن يكون المشبه واحداً ، و المشبه به اثنين متناقضين أو بالعكس .أمَّا تشبيه الشئ بنقيضه فهو الأقل استعمالاً –على ندرة الاثنين معاً– قد تناوله الباحث في المطلب الثاني

أما هوامش البحث فقد آثرت الاختصار في كتابتها ،فاكتفيت بذكر الكتاب ،ومؤلفه، و رقم الصفحة ، وإن كانت ثمة أكثر من طبعة –فيما أعلم– فذكرت ما يشير إلى الطبعة التي اعتمدتها ، وكان شرح المفردات الغريبة بالرجوع إلى لسان العرب ، فلم أجد داعياً لذكر المصدر عند الشرح .

وبعد :

فالله أسأل أن يتقبل منا خالص العمل ؛ خدمة للغة القرآن الكريم ، و الحديث النبوي الشريف .إنه نعم المولى ، ونعم المجيب .

المبحث الأول
وجه الشبه عند البلاغيين بين التنظير و التطبيق

يلفت هذا المبحث نظر القارئ الكريم إلى التشبيه بوصفه أحد وسائل تشكيل الصورة ،و إلى وجه الشبه بوصفه محرِّكاً للخيال الشعري يستدعي عناصر الصورة الأخرى سواءٌ أكان مصرحاً به ، أم مؤولاً. ونعالج ذلك في مطلبين ، وعلى النحو الآتي .

المطلب الأول
أثر وجه الشبه في تشكيل الصورة

لعلَّ أبسط تعريف لوجه الشبه هو :"الوصفُ الخاصُّ الذي يُقصَدُ اشتراك الطرفين فيه"(١).وهو تعريفٌ موجزٌ ؛ لكنَّنا في الوقت نفسه نجد فيه الشمولية ، و الإطلاق . فوجه الشبه بين (المشبَّه) ، و (المُشبَّه به) يمكن أن يكون حسيّاً ،أو عقلياً ، أو نفسيَّاً .بحسب تجربة القائل ، وقوة خياله ، و رؤيته للأشياء .فالوصف الخاص أمرٌ يحدِّده القائل ، ولا يوجد لذلك وصفةٌ جاهزة يمكن الرجوع إليها .

وثمَّة شروط أشار إليها البلاغيون أوجبوا توافرها في وجه الشبه ، وهي :

لا بُدَّ من وجود صفة مشتركة بين (المشبَّه) ، و(المُشبَّه به)من جهةٍ واحدةٍ ، أو أكثر "فقولهم :خدٌّ كالورد ، إنَّما يريدون حمرةَ أوراقه ، و نضارتَها ، و لم يريدوا صُفرةَ وسطه ، ولا خضرةَ كمائمه . و فلانٌ كالبحر ، إنَّما يريدون كالبحر سماحةً ، أو علماً ، و لم يريدوا ملوحتَهُ ، وزعوقته(٢) . و كالليث شجاعةً، و إقداماً ؛ و لم يريدوا

---

(١)- جواهر البلاغة :١٦٤ .

(٢)- بئر زَعِقة : مُرّة ، والزُّعاقُ : الماء المرّ ، وطعام زُعاقٌ: كثير المِلْح.لسان العرب :(مادة زعق) .و سوف نعتمد اللسان في شرح المفردات .

شتامته(١) ، و لا زهومته(٢) "(٣) . ويقول (ابن ناقيا) في هذا الباب :"إنَّ الشئ يُشبَّه بالشئ ، تارةً في صورته ، و شكله ، وتارةً في حركته ، وفعله ، تارةً في لونه ، ونَجْره(٤) ، و تارةً في سُوْسه(٥)، و طبعه "(٦).

ويقسم عبد القاهر الجرجاني التشبيه من جهة وجه الشبه على نوعين :ظاهرٌ ، وخفيٌّ .يتضح ذلك في قوله :"إنَّ الشيئين إذا شُبِّه أحدُهما بالآخر ؛ كان ذلك على ضربين : أحدهما ، أن يكون من جهةِ أمرٍ بيِّنٍ لا يحتاج فيه إلى تأولٍ ، والآخر أن يكون الشبه محصلاً بضربٍ من التأول"(٧) .ويذهب القزويني المذهب نفسه ؛ وإن اختلفت العبارة عنده ؛ إذ يرى أن وجه الشبه يكون إما تحقيقاً،و إمَّا تخييلاً .و التخييلي هو وجه الشبه الذي "لا يمكن وجوده في المشبَّه به إلَّا على تأول"(٨).

إنّ وجه الشبه يكون في (المشبَّه به) أظهر من (المشبَّه) ، و أبين ، وأقوى ؛ لأنَّ الأصل في التشبيه أن يبرز صفةً ما في المشبَّه ، أو يجسد حالة ما فيه .و أقوال البلاغيين في هذا الباب كثيرةٌ ، منها قول (ابن الأثير):"يُشبَّهُ بما هو أبينُ ، وأوضح ، أو بما هو أحسن، أو أقبح ، وكذلك يُشبَّهُ الأقلُّ بالأكثر ، و الأدنى بالأعلى"٩ .و يقول السكَّاكي:"المُشبَّهُ به من حقِّه أن يكون أعرفَ بجهة الشبه من المشبَّه ، و أخص بها ،

(٣)- الشَّتامة : شِدَّةُ الخَلْقِ مع قُبْح وَجْهٍ وأَسدٌ شَتِيمٌ عابسٌ .
(٤)- الزُّهُومَةُ : ريحُ لحمٍ سمينٍ منتنٌ .
(٥)- كفاية الطالب : ١٦٤ .
(٦)- النَّجْر: والنِّجارُ والنُّجارُ : الأَصْلُ والحَسَبُ.
(٧)- السُّوسُ : الأَصل ، والسُّوسُ : الطبْع ، والخُلُق ، والسَجِيَّة .
(٨)- الجمان في تشبيهات القرآن : ٤٣ .
(١)-أسرار البلاغة :٨٠ـ٨١ .
(٢)- الإيضاح في علوم البلاغة :٢٢٠ .
(٣)- المثل السائر :١٦٥/١ .

و أقوى حالاً معها "(١). أمَّا العلوي فيرى أنَّ المشبَّه به "أعظم حالاً من المشبَّه في كلٍّ أحواله "(٢) .

فإنْ جاء في التشبيه ما يخالف هذه القاعدة ؛ سمَّوه بـــ(التشبيه المقلوب) ، أو (التشبيه المعكوس) ، تكون غايته المبالغة ، وهو أمرٌ قد يكون ضرورة ــفيما نعتقدــ يلجأ إليه الأديب بما يسهم في نقل التجربة ، من غير تكلُّف . وقد اختار البلاغيون بيتاً يكاد أن يكونوا مجمعين على روايته ، وهو قول محمد بن وهيب الحميري (٣):

وبَدَا الصَّباحُ كأنَّ غرَّتَهُ وَجْهُ الخَليفةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

فالمشبَّه (غرة الصباح) ، و المُشبَّه به (وجه الخليفة) ، و وجه الشبه بينهما ، هو البياض ، و الإشراق وهو في (غرة الصباح) أبين ، و أظهر من (وجه الخليفة) ؛ فغاية هذا التشبيه المبالغة ؛ ومثله يخرج عن دائرة التجربة الصادقة إلى دائرة التكلف ، و الصنعة ، على سبيل إرضاء الآخرين ، وكسب ودِّهم .و يدخل في هذا الباب التشبيه الذي يكون فيه المشبَّه حسيَّاً ، و المُشبَّه به عقليَّاً فوجه الشبه على الدوام في الصورة الحسيَّة أظهر ، وأبين من الصورة العقلية . فتكون غاية التشبيه المبالغة في الأثر النفسي لهذه الصورة .غير أنَّ العقلي في النصوص قد يكون أظهر من الحسي .

فقد تعانق الصورة التشبيهية التجربة الشعورية بفضله ، كما هي في ضمير صاحبها ، وقد يكون غير ذلك ، إذا جانب الأديب الصدق الفني .و لعلَّ خير ما يقوم شاهداً على حسن المبالغة في مثل هذا التشبيه قول ابن بابك(٤) :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتُها وقد كحل الليل السماك فأبصرا

---

(٤)–مفتاح العلوم :١٨٤ .

(٥)–لطراز :٢٢٧٣ .

(٦)–الوافي بالوفيات :١١٧/٥ .وينظر :عيار الشعر :١٨٨ ،الصناعتين :١/ ٦٣ ،زهر الآداب :٦٥٢/٣ ، سر الفصاحة :٢٩٦ ،مفتاح العلوم :٣٤٣ ، نهاية الأرب في فنون العرب :٤٨/٧ ، الطراز لأسرار البلاغة :١٧٩/١ ، جواهر البلاغة :٢٤٠ .

(١)– مفتاح العلوم :٣٤٤ ط٨٧ بيروت ،الإيضاح في علوم البلاغة :٢١٠ ط٩٨بيروت .

فالشاعر " لما رأى استمرار وصف الأخلاق بالضيق وبالسعة تعمد تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكريم ادعاء أنه في تأدية معنى السعة أكمل من الأرض المتباعدة الأطراف"(١). أراد السكَّاكي أن يقول : إنَّ المشبه به ، وهو(أخلاق الكرام) – بالجمع كما في رواية الشعر، وليس (خلق الكريم) بالمفرد كما جاء في كلامه السابق – معلومٌ في بيئته ، وإن كان عقلياً .

و قد يكون هذا من عمق أثر أخلاق الكرام على القائل ، فكان يصدر عن تجربة صادقة ، وقد فُهِمَ من التشبيه أن الشاعر يقصد (السعة) ، ولو قال : عطرٌ كأخلاق الكرام ، لكان وجه الشبه (الطيب).والعرب يتحدثون في مجالسهم ، عن الكرام و حكاياتهم ، و مواقفهم ،و حسن سجاياهم ، و يجعلون بالضد منهم اللئام .من ثَمَّ يصعب النظر إلى هذا التشبيه على أن الأرض مشبَّهٌ(حسيٌّ) ؛لكونه يدرك بالحس ، و(أخلاق الكرام) مشبَّه به عقلي ؛لأنه يدرك بالعقل ،و عليه فالحسِّيُّ أظهر من العقلي.لكن بالرجوع للقيم المعرفية للبيئة نجد أن المشبه (أرض) نكرة فهي غير معروفة لدى السامع أو المتلقي ، و أخلاق الكرام معروفة ؛ من ثمَّ لا يمكن أن تكون هذه القاعدة – مضطردة في كلِّ حال .

لا بد من اشتراك المشبَّه ، و المشبَّه به في (الحقيقة ، و الذات) ، و اختلافهما في (الصفة) ،أو اشتراكهما في (الصفة) ، واختلافهما في (الحقيقة، و الذات) ؛ لأن الاشتراك بين المشبَّه ، و المشبَّه به من جميع الوجوه لا يكون فيه تشبيهٌ ، وكذلك الاختلاف من جميع الوجوه لا يكون فيه تشبيه أيضاً .أما الاشتراك في (الحقيقة ، و الذات) ، و الاختلاف في (الصفة) فمثاله قول (قيس لبنى)(٢) :

نَهارِي نهارُ الناسِ حتى إذا بدا لِيَ الليلُ هَزَّتْني إليكِ المضاجعُ
أُقَضِّي نهارِي بالحديث وبِالمُنَى ويَجمَعُنِي ، والهمَّ بالليلِ جامِعُ

(٢)–م. . ن :٣٤٤ .

(١)– ديوان قيس بن ذُرَيْح :٩٠ ،تح :عبد الرحمن المصطاوي .

فالمشبَّه (نهاري) يَتَّحدُمع المشبه به (نهارالناس) في (الحقيقة،والذات) ،و يختلف عنه في (الصفة) ؛ فنهار الناس يأتي بعده ليلٌ يرتاحون فيه ، و يهجعون.و نهار الشاعر يأتي بعده ليلٌ محمَّلٌ بالهموم، والأوجاعِ .وأمَّا الاختلافُ في (الحقيقة ،والذات) ،و الاشتراك في (الصفة) فمثاله قول أبي دلامة يهجو نفسه(١) :

إذا لبس العمامة كان قرداً و خترياً إذا خلع العمامة .

المشبه (الإنسان) أي المهجو ، وهو اسم (كان) المحذوف لأمن اللبس ،يختلف عن المشبه به الأول (القرد) في (الحقيقة ، و الذات) ، ويشترك معه في صفة (القبح) .و يختلف عن المشبه به الثاني أيضاً في (الحقيقة ، و الذات)، ويشتركان في صفة (اللؤم). قد يبدو فهم ما عرضه القدماء في كتبهم ضرورياً ، و لكن لا يعني ذلك أنَّ هذا الأمر ما زال له أهمّيته في عصرنا الحالي. فالصورة التشبيهية يتحكم فيها الخيال ، وهو الذي يباعد ، أو يقارب بين الأشياء .فليكن المشبه على إطلاقه دون تحديد ، وليكن المشبه به أيضاً على إطلاقه من غير تحديد .وهذا ما سنعالجه في المطلب اللاحق ــبإذن اللهــ

المطلب الثاني

مدار الصورة التشبيهية

جعل البلاغيون ــكما هو معلوم ــ للتشبيه أركاناً أربعة ،هي :المشبَّه ، والمشبَّه به ، و وجه الشبه ، و أداة الشبه .و تظهر هذه الأركان على نحوٍ جليٍّ في التشبيه المفرد ، وعلى نحوٍ فيه خفاءٌ في أنواع التشبيه المركب المسمَّى بتشبيه الصورة . لقد سمَّى البلاغيون (المشبه ، والمشبه به) طرفي التشبيه ، ليس لكونهما ضروريين في تشكيل الصورة ؛ وغيرهما لا ضرورةَ له ، و لكن الاستغناء عن أحدهما يحول التشبيه إلى استعارة من الناحية الشكلية ؛ ولكنَّه لا يلغي وجه الشبه الذي اهتدى إليه القائل بفعل قوَّة الخيال ، و قدرته على المقاربة بين الأشياء ، أو المباعدة بينها ، فضلاً عن

(٢)– ديوان أبي دلامة الأسدي :٧٩ ،جمع وتحقيق:د.رشدي علي حسن .

إمكانية التشبيه احتواء التجربة الشعرية ، ليكون أفضل وسائل تشكيل الصورة عند الشاعر ؛ من ثمَّ تأتي أهمية وجه الشبه ، وأداة التشبيه .أمَّا القول : إنَّ التشبيه الذي تُحذفُ فيه أداة الشبه ، و وجه الشبه يكون أبلغ مما لو ذُكِرا .فهذا يصحُّ إذا كان التشبيه واحداً في الحالين . فجملة (زيد أسد) أبلغ من (زيد كالأسد في الشجاعة) و تضرب مثل هذه الأمثلة للتوضيح ، وتكوين الذائقة ، وليس للموازنة بين الصور التشبيهية المختلفة وإن كان الموضوع واحداً، فإنَّ تحليلها يكون بعد النظر في هذه الصور ، ومرجعيتها ، وتفكيكها إلى عناصرها ، فضلاً عن الناحية التركيبية ، و الموسيقية في ضوء الدراسات الحديثة .وليس ثمَّة قواعد جاهزة في هذا المقام .فما كان حذفه أفضل في صورة ما ،قد لا يكون كذلك في أخرى .

يعدُّ ابن حجة الحموي خير من حاول الخروج على أركان التشبيه الأربعة ، مقترحاً حذف وجه الشبه ، و أداة الشبه من هذه الأركان ،وأن يحل محلهما (المشبِّه ،و التشبيه)(١).فقد أشار على ركنين ظاهريين في الصورة التشبيهية(المشبه ، و المشبه به)، و على ركنين أساسيين في إقامة التشبيه ، أو أنَّ مدار الصورة التشبيهية يدور حولهما.

فالمشبِّه ، أو القائل ، أو المتكلم ، هو الذي يحدِّد الغاية ، أو المقصود من التشبيه ، وصولاً لإقناع المتلقي ، إن حقَّاً ، أو باطلاً .ففي التجارب الشعرية الصادقة يكون التشبيه وسيلة لتشكيل الصورة ، ونقل هذه التجارب ،ويكون للخيال دوره في مجمل العملية كلها .أمَّا في الخطاب السياسي فتكون غاية المشبِّه إقناع المتلقي ، ولو كان ذلك عن طريق تشويه الحقائق ، أو إغفالها ، أو تجاهلها .

(١)- خزانة الأدب وغاية الأرب : ٣٨٣/١ .

التشبيه إذاً إعرابٌ عن القائل ، أو المتكلم ، وانعكاس لنفسيته ، وشخصيته ، و ثقافته، و بيئته .فإذا ما كان الأسلوب هو الشخصية ؛ فإنَّ التشبيه هو الشخصية في نظرة أكثر استيعاباً لمفهوم التشبيه .

وقد يكون بالكلام عوَزٌ ، أو فقرُ حاجة ؛حتَّى يُغنى بالتطبيق ، وضرب الأمثلة، وتحليلها .فلو أنَّ أحداً قال : (أنت مباركٌ كرمضان) ، وقال آخر : (أنت مزعجٌ كرمضان).فإنَّه من السهولة بمكان أن يحكم المتلقي أن الأول مؤمن ، وأن الثاني ليس كذلك .

إنَّ التشبيه قد احتوى الدلالة النفسية للمُشبِّه ، وإنَّ وجه الشبه قد اختلف أيضاً باختلاف القائل ، وقيمه المعرفية ، والدينية . ولا تستقيم الصورة التشبيهية بحذف أداة التشبيه ، فأصبح ذكرها ضرورة .وقد كان للقائل في التشبيه الأول مقصد ،هو إظهار التقديس ، والإجلال لشهر رمضان الكريم ، وكان للثاني قصدٌ يقوم على النقيض من الأول تماماً.

من ثَمَّ كان القائل ، أو الأديب ، أو الشاعر هو الذي يدير العملية التشبيهية، ويتحكم فيها .و قد لا يكون قصد المُشبِّه إظهار الحقيقة ،و إنَّما إيهام السامع ، وهو ما يحدث غالباً في الخطاب السياسي .حينما يلجأ السياسي إلى تناول الحقائق بطريقة مزيَّفة ، ملبسا الباطل لباس الحق ، معتمداً التأثير الخفي لما يحدثه التشبيه في المتلقي .و لقد رأينا كيف حاول الرئيس الأمريكي (جورج بوش) إبعاد الشعب الأمريكي عن أجواء الحرب الحقيقية في عام ١٩٩١م ؛حينما شبهها بـــــــ(شجرة عيد الميلاد) معتمداً على الجانب النفسي لهذه الصورة في أذهان الأمريكيين؛ لما فيها من الشعور بالسرور ، والغبطة ، والفرح متجاهلاً سقوط الضحايا من الأطفال ، والشيوخ ،و النساء .

فيلحظ القارئ الكريم أنَّ لكل تشبيه مقصداً يحدِّده القائل ، و أنَّ وجه الشبه يتغير بتغير هذا المقصود ، وما يستتبع ذلك من تغير المشبَّه ، و المشبَّه به .

فالذي يقول: (ترابٌ كالمسك) يريدُ أن يُعلي من شأنِ التراب ،فهو مادحٌ ، والذي يقول (مسكٌ كالتراب) ذامٌّ مقلِّلٌ من شأن المسك .أمَّا ذكر وجه الشبه ، أو حذفه فليس ثمَّة قانون يحسنُ السكوتُ عليه في المواطن كلِّها .فقد يأتي ذكرُه ضرورةً يستعصي فيه الحذف .و هو أمرٌ يعود إلى قوة الخيال .و ربَّما استعصى فيه التقديم ، والتأخير لغاية أرادها المتكلم .

ولعلَّ خير مثال يستوجب فيه ذكر وجه الشبه قول أبي العلاء المعري: (وحزني لفقدها كنعيم أهل الجنّة، كلما نفد جُدِّد)(١).فتشبيه الحزن بـــــــــ(نعيم أهل الجنَّة) فيه غرابةٌ ، وبعدٌ ؛ ذلك أنَّ أول ما يتبادر إلى الذهن حينما نذكر الحزن والجنة ، أنَّ الجنَّة لا حزنَ فيها ؛ من ثمَّ كانت الحاجة قائمةً لذكر وجه الشبه (كلَّما نفد جُدِّد) ، ولا شئ يمكن أن يدوم إلَّا الله ،ونعيم أهل الجنَّة في الاعتقاد الإسلامي الراسخ.وهو دوامٌ لا نهاية له .فكان عمق الإحساس بالحزن الذي يراه لا نهاية له هو الذي استدعى تشكيل الصورة على هذا النحو فضلاً عن الذكاء ، وقوة الملاحظة ،و الربط بين الأشياء .

أمَّا ما كان ترتيب وجه الشبه مقصوداً يستعصي فيه التقديم أو التأخير،واختلافه يغيِّر المعنى المقصود فمثاله قوله (ﷺ):﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ طَيِّبٌ رِيحُهَا وَلَا طَعْمَ لَهَا " وَقَالَ يَحْيَى: " مَرَّةً طَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْحَنْظَلَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا خَبِيثٌ ﴾(٢). فإنَّ الرسول الكريم (ﷺ) قدم المؤمن على القرآن في

(١)- معجم الأدباء :٣١١/١ ،ط احسان عباس .

(١)- مسند أحمد :٣٢/ ٤٣٥ . ط الرسالة .

وجه الشبه (طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ) ، و (طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا) باعتبار أنَّ (الطعم =المؤمن) ،و(الريح =القرآن) في الصورة التشبيهية ، و قدَّم القرآن على المنافق في وجه الشبه (طَيِّبٌ رِيحُهَا وَلَا طَعْمَ لَهَا) ،وفي (لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا خَبِيثٌ)باعتبار أنَّ (الريح=القرآن) ،و (الطعم=المنافق) ،و ما جاء هذا التقديم و التأخير إلَّا لمعنىً مقصود ، و غاية منشودة تضع المؤمن في منزلة رفيعة .مع علمنا بوجود روايات أخر للحديث تؤدي إلى اختلال هذا التحليل ، فهذا الذي رأيناه ، و الله تعالى أعلم .

المبحث الثاني :وجه الشبه بين المتناقضات :

تشير النصوص الأدبية ــعلى قلَّتهاــإلى وجود تشبيه يكون طرفاه متناقضين له غاية يقصدها القائل ،أو الأديب بوصفه مبدع النص ، و مُشكِّل الصورة التشبيهية .لتنتقض بذلك القاعدة التي تدَّعي أنَّ الشئ لا يُشبَّه بنفسه ، ولا بنقيضه ؛ لانعدام وجود الصفة المشتركة في الحالين .وهو استنتاج استند إلى العقل والمنطق–فيما أرى– لا إلى النصوص الأدبية التي يصعب أن نضع لها حدودا ، أو أن نقيدها بقيود .فالتشبيه صورة يرسم أبعادها الخيال ، ووجه الشبه تلتقطه مخيلة الشاعر ، مستندة إلى القيم المعرفية ، و التجربة الشخصية ،و الظروف البيئية ، و السمات الفردية ، وغيرها من العوامل الأخرى .

إن النصوص المتوافرة تتيح للمتأمل فيها الوقوف على حدود هذا التشبيه ،و بعض مقاصده . ومن ثمَّ

يمكن القول :إنَّ هذا التشبيه يحدث في ما يسمى بـــــــــ((التشبيه المفرد))، و يخلو منه ((التشبيه المركب)) ؛ذلك أن وجه الشبه في الأول يقوم على التفاوت بين طرفي التشبيه. ويقوم وجه الشبه على ((المساواة)) بين الصورتين –نفسياً و دلالياً –في الثاني .بما لا يسمح بوجود التناقض .

وتختلف الغاية من هذا التشبيه باختلاف القائل ،وما يسعى إليه من قصد ،و من ذلك :

تأكيد المعنى : قد يلجأ منشئ الكلام إلى ذلك ؛لإزالة ما قد يعلق في نفس المتلقي من وهمٍ ، أو شكٍّ ، فيؤكد المعنى بهذا اللون من التشبيه ،كما في قول الرسول الكريم (ﷺ) ﴿تركتكم على المحجة البيضاء ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلّا هالك﴾(١) فالمشبَّه (ليلها) وأداة التشبيه (الكاف) ،و المشبَّه به (نهارها) فجاءت الصورة التشبيهية لتوكيد المعنى ، وهو أنَّ السُّنَّةَ واضحة ، لا لبسَ فيها ؛ فجاء التشبيه بوجه شبه يساوي بين طرفي التشبيه ، توكيداً لـــــــــــ(المحجَّة البيضاء) ، لإزالة الشك الذي قد يدخل في نفسية المتلقي ،و هو أسلوب متَّبعٌ عند العرب في كلامهم .

ومنها التعبير عن المشاعر المتضاربة ، ويتجلى ذلك بوضوح في تجربة الحب ''ومنها علامات متضادة، وهي على قدر الدواعي والعوارض الباعثة والأسباب المحركة والخواطر المهيجة.والأضداد أنداد، والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها، ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت، قدرة من الله عز وجل تضل فيها الأوهام.

فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فعل فعل النار، ونجد الفرح إذا أفرط قتل، والغم إذا أفرط قتل، والضحك إذا كثر واشتد أسال الدمع من العينين''(٢).

و ظهرت هذه التجربة في شعر الغزل من ذلك قول البحتري(٣) :

بَرَّح بـــي حبُّـــكَ المـــعَـــنـــــَّى وغرَّنـــي منـــكَ ما يَغُـــرُّ

أنتَ نعيـــــــمي ، وأنت بؤسي وقـــد يســـــوءُ الذي يسرُّ

فالمشبَّه (أنتِ) ، والمشبَّه به (نعيمي) ، وقد خرج تركيب (المبتدأ و الخبر) عن دائرة الحقيقة إلى المجاز ؛ لتعذر جريانه على وجه الحقيقة .فهي كالنعيم في حال القرب ، و

(١)- المستدرك على الصحيحين :١/١٧٥ .

(٢)- طوق الحمامة لابن حزم : ١٠٦ .

(٣)- ديوان البحتري :٢/١٠٥٠ ،تح : حسن كامل الصيرفي .

الإقبال ،وكذلك يقال في (أنتِ بؤسي) ؛ فهي كالبؤس في حال البعد ،و الهجران .فحال المحب المتقلبة ،و المضطربة ،و القلقة كانت سبباً في مثل هذا التشبيه .و إن كان النعيم ،و البؤس ليسا متناقضين تماماً ؛ ولكن يمكن القول :إن النعيم يؤدي إلى السرور الذي هو نقيض (البؤس) ،و لو قال الشاعر (سروري) لما كُسِر الوزنُ ،ولحقق التناقضُ الذي يشير إلى اضطراب النفس ،فضلاً عن زيادة حروف (السين) التي تؤدي إلى جمال الموسيقى الشعرية ، و الوصول إلى الطباق ، و توظيفه فنيَّاً بما ينسجم ،و التجربة الشعرية .

و مثل ذلك قول الشريف الرضي(١) :

أنتِ النعيمُ لقلبي ،و العذابُ له فما أمرَّكِ في قلبي ، و أحلاكِ

فالمشبه (أنتِ) و المشبه به الأول (النعيم) ،و المشبه به الثاني (العذاب) ،و هما متناقضان يشيران إلى تناقض الشعور في النفس الانسانية في تجربة الحب سواءٌ أكانت حقيقيةً ، أم كانت توظيفاً فنيَّاً لهذه التجربة يشي بموقف الذات الشاعرة من الحياة .

ومنها أيضا تعبير عن اليأس : إذ يتضح في هذا التشبيه البعدُ النَّفسيُّ للصورة ، أي إحساس القائل بالحياة ، وتفاعله معها .وهذا الإحساس يختلف باختلاف القائل ،و تباين التفاعل ؛ فثمَّة أناس يتفاعلون مع الحياة بإيجابية ، ومنهم من يتفاعل بسلبية .كما يتضح أيضاً دور المجتمع في إيصال المتشائمين إلى هذه السلبية .و يكون ذلك في الغالب عند الشعراء الذين يصلون في بعض الأزمات النفسية إلى اليأس ،و هي أزمات ربما كانت وقتيَّةً لا تمثلُ اعتقاداً راسخاً .و لعل البحث في تأريخ الشخصيَّة أحد أهم العوامل التي تسهم في الوقوف على الأبعاد الحقيقية لمثل هذه التشبيهات من ذلك قول أبي العلاء المعري(٢) :

و شبيهٌ صوتُ النَّعي إذا قيـــــــــــــ ـــــــــس بصوتِ البشيرِ في كلِّ نادِ .

(١)- ديوان الشريف الرضي :٥٩٣/٢ .تح :أحمد عباس الأزهري.

(٢)- شروح سقط الزند :٣ /٩٧١ تح :مجموعة من الأدباء بإشراف : د.طه حسين .

فالمشبه (صوت النعي) ،والمشبه به (صوت البشير) ،و الأول يمثل موت الانسان ، والثاني ولادته ؛ فهما متناقضان ،و أداة الشبه (شبيه) ، وهو اسم ، و وجه الشبه يؤول بأنه نفسي ،ناتج من تشاؤم الشاعر ، واحساسه بلا جدوى الحياة ، و اليأس من إصلاح الناس .فالصرخة التي تطلق عند الولادة ، تشبه صرخة الموت عند الشاعر ؛ لينتهي إلى أن حياة الانسان كلها معاناة ،و نكد حيث تنعكس الفاعلية النفسية في هذا التشبيه ،و لا سيَّما كفُّ نظره .

ومن ذلك أيضاً قول عبدالله البردوني في قصيدته (إلّـــا أنا وبلادي)(١):

تسلياتي كموجعاتي ،و زادي مثلُ جوعي ، وهجعتي كسهادِ
وكؤوسٌ مريرةٌ مثلُ صحـــوي واجتمـــــاعي باخـــــــوتي كانفرادي
والصداقاتُ كالعداواتِ تؤذي فسواءٌ من تصطـــفي أو تُـــــــعادي

تشي المساواة بين المتناقضات باليأس من الحياة فحاله واحدة في (التسليات، الزاد ،الهجعة، كؤوس مريرة –فقدان العقل –) ، وكذلك في (الموجعات ، الجوع ، السهاد ،صحوي)،وقد أثبت الشاعر أن المشبهات معدومة في حياته ؛ لكونه شبهها بما يناقضها .فغلب التشاؤم على نفسية الشاعر ،فضلاً عن أثر كف البصر في مثل هذه الصور التشبيهية المتتالية .أما المشبه (اجتماعي) ،و المشبه به (انفرادي) فهو يشي بالإغتراب ''كنا نسمعُ أهلَ العلمِ يقولون: فَقْدُ الأحبّة في الأوطان غُرْبة، فكيف إذا اجتمعت الغربةُوفَقْدُ الأحبّة. وجملة الأمر أنّ الذي عرفته من حال الدنيا أنه لا يفي فرَحُها بتَرحِها''(٢)، و وجه الشبه بين الصداقات ، والعداوات صرَّح به الشاعر،وهو الفعل المضارع (تؤذي) الذي يدل على استمرارية الفعل ، و تجدده .فهذه الصور تعبير عن الاحساس بالخيبة ، والفشل، و اليأس .

و يمكن أن نرصد لهذا التشبيه نوعين ،هما :

(١)– مختارات شعرية :١٢من ديوان (لعيني ام بلقيس)
(٢)– أدب الغرباء للأصفهاني : ٦ .

الأول: أنْ يكون المشبَّه واحداً ، والمشبَّه به اثنين متناقضين أو بالعكس .

الثاني :تشبيه الشئ بنقيضه .

الأول: أنْ يكون المشبَّه واحداً ، والمشبَّه به اثنين متناقضين أو بالعكس .

مثل هذا التشبيه يستعمل في التعبير عن تجربة الغزل ؛ لبيان حال المحب تجاه الحبيب ،المرتبطة بطبيعة تجربة الغزل الصادق ،و خصوصيتها سواءٌ أكانت عالماً واقعياً أمخيالياً. وقد ارتأى الباحث أن يتابعه في ديوان شاعر الغزل العفيف (العبَّاس بن الأحنف ت١٩٤ هـــ) من شعراء العصر العباسي في القرن الثاني الهجري ، وشاعر الغزل الحسي (ابن زيدون ٤٦٣ هـــ)من شعراء العصر الأندلسي في القرن الخامس الهجري ''فقد اتسمت شخصيتهما (بالكرم ، والأنفة ، والظرف ، وإجادة الكلام وحسن النظم وحسن العشرة ، والعفة) وهو ما حقق عناصر تقارب مهمة في منجزهما الشعري ''(١). يشير (العباس بن الأحنف) إلى تقلب حال المحب بين اليأس ، والرجاء؛ فيقول(٢):

إنَّ للحبِّ لحاليـــــ نِ نعيماً ،و عذابا

فالمشبه (واحد) ، والمشبه به (اثنان) متناقضان مع اختلاف المقام (فحال كالنعيم) ، و (حال كالعذاب) ،و هو ما تكون عليه تجربة الحب الهائمة ، و غير المستقرة

ومن ثمَّ شبه الحبَّ بالإظهار ، ونقيضه(الإضمار) في مثل قوله(٣) :

أمنكِ للصبِّ عند الوصل تذكارُ وكيف ؟ والحبُّ :إظهار ، و إضمار

---

(١)- شعر الغزل بين العباس بن الأحنف وابن زيدون (دراسة موازنة) :بشرى أحمد قاسم محمد أبو حسنة ،كلية التربية للبنات – جامعة بغداد بإشراف :أ.د. حميدة صالح البلداوي ، ٢٠٠٥ م : ٢١٠

(٢)- ديوانه :٢١ ، تح :عاتكة الخزرجي .

(٣)- م.ن : ١٠٨ .

فالمشبه واحدٌ (الحب) ، و المشبه به (اثنان)، وهما متناقضان (إظهار، و إضمار) و التشبيه مفرد ،وهو تشبيه بليغ ، ووجه الشبه نفسيٌّ يعبر عن إحساس الذات الشاعرة في المقامين في تجربة الحبِّ المتضاربة ، والمتناقضة ، وغير المستقرة .فحبه ظاهر عنده ، مضمر عن الناس ''وهذا إنما يعرض عند مقاومة طبع الكتمان والتصاون، لطبع المحب وغلبته، فيكون صاحبه متحيزاً بين نارين محرقتين، وربما كان سبب الكتمان إبقاء المحب على محبوبه، وإن هذا لمن دلائل الوفاء وكرم الطبع''(١)

وقريب من هذا المعنى قوله(٢):

ظلوم يا زين نساء العبادْ حبِّي لكم حبَّان :خافٍ ،بادْ

فالمشبه (الحب) واحد ،و المشبه به تارة (خافٍ) ،و أخرى (بادٍ)،وهما متناقضان؛ فحبه كالخافي عن الناس ،و كالبادي على ملامحه ، وفي نفسه ، وعند من يهوى .

ومن ذلك قوله أيضاً (٣):

أنت السرورُ ، وأنت البلاءُ وأنت الشفاءُ ، وأنت السقمُ

يبدو أن الشاعر أراد في الشطر الأول أن يجعل المشبه واحداً (أنت) ،و المشبه به (اثنين) الأول نقيض الثاني ؛ لكنَّه لم يوفَّق تماماً في هذه المحاولة ، ربَّما لأن الوزن لم يطاوعه فالبلاء ليس نقيضاً للسرور ؛ لكنَّه يؤدي إلى الحزن،الذي هو نقيض السرور .أي أن الشاعر ذكر السبب (البلاء) ، وأراد ما يسبّبه (النتيجة) . ''لِأَن الْعَرَب قد توقع التَّشْبِيه على شَيْء وَالْمرَاد غَيره''(٤)

(١)- طوق الحمامة : ١٤٦ .

(٢)- م.ن : ٩٨ .

(٣)- م.ن : ٢٣٥ .

(٤)- خزانة الأدب ،و لب لباب لسان العرب :٧ /٤١ .

أمَّا في الشطر الثاني فقد وفِّقَ في جعل المشبه واحداً (أنت) ، والمشبه به (اثنين) أحدهما نقيض الآخر(الشفاء ، و السقم) ،و وجه الشبه اختلف باختلاف المقام فهي شفاء في حال القرب ،و الوصال ،وهي سقم في حال البعد ،و الفراق .

ومن ذلك قوله(١) :

أبيتُ ليلي كـــلَّه هائمـــا لستُ بيقظانَ،و لا نائم .

جاء التشبيه عن طريق أحد نواسخ (المبتدأ و الخبر) وهو (ليس) من أخوات (كان)، فهو(كاليقظان) ،و هو (كالنائم) ،و هو تشبيه بليغ ، وتسليط النفي على التشبيهين ، وهما متناقضان لا يؤدي إلى إلغاء التشبيه فنفي الأول إثبات للثاني ،و العكس صحيح. ويمكن أن يلاحظ أن التشبيهين متكاملان .فحال الإنسان بين اليقظة ،و النوم .وحال الشاعر في هذه التجربة غير مستقرة، وقد جاء التشبيه توكيدا لقوله (أبيت ...هائما).

ومن ذلك قوله أيضاً(٢) :

أرى الحبَّ حلواً كاسمه غير أنّ منغِّصُ لذاتٍ ،ثقيلٌ على البدنِ

فالتشبيه على سبيل التشبيه البليغ عن طريق نواسخ (المبتدأ و الخبر) ،وهو الفعل (رأى) ،و (إن) بحذف وجه الشبه ، و أداة التشبيه ، فالحبُّ (كالحلو) مرة ، و مرة (كمنغص اللذات).و هما متناقضان يعبران عن حال المحب،و تقلبه، بين الشئ ، ونقيضه.

يبعد (ابن زيدون)عن التشبيه في تعبيره عن تجربته في الحبِّ ، وما فيها من تناقضات إلى الاستعارة ؛و إن كانت الاستعارة تبقي ما يشير إلى أصل التشبيه ،و لا تلغيه برمَّته؛ فثمَّة أحد طرفي التشبيه لا يزال باقياً.ومن ذلك قول (ابن زيدون)(٣):

متى أبثُّك ما بـــــــي يا راحتي و عذابـــي

---

(٥)- ديوان العباس : ٢٤٥ .

(١)- ديوان العباس: ٢٥٤ .

(٢)- م.ن : ٣٠

فالمشبه الحبيبة (أنت راحتي) ،و (أنت عذابي) في مقامين مختلفين ، وحذفُ المشبَّه (أنت)حوَّل التشبيه إلى استعارة من غير أن تضيع معالم التشبيه،و ربّما يرجع ذلك لقوة خيال الشاعر بحيث تجاوز التشبيه ، وقد يكون للتطور الدلالي أثره في ذلك .ومن هذا الباب قوله(١) :

يا قاطعاً حبلَ ودِّي و واصلاً حبلَ صدِّي

فالحبيبة (هي القاطعة)، و (هي الواصلة) مع اختلاف المقامين "لقد جربت اللذات على تصرفها، وأدركت الحظوظ على اختلافها، فما للدنو من السلطان، ولا للمال المستفاد، ولا الوجود بعد العدم، ولا الأوبة بعد طول الغيبة، ولا الأمن من بعد الخوف، ولا التروح على المال، من الموقع في النفس ما للوصل، ولا سيما بعد طول الامتناع، وحلول الهجر، حتى يتأجج عليه الجوى، ويتوقد لهيب الشوق، وتتضرم نار الرجاء"(٢).وقد حذف الشاعر المشبه ليتحول إلى الاستعارة التي تسمَّى بـــ(التصريحية) للتصريح بالمشبَّه به ، وهي أكثر وضوحاً –فيما نعتقد– من غيرها من أنواع الاستعارة .مع ملاحظة أنّ الشاعر استعمل أيضاً التشبيه البليغ عن طريق التركيب الإضافي(المضاف هو المشبه به ، و المضاف إليه هو المشبه) ؛فالمشبَّه به واحد (حبل) ،والمشبَّه اثنان (ودِّي) ،و(صدِّي) محولاً المعنويَّ إلى حسيٍّ.مما يشي بغلبة العاطفة على الشاعر ، و استجابة الخيال لها في مثل هذا التركيب الذي يمثل صدقاً فنيَّاً للتجربة الغزلية .

ولعلَّ خير ما جاء به الشاعر على هذا اللون من التشبيه ــ أي ليس استعارةــ مصوَّراً تجربة الحبِّ ،و ما فيها من اضطرابٍ ،و تناقضٍ قوله(٣) :

على حاليْ : وصالٍ ، و اجتنابٍ وفي يوميْ :دنوٍّ ، و انتزاحِ .

---

(٣)– م.ن :٧٣ .

(٤)– طوق الحمامة : ١٨٠ .

(١)– طوق الحمامة:٥٩ .

فالمشبَّه واحدٌ ، و المشبَّه به اثنان في الشطر الأول ، و هما متناقضان : (حال كالوصال)و (حال كالاجتناب)، ومثل ذلك يقال عن الشطر الثاني (يوم كالدنوِّ) و (يومٌ كالانتزاح) .فالمشبَّه واحدٌ ،و المشبَّه به اثنان متناقضان .و في ذلك كلِّه تعبير عن تجربة الحبِّ ، وما فيها من مشاعر القلق ،و الاضطراب ،و التناقض ،و عدم الاستقرار .ومن ذلك قوله(١):

تطلَّعَ لي هلالُ الهجر بدراً وصار هلال وصلك في سرار

فالمشبه به واحد ،والمشبه اثنان متناقضان .فـــ(الهجر كالهلال) ،و (الوصل كالهلال)،وهو تشبيه بليغ على سبيل التركيب الإضافي فالمشبه مضاف إليه، و المشبه به مضاف .مع وجود قرينة تجعل الهجر طويلاً ،و هي (بدراً) ،و قرينة أخرى تجعل الوصل قصيراً ، و هي (في سرار).

و من التشبيه البليغ على سبيل التركيب الإضافي أيضاً قوله(٢) :

ستصبر صبر اليأس ، أو صبر حسبه فلا ترضَ بالصبر الذي معه وِزرُ

فالمشبه به واحدٌ ،و المشبه اثنان ، وهما متناقضان في المعنى دون اللفظ.(فاليأس كالصبر) ،و (و الحسبة كالصبر). ومعلوم أنَّ اليأس يصاحبه الوزر ،و الحسبة يصاحبه الأجر ، والوزر نقيض الأجر.من ثمة كان اليأس ،و الحسبة متناقضان في المعنى ؛ لأن الثاني لا يأس فيه .

الثاني :تشبيه الشئ بنقيضه .

يختلف وجه الشبه في هذا اللون باختلاف مقاصد المتكلمين، وغاياتهم . وإن كانت تجربة الحب التي يكون غرضها الشعري هو الغزل ما يزال مجالها واسعاً في تشكيل

(٢)- م.ن :١٢٨ .

(٣)-م.ن :١١٩ .

الصور عن هذه الطريق .و سيسعى الباحث في ضوء ندرة النصوص المتوافرة لبيان تلك المقاصد ، و الغايات –بإذن الله تعالى– .

فمن تشبيه الشئ بنقيضه في هذا المقام قول(العبَّاس بن الأحنف)(١) :

وصالُكم صرمٌ ،و حبُّكم قِلىً وعطفُكم صدٌّ ،و سلمُكم حربُ

يشير الإخبار بالتناقض في الجمل الأربع المركبة من (مبتدأ وخبر) إلى خروج الشعر من دائرة الحقيقة إلى المجاز بعد أن حذف الشاعر أداة الشبه ، و وجه الشبه ليكون التشبيه بليغاً ؛قادراً على استيعاب معاناة الشاعر ، وإحساسه بالمساواة بين المتناقضات ؛ مما يشي بحاله اليائسة من حبيبه.فوجه الشبه كان نفسيًّاً غير خاضع للعقل ، و لا للمنطق ،ولا يقنع إلا نفسه –التي ربما كانت مريضة – أو متشائمة .

ومن ذلك أيضاً قولُه(٢) :

اليومُ مثلُ العامِ حتَّى أرى وجهكِ ،و الساعةُ كالشَّهرِ .

فالمشبَّه (اليوم) و المشبَّه به (العام)وهما متناقضان ، وفي الوقت نفسه هما متكاملان ف(٣٦٥)يوما تكمل العام ،و وجه الشبه نفسيٌّ يجعل من الشاعر يحسُّ أن اليوم طويلٌ إن غاب عنه الحبيب في الشطر الأول ، وفي الشطر الثاني المشبه (الساعة) و المشبه به (الشهر) ، و وجه الشبه الطول ، وهو ظاهر ، و بيِّنٌ في المشبه به .لكن إذا كانت الساعة شهراً؛ فإنَّ العام نصف يوم ، واليوم عامان.و مثل هذين التشبيهين يحضيان بقبول البيئة ،وإن لم يكونا سليمين من الناحية الرياضية ، أو المنطقية .

أمَّا ابن زيدون فيبدو أكثر استعمالاً لهذا اللون من التشبيه من العباس بن الأحنف مع قلة واضحة في اللون الأول –كما تقدم– .

من ذلك قوله(٣) :

---

(١)– ديوان العباس: :١٩ .

(٢)– م.ن : ١٢٠ .

(٣)–ديوان ابن زيدون : ٣٧ .

يُعذِّبها عضّ السوارِ بمِعْصَمٍ أبان لها أنَّ النعيمَ عذابُ

فالمشبه (النعيم) ،و المشبه به (العذاب)،و التشبيه بليغ ،وقد دخلت (انّ) الناسخة على تركيب (المبتدأ و الخبر) .وقد حذفت أداة الشبه ، ووجه الشبه بين الطرفين المتناقضين هو المساواة بينهما في تجربة الغزل .

وقوله(١) :

يمانيةٌ تدنو ،و ينأى مزارُها فسيّانِ منها في الهوى القربُ والبعدُ

التشبيه مفرد اشتمل على أركان التشبيه فالمشبه (القرب)، و المشبه به (البعد)، و أداة الشبه (سيَّان)، أما وجه الشبه فهو محذوف يشي به حال المحب في شعوره بالمعاناة ،و الألم ما يجعلها متساوية في جميع الأحوال .

وقوله(٢) :

سببُ السُّقْمِ الذي برَّح بي صحَّةٌ كالسُّقم في تلك المـــُـــقلْ

فالمشبه (صحَّة)في عين الحبيبة ،و المشبه به (السقم) ،و أداة التشبيه (الكاف) ،و وجه الشبه بين النقيضين محذوف ، لكن معرفة التجارب الغزلية يشي بهذا الوجه ؛ فصحة عين الحبيبة كناية عن جمالها، تصيب العاشق بالسقم أي الحب .

وقوله(٣) :

حالت لفقدكم أيَّامُنا فغدت سوداً ،و كانت بكم بيضاً لياليا

التشبيه بليغ عن طريق تركيب (المبتدأ و الخبر) ، وقد دخل عليه أحد النواسخ ، وهو(كان)فاسم كان هو المشبَّه (لياليا) ،و خبرها (بيضاً) هو المشبَّه به . وقد شبه الشاعر الشئ بنقيضه ؛ لأنه صوَّر الشعور ؛ ليخرج من دائرة المنطق، و التجريد ،و الحقائق إلى دائرة العاطفة ،و الاحساس ،و الخيال .ليكون اللون تعبيراً عن أيام السرور، و البهجة ،و الوئام .

---

(١)- ديوان ابن زيدون:٧٦ .

(٢)- م .ن :٢٣١ .

(٣)- م.ن : ٢٩٩ .

الخـاتمـــة

توصل البحث إلى جملة من النتائج التي نسأل الله أن ينتفع بها الباحثون ، و الدارسون ،و هي على النحو الآتي .

إن التشبيه قادر على احتواء التجارب الشعورية بوصفه أحد وسائل تشكيل الصورة ؛ من ثمَّ فقد خرج عن النظرة المنطقية ، و العقلية المجردة ليصف الشعور ، و ما فيه من تناقض مما أتاح للباحث في البلاغة العربية التساؤل عن وجه الشبه بين الشئ ، و نقيضه .

وجه الشبه بين المشبَّه ، و المُشبَّه به يمكن أن يكون حسيّاً ،أو عقلياً ، أو نفسيَّاً .بحسب تجربة القائل ، وقوة خياله ، و رؤيته للأشياء .فضلاً عن القيم المعرفية و البيئية والعقدية ، فليس كل طرف حسيٍّ يكون وجه الشبه فيه بالضرورة أظهر ،و أبين من الطرف العقلي .

لقد سمَّى البلاغيون (المشبه ، والمشبه به) طرفي التشبيه ، ليس لكونهما ضروريين في تشكيل الصورة ؛ وغيرهما لا ضرورةَ له ؛ و لكن الاستغناء عن أحدهما يحول التشبيه إلى استعارة من الناحية الشكلية . أمَّا ذكر وجه الشبه ، أو حذفه ؛ فهو أمرٌ يعود إلى قوة الخيال فقد يأتي ذكرُه ضرورةً يستعصي فيه الحذف .و ربَّما استعصى فيه التقديم ، والتأخير لغاية أرادها المتكلم .

يلجأ القائل ، أو الأديب إلى تشبيه الشئ بنقيضه على وفق التجربة الشعورية ، و قوة الانفعال ، و الخيال ؛ لمقاصد يريدها ، وغايات يسعى إليها ، منها : تأكيد المعنى ، و التعبير عن المشاعر المتضاربة في تجربة الحب ، و التعبير عن اليأس من الحياة ، أو الناس.

تشبيه الشئ بنقيضه من التشبيهات النادرة في الشعر العربي على وجه العموم في عصوره المختلفة ،و يقسم على نوعين : الأول ، أنْ يكون المشبَّه واحداً ، والمشبَّه به

اثنين متناقضين ،وهذا القسم أوفر حظا من الثاني ، الذي يشبه فيه الشئ بنقيضه فقط .و تتباين هذه النتيجة باختلاف أساليب الشعراء ، وعصورهم الشعرية .

وجد الباحث أنَّ تشبيه الشئ بالشئ ،و نقيضه أكثر وروداً في شعر العباس بن الأحنف ، و أقل وروداً في شعر ابن زيدون ، و كان تشبيه الشئ بنقيضه أقل وروداً في شعر العباس بن الأحنف ، و أكثر وروداً في شعر ابن زيدون .و تعطي هذه النتيجة أفضلية لغزل ابن زيدون بالنظر إلى العالم الخيالي لا الواقعي للشاعرين .

مظان البحث

١. ا بن الأثير ضياء الدين (ت٦٣٧ه) ،كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر و الكاتب : تح :د.نوري حمودي القيسي، ود.حاتم الضامن ، وهلال ناجي، دار الكتب لجامعة الموصل ، ١٩٨٢ م .

٢. ابن الأثير نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف الكاتب (ت ٦٣٧هـ)،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢٠ ه .

٣. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) ،طوق الحمامة في الألفة والألاف : تحقيق: د. إحسان عباس دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة: الثانية – ١٩٨٧ م

٤. ابن حنبل ،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)مسند الإمام أحمد: تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٥. ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب دار صادر — بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٦. البردوني ،عبدالله : البردوني ،عبدالله :مختارات شعرية كتاب في جريدة أصدرته منظمة اليونسكو، عدد ٦٧ ، آذار ،٢٠٠٤ م.

٧. البغدادي، بن ناقيا ،تح البغدادي ، ابن ناقيا ،الجمان في تشبيهات القرآن ،تح د.أحمد مطلوب ،و د.خديجة الحديثي ،بغداد ، ١٩٦٨ م .

٨. البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ ،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الرابعة ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

٩. الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت٤٧١ه أو ٤٧٤ه)، أسرار البلاغة ،تح:محمود محمد شاكر ،دار المدني ،مصر ،الطبعة الأولى،١٩٩١م .

١٠. الحسني العلوي، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، أبو الحسن (ت ٣٢٢هـ) ،عيار الشعر : تح : عبد العزيز بن ناصر المانع مكتبة الخانجي – القاهرة ،(د.ت)
١١. الحلبي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (المتوفى: ٤٦٦هـ) ،سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م
١٢. الحموي، ابن حجة، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) ، خزانة الأدب وغاية الأرب: تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال ،و دار البحار ، بيروت ، ٢٠٠٤م .
١٣. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : تح : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
١٤. الخوارزمي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ) ، مفتاح العلوم : تح: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
١٥. ديوان ابن زيدون :تح: يوسف فرحات ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،الطبعة الثانية ،١٩٩٤م .
١٦. ديوان أبي دلامة الأسدي : جمع وتحقيق:د.رشدي علي حسن ،دار عمار،مؤسسة الرسالة ،الأردن ،ط١ ،١٩٨٥ م .
١٧. ديوان البحتري : تح :حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، (د.ت)
١٨. ديوان الشريف الرضي :تح :أحمد عباس الأزهري ،المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٣٠٧ ه
١٩. ديوان العباس بن الأحنف :تح :د.عاتكة الخزرجي ، مطبعة دار الكتب، مصر ، ١٩٥٤م
٢٠. ديوان قيس بن ذُرَيْح : تح :عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة، بيروت ،الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤ م .
٢١. شروح سقط الزند (للمعري) :تح :مصطفى السقا ،عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، إبراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد ،بإشراف :د.طه حسين ،الهيئة المصرية العامة ،الطبعة الثالثة ،١٩٨٦_١٩٨٧ م نسخة مصورة عن نسخة ١٩٤٥م .

٢٢. الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ،الوافي بالوفيات: تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث، بيروت ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٣. الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الملقب بالمؤيد باللَّه (ت ٧٤٥هـ) ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : المكتبة العصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .

٢٤. العسكري ،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥هـ) ، الصناعتين: تح، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية – بيروت ، ١٤١٩ هـ .

٢٥. القزويني ،الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: بهيج غزاوي ،دار إحياء العلوم ،بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٩٩٨ م .

٢٦. القيرواني إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري (ت ٤٥٣هـ) ، زهر الآداب وثمر الألباب : تح: أ. د / يوسف على طويل ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .

٢٧. النويري ،أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب : دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٢٨. النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين : تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١_١٩٩٠ م .

٢٩. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت ١٣٦٢هـ)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية، بيروت ، (د.ت) .

دعوة للنشر فى المجلة

أساتذتنا الأجلاء...

زملاؤنا الأعزاء...

بمناسبة استعداد مجلة كلية الرشيد الجامعة لإصدار عددها الأول ننتهز هذه الفرصة وندعوكم بالتعاون مع المجلة وإمدادنا بما لدىكم من أبحاث علمىة في المجالىن العلمي والانساني لننال شرف المساهمة في نشر العلم النافع، من خلال نشر حصاد جهدكم وثمرة علمكم، وذلك بعد استىفاء الشروط والإجراءات الواردة بقواعد وإجراءات النشر الخاصة بالمجلة.

هيئة التحرير

قواعد واجراءات النشر

مجلة كلية الرشيد الجامعة – مجلة متخصصة ومحكمة، تلتزم بالقيم الروحية والأخلاقية والمهنية، ودعم حقوق الإنسان والحفاظ على اللغة العربية والتراث والتوظيف الأمثل للتقنية ماأمكن، وتهتم بنشر البحوث والدراسات العلمية والاقتصادية والتاريخية والادبية والسعي نحو إنتاج بحوث تسهم في خدمة المجتمع. على أن يلتزم الباحث بمراعاة قواعد النشر المعمول بها في المجلة:

١. تقبل المجلة الأبحاث والدراسات العلمية الأصلية المكتوبة باللغتين العربية والانجليزية والتي تتوافر فيها قواعد البحث العلمي وشروطه المتعارف عليها في العرض والتوثيق.
٢. ينبغي أن يكون البحث مكتوبا بلغة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية والأسلوبية والمطبعية، ويتحمل الباحث مسئولية الأخطاء الواردة في بحثه.
٣. يشترط في البحث أن لايكون قد نشر أوقدم للنشر في مجلة أخرى أو مؤتمر علمي أو أي جهة أخرى وأن لايكون مستلا من رسالة ماجستير أو دكتوراة أو نقل من جهود الباحثين الآخرين، دون الإشارة إليهم خصوصاً الاستفادة من مواقع الانترنيت وتقديم البحوث الجاهزة منها. وعلى الباحث أن يقدم اقرارا خطيا بذلك مرفقا ببحثه
٤. بالنسبة للبحوث من خارج الكلية يرفق بالبحث سيرة ذاتية للباحث.
٥. ترسل ثلاث نسخ من البحث الى المجلة مطبوعة بواسطة الحاسوب بمسافات (١,٥) بين السطور، مرفقا القرص االمدمج(cd) المطبوع عليه البحث باستخدام نظام (word2007,2010) شريطة على أن لايزيد عدد الصفحات على(٢٠) صفحة (a4) بما في ذلك الأشكال والرسوم والجداول والمراجع.

٦. يرفق بالبحث ملخص باللغة العربية واخر بالانكليزية، في حدود (١٥٠-٢٠٠) كلمة.

٧. تعرض البحوث المقدمة للنشر الى محكمين متخصصين لبيان مدى صلاحيتها للنشر. ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يقوم المؤلف بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون.

٨. تقوم إدارة المجلة بإخطار الباحث بالرأي النهائي للمحكمين بخصوص بحثه قبولاً أو رفضاً أو تعديلاً، والمجلة غير ملزمة بتبرير الرفض.

٩. يحق لهيئة التحرير اجراء تعديلات شكلية بما يتناسب مع نمط النشر بالمجلة.

١٠. يحق لهيئة التحرير عدم نشر أي بحث دون ابداء الأسباب وتعد قراراتها بهذا الشأن نهائية

١١. البحوث التي ترسل للمجلة لاتعاد ولاتسترد سواء نشرت أم لم تنشر.

١٢. لا يجوز للباحث أن يسحب بحثه من النشر بعد إرساله إلى المجلة إلا لأسباب مقنعة، على أن يكون ذلك قبل إخطار الباحث بالموافقة على نشر بحثه في المجلة.

١٣. ما ينشر في المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة وبالتالي لا تكون هيئة التحرير مسئولة عنها.

١٤. تعد المواد المنشورة مللك للكلية ولايجوز نشرها في مكان اخر الا باذن مكتوب من هيئة المجلة.

١٥. يعطي صاحب البحث المنشور بالمجلة ثلاث مستلات من بحثه وفي حالة اشتراك أكثر من باحث في البحث الواحد يعطى كل منهم نسخة مستلة أما نسخة المجلة كاملة فتطلب من سكرتارية تحرير المجلة لقاء ثمن تحدده هيئة التحرير.

١٦. تعتمد المجلة مبدأ التمويل الذاتي وتحدد أجور النشر في ضوء الأسعار السائدة.

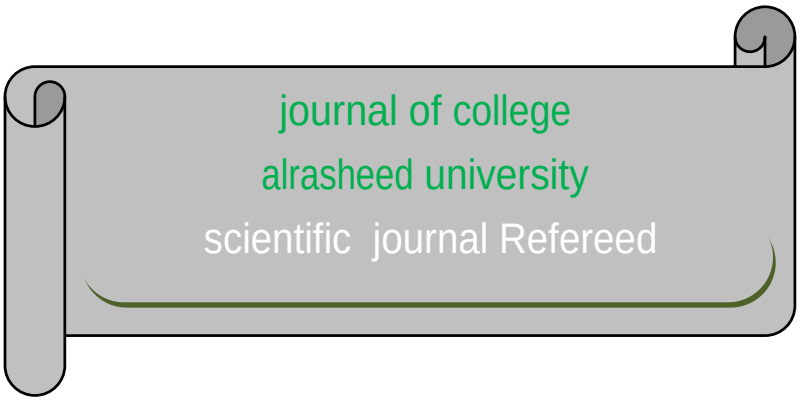

published by: alrasheed university college

Alrasheed_journal@yahoo.comEmail:
Tel: 0770451197
Iraq_ Baghdad- Al- hussein Hai

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.